جـــامـعة وهـــران 2

كلية العلـــــوم الاجتمـــاعية

قسم علم الاجـتـــماع

أطروحـــــــة لنيل شهـــــادة دكتوراه علوم

في علـــــم الاجتماع الحضري

ظاهرة المُنَاصَرة في الوَسَط الرّياضي

دراسة سُوسيولوجيّة لدى مُنَاصري فرق كُرة القدم بمَدينة وَهران

إعداد الطالب:

ماحي مُحمّد عَبّاس.

الأستاذ المُشرف:

أ. د. حَجّيج الجُنيْد

لجنـــــــة المناقشـــــــة

اللقب و الاسم	الرتبة	جامعة الإنتمـــاء	الصفـــة
اللقب والاسم	الرتبة	جامعة وهـــران 2	رئيـــسا
حجيج الجنيد	أستاذ	جامعة وهـــران 2	مقـــرار
اللقب والاسم	الرتبة	جامعة وهـــران 2	منـــاقشا
اللقب والاسم	الرتبة	جامعة وهـــران 2	منـــاقشا
اللقب والاسم	الرتبة	جامعة وهـــران 2	منـــاقشا
اللقب والاسم	الرتبة	جامعة وهـــران 2	منـــاقشا

الموسم الجامعي: 2021 / 2022.

Résumé :

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

Mots clés *: Le sport, le football, la société, la ville, les jeunes, ULTRAS.*

Abstract :

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

Key words *: Sport, soccor, society, city, youth, ULTRAS.*

الملخص:

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

الكلمات المفتاحية: *الرياضة، كرة القدم، المجتمع، المدينة، الشباب، الألتراس.*

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران 2

كلية العلوم الاجتماعية **قسم علم الاجتماع**

ظاهرة المناصرة في الوسط الرياضي

دراسة سوسيولوجية لدى مناصري فرق كرة القدم بمدينة وهران

تقديم: ماحي محمد عباس **تأطير: أ. حجيج الجنيد**

الموسم الجامعي 2022/2021

الله الله الله ..... الله يـا مولانا
الله الله الله ..... ربـي تْحَنْ عليآ
شـوفو ذا المُسبّل ..... الـفقــير المخنتر
قلبي عليه ما يصبر ..... غـير مـــا لقيت المَوْلى
عذروني يَا إخـــوان ..... مـــــاذا صرالي في شعبان
سْركلُوا عليا الكِيران ..... وَقْفُـــــوا في باب الدّار
رَفْدوني لِيسوراس ..... و معهم لاصـــاص
مين قْرا فالكُرّاس ..... قال مـــاحي بومدين
هو يْفكتِي الرِّياس ..... صــابوه بين الرّجال
داروله خيط الضّو ..... قـــــالوله عِد ما صار
احكي وين الأبطال ..... نقـــــــتلوك برافال
هو شهّد ربـــي ..... وغْلب عــلى الشّيطان
وفا بعهد الله ..... عطــاه الله الرحمان
يا الأمين ولدي ..... روح لأحـــمد المـاحي
قوله سيدي عمي ..... عطـــــيني الخبر الرّسمي
عْلَى بومدين أبي ..... لا بقى فالــجبل مرمي
يا شيوخ الليسي ..... لا تَقـــــهْرُوش فتحي
هو ولد مُضـحّي ..... في طـــــــاعت ربي و النبي
شوفوا معنا ما صار ..... و الصّبروا يـــــا إخوان
إذا بغا الله الرحـمان ..... يَحيِيها في ساعة
الله الله الله ..... الله يـــــا مولانا
تعطي الصبر لقلبي ..... و تســـــخّر في الذرّية[1]

[1] قصيدة للمرحومة جدّتي "**بن حابي زوبيدة**" تحكي فيها بألم ما حدث لها حين استشهاد زوجها، جدّي "**ماحي بومدين**"، أيام الاستعمار الفرنسي (1960)، رحمة الله عليهم أجمعين.

أُهدي عملي المتواضع هذا لكل من:

أمي الحبيبة و الغالية "لطيفة" و أبي مُخطط مســاري "علي"...

إلى خليلتي "فايزة" و بنْتَايَ العسل "غزلان" و السُّكر "رزان"...

إلى أختي "زوبيدة" و أخي "بومـدين" أعزّ ما أنجبت لي أمي...

إلى كل من ساندني من قريب أو من بعيـد لإتمام أطــروحتي...

أُقدم شكري التام إلى أستاذي الموقّر "**حجيج الجنيد**"، قامة من قامات أساتذة علم الاجتماع في الجزائر... الذي قدّم لي طوال سنوات دراستي الدعم الكامل و التفهم الكافي...

كل يوم كان يمر كان ثقل إتمام الأطروحة يكبر و يكبر، بينما كان الأستاذ "حجيج" دوما حاضرا بسنده يخفف حجم ذلك الثقل...

لم يتوان أبدا لا بكبيرة و لا بصغيرة علمية إلا و قدّمها لي، على طبق مميز، يفتح شهيتي العلمية و يجعلني أفكر من جديد للقدوم أماما نحو إتمام و إتقان العمل...

فألف تحية و شكر و عرفان لك يا أستاذي الكريم.

"... إن البحث العلمي يستطيع أن يُقلل من الخرافات لأنه يُشجع الناس على التفكير و النظر للأشياء في حدود العلة و المعلول. و من المؤكد أنه يَكمُنُ وراء كلّ بحث علمي ما – من الأهمية – اقتناع يشبه الشعور الديني بأن العالم معقول يمكن فهمه".

(ألبيرت أينشتاين)[1]

[1] ألبيرت أينشتاين، أفكار و آراء، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986. ص50.

الـفـهـــرس:

مقدمة عامة

(**الأسس النظرية، الإشكال و المنهجية**) ص08

الجزء الأول: كرة القدم و المُجتمع ص42

مقدمة الجزء: ص43

الفصل الأول: من أجل سوسيولوجيا رياضة كرة القدم ص45

المبحث الأول: تفسيرات اجتماعية عامة للظاهرة الرياضية ص45

المبحث الثاني: الظاهرة الرياضة الأكثر شعبية ص57

المبحث الثالث: اللاعب رقم 12 (المُناصر) ص68

الفصل الثاني: كرة القدم بزيّها الجزائري ص84

المبحث الأول: لمحة عامة عن بداية كرة القدم في الجزائر ص84

المبحث الثاني: بين اللعبة و الرياضة، السياسة تسعى لتبنى كرة القدم ص94

المبحثال الثالث:مدينة وهران من خلال فريقين عريقين، الجمعية و المولودية ص108

خاتمة الجزء: ص116

الجزء الثاني: ملاعب كرة القدم، امتداد للفضاء الحضري..... ص117

مقدمة الجزء:..... ص118

الفصل الأول: التطرف الرياضي في الوسط الحضري ص120

المبحث الأول: الوسط الرياضي الجماهيري (المدرجات) و الوسط الحضري ص120

المبحث الثاني: شباب الفضاء الحضري، كرة القدم و العنف ص128

المبحث الثالث: نموذج التعصب الرياضي "الألتراس" ص138

الفصل الثاني: الملاعب كفضاءات اجتماعية حضرية..... ص154

المبحث الأول:المناصر المشجع المنتج (الفعّال) ص154

المبحث الثاني: المناصر المُتفرج المستهلك (المشاهد) ص161

المبحث الثالث: الكفاءات الخطابية الشبابية ص171

خاتمة الجزء: ص181

خاتمة عامة ص183

المراجع و المصادر..... ص189

الملاحق ص201

مُقَدّمةٌ عَامّة

مقدمة عامة:

تُعتبر الرّياضة بمختلف صورها وفق نمطها المعاصر الحديث (النمط المؤطَّر و المؤسساتي) واحدة من أبرز الأحداث التي ميّزت تطوُّر السُّلوك الإنساني ككل، "يُمكن أن نعتبر الرياضة حاليّا كمنفذ وحيد ملموس للغريزة الصراعية، أيْ بعبارة أشمل، وحدها حضارةُ الألعاب و الرياضة من يُمكن لها إشباع –بدون ضرر– تلك الحاجة المُلحّة للإثبات الصّراعي للوجود"[1]، رياضة كرة القدم بدورها هي كذلك أحد أبرز ابتكارات القرن التاسع عشر فهي تُعْرف بالرّياضة الأكثر شعبيّة في العالم[2]، لها قوانينها، تاريخها و أحداث عديدة تُميّز تطوّر مسارها لتَنسُج لها هذه الغزارة الشعبية و هذا العدد الكبير من المهتمّين بها. يَتجلّى صدى رياضة كرة القدم في أبهى صُوَره فيرسُم لنا ما يُسمّى "بجمهور المناصرين" أو "المشجعين" (مثلما هو مُتداول). لقد أصبح هذا الجمهور أحد المكوّنات الرئيسية لهذه اللعبة، لدرجة أنّنـا لو فَصَلنـــــا ملاعب كرة القدم عن المدرجات التي تحيط بها لما نتج كل هذا الصدى و الأثر لهذه الرياضة (فترة منع المناصرين من دخول مدرجات الملاعب أثناء انتشار وباء كورونا في سنة 2019 تُبيّن ذلك، حيث يُؤكد المختصّون آنذاك أن كرة القدم لم يعد لها طعم دون وجود جمهورها على المدرجات).

يختلف شكل الجماهير المناصرة الذي تتجلى فيه و صور الأنشطة التي تتميز بإنتاجها باختلاف مجموعة من العناصر و المتغيرات التي تجعل الباحثين و المختصين، مُجبرين على التوقّف لتبيان التفسيرات المحَدّدة لهذه الاختلافات، إن للرياضة فلسفة يُمكن تفسيرها على أنها أسلوب ممارسة أولئك الذين لا يستسلمون للّعبة إلى حد أنهم ينسون أنها لعبة، أولئك الذين يُتقنون ترك مسافة أمام الدَّور، مسافةٌ تنطوي عليها جميع الأدوار الموعودة لقادة المستقبل. في حين أنّه بالمقابل لهذا التفسير النّظري، هناك لدى الجماهير المُناصرة تصوُّرات عديدة خاصة بها، تتبنى بموجبها مفهوم الرياضة ككل و كرة القدم و لروحها بصفة خاصة، بخُلاصة سنَجدُ داخل نفس الحقل الرياضي عدّة صُوَر للمُناصرين،

[1] M. PERELMAN, Corps, espace et urbanisme, In Revue: Quel corps? N° 26/27, Paris, 05/1985, p38.

[2] Cf. P. BONIFACE, Le monde contemporain, grandes lignes de partage, Ed Puf, Paris, 2001.

مقدمة عامة

هذا الاختلاف هو لُبّ و جَوْهر بَحثنا الذي يتأصل به عن غيره من البُحوث المُتعلقة بعيّنة مُجتمعه (الفضاء الحضري لمدينة وهران).

"الرياضة هي ظاهرة اجتماعية و مُمارسة في ذات الوقت"[1]، إنّنا من خلال مُحاولتنا البحث و التحقيق في شكل و نمط الأبعاد الاجتماعية لهذه الظاهرة، سنلاحظ أنّ هذه الأبعاد و الصور – في حدّ ذاتها – تُعتبر كأحد المكونات الرئيسية للظاهرة الرياضية ككل، و نخص بالذكر في حديثنا عن الرياضة، كرة القدم. لا يمكننا تصور كرة قدم من دون بعد سياسي ذو صلة بها، أو كرة قدم من دون صدى جماهيري و ما يجلبه هذا الجمهور من رصيد اجتماعي إلى ميادينها و مدرجاتها، أو كرة قدم من دون عمل تسييري و نشاط اقتصادي يحوم حولها... إن رياضة كرة القدم برزت، نشأت و انتشرت ضمن ظروف تختلف من مجتمع لآخر جعلتها تحمل سمات تلك المجتمعات و تُصبح في بعض الأحيان مكوّنا عضويا لها (نأخذ على سبيل المثال اختلاف درجة الاحتكاك، أو العنف المسموح به، بين لاعبي كرة القدم على مستوياتها الاحترافية من بلد لآخر، فأصبح يُنسب هذا الاختلاف لدى المهتمين باللعبة إلى ذلك البلد: لعب إنجليزي أو لعب إيطالي... بينما الحديث هو عن نفس الرياضة أو اللعبة).

نحن بهذا الشأن نؤكد على أهميّة أخذ بعين الاعتبار البعد الاجتماعي للظاهرة الرياضية ككل و لكرة القدم بصفة خاصة. بالمقابل لذلك فهذا لا يعني أننا نحجب الرّؤية أو تناسي عن ما تملكه الظاهرة الرياضية من قوّة مُستقلة خاصة بها، تجعلها هي كذلك كعنصر مؤثر في الفضاء الاجتماعي العام، "لا يمكننا أن نفهم مباشرة ماهية الظواهر الرياضية في فترة زمنية مُعيّنة، و داخل بيئة اجتماعية معيّنة، من خلال ربطها فقط بعلاقة حتميّة، إلزامية و صلبة مع الشروط الاقتصادية و التفاصيل الاجتماعية للمجتمعات المعنية فحسب، فتاريخ الرياضة تاريخ مستقل نسبيا

[1] ع. بن جليد، الرياضة ظاهرة و ممارسات (مرجع سبق ذكره)، ص8.

يمتلك – حتى لو أثّرت عليه الأحداث الكبيرة للتاريخ الاقتصادي و السياسي – إيقاعه الخاص به و قوانين تطوره الخاصة به و أزماته الخاصة به مُنفردا، باختصار تسلسل أحداثه التاريخية الخاصة به هو كذلك"[1].

لسنا بهذا نتناقض في تحليلنا لظاهرة أطروحتنا، إلا أنه من الضروري رسم الخطوط العريضة و المعقدة المحدّدة لشريط بداية و نهاية كل مجال ذو صلة بالموضوع. حقيقة أن المناصرة في حقل كرة القدم تحمل بين تفاصيلها العديد من الأبعاد ذات الطابع الاجتماعي، و كذلك الرياضة بشكل أوسع و عام، إلا أن هذه الأخيرة لها نسق يجعلها ظاهرة حُرّة بحد ذاتها. من هذا المنظور، و كنقطة انطلاق، نتساءل كيف يمكن للعبة ترفيهيّة ذات أصل منشئي تاريخي انجليزي تعرف برياضة أو لعبة "كرة القدم"، أن تصبح مولد رئيسي لنشاط جسمي و فكري يتجلى في صُوَر متنوعة من الجماهير الرياضية التي تتخذ من مدرجات الملاعب مسرحا لممارسة هذا النشاط تحت مصطلح المناصرة؟

نجد في هذا الشأن عدّة أبحاث، كل من وجهة نظرها، تهتم بهذا الصدى الكبير لرياضة كرة القدم و ما ينتج عنها من متابعة جماهيرية عبر مدرجات الملاعب التي تجري بها تفاصيلها، نذكر منها ما قدّمه J-M. BROHM من إضافة بارزة في هذا الحقل، لقد استعمل عبارة شديدة الأثر في سياق أبحاثه، حين عبّر عن صورة ذلك الصدى العام الناتج بين المناصرين في المدرجات باستعمال عبارة "الطاعون الانفعالي" (la peste émotionnelle)[2]، أين حاول إعطاء تفسير لذلك الكمّ من الأثر الانفعالي الذي ينتقل بين أفراد المجموعة كالوباء. لقد حاوَلَ J-M. BROHM في العديد من مؤلفاته أن يُفسّر تلك الآثار السيكولوجية المتعلقة بالحشود و الجماهير، فَهو يرى أنّ كُرة القدم هي الرّياضة الأولى في هذا الميدان، إنها التظاهرة الأكثر إنتاجا للأحداث و الأكثر حماسا و شعبية على المستوى العالمي. في نفس السياق يضيف C. BROMBERGER من زاوية نظر إثنولوجية، ليوظّف عبارة "إثنولوجيا الولع الجماعي" (Ethnologie d'une passion partisane) حيث يسعى في العديد من أعماله للكشف عن ذلك

[1] بورديو. ب، أسئلة علم الاجتماع: كيف يستطيع المرء أن يكون رياضيا؟ دار العام الثالث للنشر و التوزيع، القاهرة، 1995، ص196.

[2] J-M. BROHM et M. PERELMAN, Le football, une peste émotionnelle, Ed Gallimard, Paris, 2006, P29.

مقدمة عامة

"الهيكل السيمنطيقي"[1] (sémantique)، أي الكشف عن دلالات مختلف الألفاظ المحيطة بمباراة كرة القدم و الولع المُـتحزب الذي يحيط بها، كما أنه يحاول التركيز في أبحاثه على تفسير لمعنى سلوك و حركات ذلك الغليان الجماعي البادي للعيان و ما يميزه عن سائر الظواهر.

إننا هنا بصدد الحديث عن إثنولوجيا تتعدد فيها زوايا و مستويات النظر، بما يسمح برصد تداخل الانتماءات و المحددات في عالمنا المعاصر، و حصر الخصائص المميزة للموضوع، من ثم الحصول على تفسيرات متنوعة الزوايا. في هذا الشأن فإننا نهدف بدورنا لتفسير المنطلقات المنطقيّة الصّراعية الناتجة عن مجابهة مُختلف الهويّات داخل مُدرجات ملاعب كرة القدم، و توجيه النظر نحو العلاقة التي يَنسجها المناصرون بفرقهم للتدقيق في الآليات المتحكمة في شكل مُناصرتهم. كما نحاول تبيان ماهية الينابيع الأساسية للمناصرة، أين نجد أن النابع العاطفي واحدا من أبرزها، فالمناصرون يبحثون عن شكل من النشوة، ذلك أن المناصرة تحمل ميزة الاحتفالية الشديدة، دون غض النظر عن القيام بمُعاينة الظاهرة من زاوية الدراسات الصراعية أيْ حَدَثيّة الظاهرة (étude polémologique)، فظاهرة المناصرة تحاول توليد ذلك الّيف الإنتمائي لقضية أو لجهة ما (مثله مثل ليف الانتماء للوطن) بربط جذورها في ما يسمى بالمخيال الحربي (imaginaire guerrier).

تجدر الإشارة في نفس الوقت إلى مدى الصعوبات التي واجهتها الدراسات المهتمة بسوسيولوجا البحث الرياضي منذ بدايات مسارها، فلقد تم اعتبار الظاهرة الرياضية غريبة عن ميدان البحث الاجتماعي، في هذا الشأن يُصرّح N. ELIAS "...في سنوات الخمسينات، موضوع كهذا (الرياضة و الترفيه)، كان خارج عن إطار الشرعية السوسيولوجية، فعندما بدأنا التفكير في السؤال الذي يهمّنا هنا، كانت السوسيولوجيا الرياضية لا تزال في بدايتها. أنا أتذكر جيدا أننا تساءلنا مرارا إذا كان يمكن للرياضة أو بصفة أدق كرة القدم. أن تُعتبر كموضوع بحث لائق بالعلوم

[1] سيداج. ن. ب، عرض لمباراة كرة القدم: اثنولوجيا الولع المتحزب في مرسيلي، نابولي، تورينو، ، مجلة متون عصرية، التمدن بين الاجتماع و التاريخ، (CEDEJ)، رقم 02، المطبعة الذهبية، القاهرة، 2001، ص174.

الاجتماعية..."[1]. فميدان بحث علم الاجتماع كان يرتبط بصفة مباشرة بكلّ ما يصدر عن المجتمع من ظواهر متغلغلة داخله زمنيا، إن صحّ القول ظواهر تستثني الجزء الترفيهي (الرياضي) من الحياة الاجتماعية التي هي أكثر جدّية، كالحديث عن ظاهرة الانتحار أو البحث في الطبقات الاجتماعية أو ما إلى ذلك من ظواهر تمّ ميراثها عن ميادين أخرى سابقة لعلم الاجتماع كعلم النفس، علم الاقتصاد أو الفلسفة بصفة عامة. هذا ما يتناقض مع أبجديّات الشغف العلمي "فإذا كان نفس الرجال الذين يستطيعون الذهاب للمعاني يُصرّحون دون عناء أن المعاني هي من تأتي إليهم أولا، فإننا أمام وضعية بدون منفذ"[2].

إضافة إلى نفس السياق يُفسّر G. W. F. HEGEL الرياضة في كتابه "فلسفة التاريخ" كما يلي: "الرياضة نفسها مُعارضة للعمل الجاد و التبعية و العوز. فلم تكن هذه المصارعة و العدو و الخصومة مسألة جدية، فلا يوصى بأي التزام تجاه الدفاع و لا ضرورة للقتال. إن الانشغال الجاد هو العمل الذي له مرجعية تربطه بعوز ما. أنا و الطبيعة يجب أن نخضع؛ فإذا كان للفرد أن يستمر و يصمد، فيجب على الآخر أن يسقط. و لكن، على النقيض من هذا النوع من الجدّية الأعلى درجة، لأن الطبيعة في الرياضة تتشكل و تتحول إلى روح. و رغم أنه في هذه المنافسات لم يرتق الفرد إلى أعلى درجات الفكر الجاد، فهو في ممارسته لقواه البدنية يُثبت حريته؛ أي أنه حوّل جسده إلى عضو روحاني"[3]، ربما حاول G. W. F. HEGEL هنا أن يبين التمايز الذي ينشأ بين الجدّ و اللهو و الحيز الذي تشغله الرياضة بينهما، إلا أنه يصرح كذلك بتداخل عناصر الموضوع الرياضي فيما بينها، و النتيجة ستكون في الأخير بحسب درجة تداخل كل عنصر مع الآخر لتبلغ في الأخير درجة تحول الجسد من مادة إلى عضو روحاني.

[1] N. ELIAS, E. DUNNING, Sport et civilisation: la violence maitrisée, Ed Fayard, Paris, 1986, P 1.

[2] G. MAGNANE, Sociologie du sport, Ed Gallimard, Paris, 1964, P 19.

[3] ستيفن كونور، فلسفة الرياضة، ترجمة طارق راشد عليان، دائرة الثقافة والسياحة، أبوظبي، 2019، ص45-46.

مقدمة عامة

بالنسبة لنا فإننا كُنّا قد صادفنا سابقا في مذكّرة بحثنا الخاصة بمذكرة الماجستير[1] هذا الشكل من الرّفض من قبل العديد من الجهات التي أثّرت في سير البحث و عدم اكتراثها لأهمّية ما نسعى إليه (خاصة من قبل الجهات الرّسمية التي لها حصريّة إمدادنا ببعض المعطيات كالأرقام الإحصائية التي كنّا بحاجة إليها ...). في هذا الشأن يصرح "يوسف فاتس" كذلك ليبين مدى الصعوبات التي تواجه الباحث في موضوع ذا صلة بالتشجيع الرياضي أو العنف في الملاعب: "هناك انعدم للمراجع الصحيحة و المتاحة من جانب وزارة الداخلية، وزارة العدل أو وزارة الشبيبة و الرياضة... وثائق رسمية، إحصائيات، تقارير، معلومات لهيئات مختصة حول العنف في الملاعب مثل التي تتعلق بالفترة الاستعمارية و التي كانت متاحة..."[2].

إلا أنه تجدر الإشارة من جهة أخرى أن هذه النظرة بسذاجة، نحو أهمية الموضوع سوسيولوجيا تشهد تراجعا نسبيا، لتبرز و تتأكد مرّة أخرى ضرورة العودة لرأي الباحث الأخصائي السوسيولوجي الذي يملك دون شك منهجا علميّا و رصيدا تجريبيا خاصّا نحو الظواهر الاجتماعية ككل، يُمكّنه من تفسير العديد من التساؤلات ذات العلاقة بالموضوع. باستطاعتنا من هنا الجزم بصفة مؤكدّة على حقيقة وجود "ظاهرة"، أي أنّنـــا لسنا فقط أمام أعراض زائلة أو مؤقتة لإشكال ما. بخلاصة، إنّ الرياضة ككل و كرة القدم على وجه التحديد ظاهرة تحمل بعدا اجتماعيا عميقا. "إنه أمر غير قابل للمساومة في تاريخ الفلسفة، حين يهتم باحث بالواقع الرياضي لدرجة تأليف كتاب ضخم فهو يسير عكس التيار التقليدي الفلسفي، الذي يفصل جذريا بين ما هو ذكائي و ما هو إحساسي في سُلم القيم، ليتم احتقار الجسم و نشاطاته"[3].

---

[1] (انظر) ماحي محمد عباس، الرياضة و العنف في الوسط الحضري: دراسة سوسيو-أنثروبولوجية لدى شباب مدينة وهران، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير، جامعة وهران، 2014.

[2] Y. FATES, Sport et politique en Algérie, Ed l'Harmattan, Paris, 2009, p267.

[3] B. JEU, M. BOUET, Signification du sport, In Revue française de sociologie, N° 12-2 Paris, 1971, p263.

مقدمة عامة

إن الرياضة لم تعد حكرا على فئة أو نخبة ما، أصبح للجميع الحق في الرياضة بكل الأشكال (كممارسة أو كاهتمام) مثلما كان يطالب المجتمع في مرحلة ما "بالحق في المدينة"[1]. و ما أشكال المناصرة للفرق الكروية داخل المدرجات إلا دليل للرابط القوي الذي يجمع المناصر بفريق مدينته (نخص بحديثنا الفرق التي أخذناها كعيّنة). فمناصرة فريق ما مبنية في أساسها على تلك العلاقة بين مدينة الفريق (بمفهوميها الزمني و المكاني) و بين الفرد أو الجماعة. إنّ المدينة هي الأخرى تُنتج الضوابط الخاصة بوجودها، من خلال تعدُّد وظائفها و هذا ما يفسّر اختلاف خصائص الوسط الحضري عن باقي الأوساط الأخرى. أي وجود نوع جديد من العلاقات، بنية أسرية أُخرى، و بهذا، نموذج حياة جديد، (عمل، استهلاك و سكن)[2]، كلّ هذا سينعكس على شكل الرابط المنسوج بين مُختلف المناصرين و فريق مدينتهم.

في هذا الشأن يرى J-M. ROHM "أن الرياضة تُساهم جليّا في تشكيل الفضاء المجرّد للمدينة، فهي من خلال تطوّرها لم تُفارق أبدا التحضّر الإسمنتي الذي يرسم المدن المعاصرة حولها... الرياضة تنفصل عن الطبيعة و تُشكل عالمها الخاص، مُناخها الخاص... الرياضة إذن هي الإدراك الفضائي المنفصل عن الكون"[3]. لهذا و بالعودة لوجهة نظر R. E. PARK، نجد أن المدينة هي أكثر محاولات الإنسان اتساقا و نجاحا في إعادة تشكيل العالم الذي يعيش فيه بما يتلاءم مع رغباته، و هو بذلك قد أعاد تشكيل نفسه[4]. من هنا نستنتج أن الظاهرة الرياضية تجد في الفضاء الحضري مناخا خصبا يشجعها على النمو بفروعها التي تتشعب في زوايا و اتجاهات مختلفة أبرزها ما نحاول البحث فيه عبر أطروحتنا من أشكال المناصرة الجماهيرية لرياضة كرة القدم.

---

[1] Cf. H. LEFEBVRE, Le droit à la ville, Ed Economica, 3eme édition, Paris, 2009.

[2] Cf. D. HADJIDJ, Le paradoxe de l'espace public dans la ville algérienne, In Revue: Afrique et Développement Vol XXXVI, N° 2, CODESERIA, Dakar, 2011, p207-219.

[3] M. PERELMAN, Corps, espace et urbanisme, Op. cit, p31.

[4] (أنظر) هارفي. د، مُدن مُتمرّدة: من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، بيروت، 2017.

مقدمة عامة

نؤكد في هذا السياق أن الرياضة و اللعبة مصطلحان مختلفان جوهريا و لو دلاّ في التصور العام على نفس الموضوع (في حالتنا كرة القدم)، العديد من الباحثين المختصين و المؤرخين الرياضيين يميزون بين المصطلحين خلال أبحاثهم، مثلما يبين ذلك P. PREVOT في مذكرته حول نمط الهيئة الرياضية في الجزائر سنوات 1970: "لقد بلغت الرياضة درجة عالية من التنظيم التقني، تجهيز الوسائل و التفكير العلمي حتى أصبحت في ممارستها الجماعية و الشعبية تكاد تخلو من مجال اللعب... يجب التمييز بين الرياضة التي بقيت لعبة و بين الرياضة التي لم يتبقى منها تقريبا شيئا من مؤشرات اللعب، لذا وجب استعمال المفردات الصحيحة..."[1]. لذلك فإن فهم مختلف الشروط التاريخية و الاجتماعية المشكلة للظاهرة الرياضية الاجتماعية أمر ضروري، فنحن حاليا أمام ظاهرة تبدو بسيطة مقبولة ذهنيا باعتبارها بديهية، يضيف في هذا الشأن P. BOURDIEU أن "ظاهرة الرياضة الحديثة لها شروط اجتماعية وفّرت لها إمكانية بناء نظام من المؤسسات و الأنشطة المرتبطة على نحو مباشر أو غير مباشر بوجود ألوان من الممارس و الاستهلاك الرياضي، بدءا من التجمعات الرياضية العامة... التي تضمن تمثيل مصالح مُمارسي الرياضة... وتأسيس قواعد تحكم هذه الممارسة و تطبيقها"[2].

من منظور ميكرو–سوسيولوجي (مجهري) لما ينجرُّ عن ظاهرة المناصرة في حقل كرة القدم من أثر داخل الوسط الحضري، لا يمكن عدم ذكر تلك الأحداث الهيجانية التي تجد في ملاعب المدينة منفذا تفلت عبره لتُخلف أثرا داخل هذه المدينة. جُرأة و قوّة علامة تلك الأحداث تدفعنا أحيانا لاستعمال عبارة "اللاحضارة" من خلال غياب السلوك المسمّى بالحضاري، و أحيانا أخرى تُعذر التصرفات أو تُحاوِل أن تجد لنفسها تفسيرات تصب لهدف أن يُسمع صوت ما و يتم احترامه و اعتباره. عبر هذه الأحداث يسعى الفرد للتستّر خلف ضمير المُخاطَب "أنتم"، فالفضاء العام لا يمكن أن يكون أبدا ملك شخص، كما أنه على الحضارة أن تُطبق بعض الحيادية، هذه الأخيرة هي

[1] P. PREVOT, Approches de l'institution sportive: cadre de référence l'Algérie, Mémoire de Maitrise de Sociologie, Université Paris V - SORBONNE, Session Juin 1979, p23-24.

[2] بورديو. ب (مرجع سبق ذكره)، ص196.

ما سيستغله الشباب عبر هذا الفضاء. من جهة أخرى فإن العنف الناتج في الفضاء الحضري بسبب مُناصرة فريق كرة قدم يدفعنا لإعادة النظر في وظيفة الحياة الجماعية ككلّ، نظرا لما ما يتولّد بالمقابل من شعور بالقلق الذي يمكن أن يُترجم بالتأزم (يمكن أن نذكر على سبيل المثال ما ينجرّ بعد لقاء كرة قدم من تكسير لزجاج المحلات و محطات الحافلات و رمي بالحجارة و الكتابات الجدارية المعبرة...).

نحن بهذا أمام نوع من الفردانية بالرغم من أنّ الصورة تبيّن أن العنف جماعي، هذه الفردانية تَنتُج كذلك من جراء انخفاض درجة الحماية، بمعنى تفاقم اللاأمن الاجتماعي، بما أن الفرد لم يعد دائم التسجيل في نظام الضبط الجماعي، فهو يربح الحرية و الاستقلالية أكثر فأكثر لكن بالمقابل يجد نفسه في سياق منافسة شديدة و فريسة للبطالة. الأقوياء ينجحون في وضع محاسنهم في الأمام أما الضعفاء فيجدون أنفسهم يتلاشون أكثر فأكثر، خاصة أنهم لا يستطيعون العودة إلى التنظيمات الجماعية التي كانت بالنسبة لهم مصدر حماية جماعية، هؤلاء إذن من سيعيشون في ظرف اللاأمن الاجتماعي[1].

بقدر ما يتضاءل احتمال نشوب صراع بين جماعتين متباعدتين بقدر ما يتزايد هذا الاحتمال في حال اقتضت مصالح إحداهما أو كلتيهما المضيّ لأجل ذلك[2]، فكثيرا ما تؤدي العلاقات القائمة على التنافس بين الجماعات إلى صراعات مُدمّرة على نحو غير متوقع. كرة القدم تحمل ضمن ميكانيزمات مناصرتها العديد من المنشّطَات المساهمة لبلوغ درجة ذلك الصراع الهمجيّ و العنيف، هذا التناقض و التنافر بين مبادئ و مصالح الجماعات سيترسّخ أكثر فأكثر مع اكتشاف اختلافات واضحة في الخصائص التكوينية أو الثقافية للجماعة و التي لن يتوانى أي طرف في استعمالها ضد الآخر، فالهدف الذي تسعى إليه كل فئة يفرض منافسة أو مواجهة أو صراعا ضدّ الفئة الأخرى.

[1] Cf. R. Castel, L'insécurité sociale: qu'est-ce qu'être protégé? Ed seuil, Paris, 2003.

[2] ص. بريك، الكره أو اللاتسامح مع الآخر، خطوات للنشر و التوزيع، دمشق، 2010. ص124.

لذا، في حال لم تتم السيطرة على أسباب التداخل بين عناصر الاختلاف الأساسية (كالعرق، اللغة، القومية، الدين...) في العلاقات القائمة بينهم، فإن التعايش بين مثل هذه الجماعات قد يصبح مسألة شبه مستحيلة.

لهذا نجد G. W. F. HEGEL يؤكّد عبر تحليله الفلسفي لإشكالية العنف من خلال تناوله الشهير لجدل السيّد و العبد، أنه عندما تتواجه شخصيتان (أو مجموعتان)، فإنهما في الواقع تغامران بحياتهما لأجل رهان مواجهة[1]. يمكننا تفسير هذا السلوك الصراعي لدى الجماهير المناصرة بالعودة لعناصر أخرى عديدة عبر أطروحتنا فالظاهرة كما أسلفنا الذكر ليست بسيطة التشكل في بُنيتها، بل هي معقّدة بقدر تعقّد العلاقات و السلوكات الاجتماعية الممكنة الوجود، فمثلا I. TAYLOR في 1969 حاول تفسير ما يعرف بعنف "الهوليكانزم" (Hoologanism) في المجتمع الإنجليزي على أنه شكل من أشكال المقاومة المستعملة من طرف بعض الفئات العاملة لأجل تسجيل رفضها للتحولات التي طرأت على كرة القدم في تلك الفترة و التي جعلتها نشاطا تجاريا، ففي سنوات 1960، نلاحظ مثلا أن سعر التذاكر ارتفع في انجلترا ما سبب في إبعاد المناصرين المتواضعين عن الملاعب[2]. الحقيقة أن العنف "موجود في المجتمع و يعتبر الملعب الإطار الجغرافي لاجتماعه و تشكله و إعادة انطلاقه و هو ما يدفعنا للتساؤل عن أسبابه و دوافعه الحقيقية"[3]

"...حين كنا نُسأل في سنوات الستينات عن وجهتنا بينما نحن في طريقنا نحو حي (المدينة الجديدة) كنا نجاوب ببساطة: نحن ذاهبون إلى وهران، لأن (المدينة الجديدة) في أعيننا كانت تمثل وهران، قلب المدينة، أين نستحم، أين نذهب للحلاق و نجلس في بهاء المقاهي على أنغام الفنّان (الشيخ حمادة)، (محمد عبد الوهاب) و (فريد

[1] إ. ميشو، ما المجتمع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص 110.

[2] P. DIETSCHY, Histoire du football, Ed Perrin, Paris, 2010, p479.

[3] قديري. م، العنف في ملاعب كرة القدم كمنتج اجتماعي، دراسة ميدانية بملاعب كرة القدم - الجزائر و البليدة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الجنائي، جامعة بن يوسف بن خدة – الجزائر، 2008-2009، ص12 .

الأطرش)... بهذا، فبعد حي (سيد الهواري) العتيق، أصبح حي المدينة الجديدة قلب مدينة وهران الجديد"[1]. هي إذن مدينة موروثة عن ماضي استعماري فرنسي ترك أثره في الثقافة الشعبية ككل، الفضاء الحضري لمدينة وهران هو جزء من هذا الإرث. حين كانت الجزائر تعيش تحت ظل الاستعمار الفرنسي شهدت كبرى المقاطعات آنذاك تأسيس نوادي رياضية، لقد توافق ذلك مع زمن البزوغ السياسي و الوعي بإمكانية استعمال بعض أسلحة الاستعمار، كالنظام الدراسي التعليمي و الشكل الجمعوي، وذلك كوسيلة مبادرة نحو التحرر.

بهذا إذن تم تأسيس نوادي رياضية مسلمة و تم استثمارها سياسيا، و بالخصوص في القضية الوطنية الجذرية. الانشغالات السياسية بدأت تسود ميدان كرة القدم أثناء فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر و تمّ اعتبارها عرضية، استقرت عبر الزّمن بصفة دائمة و انتظمت بمباريات بين "القبيلتين": الأروبية و المسلمة. هذا ما ولّد عنف اتّخذ معاني سياسية و الذي عِوَض أن يجمع بين "القبيلتين" زاد الفجّة اتساعا بينها. من هنا سعت الجمعية الرياضية لكي تصبح مكان بناء الهوية الخاصة بضمير "نحن" عبر ممارسة أشكال معقدة، و مُسايرةً للاستهلال الحديث الراهن بزمنه (initiation moderne) أمام نموذج حياة جماعية جديد. من هنا تمّ تطوير الضمير الجماعي لعلامات الانتماء من أجل المساهمة في تأسيس صلابة وطنية متماسكة و هجومية أمام القوة الاستعمارية. إن المنافسة الرياضية سمحت بالانتقال من الفرد السلبي، المستعمَر، إلى الفاعل التاريخي. أخيرا، يمكن ربط العنف الرياضي الخاص بالمرحلة الاستعمارية الفرنسية بالعنف الثوري المتعلق بالعمل التحرّري في سبيل الوطن[2].

[1] تصريح من مقابلة أجريت مع الكاتب و الصحفي المؤرخ "بلعروي محمد" (70 سنة) سنة 2016، هو كذلك مناصر لفريق مولودية وهران (مقابلة استطلاعية).

[2] Cf. Y. FATES, Le club sportif, structure d'encadrement et de formation nationaliste de la jeunesse musulmane pendant la période coloniale. S/D: N. BANCEL, D. DENIS , Y. FATES, De l'Indochine à l'Algérie, La jeunesse en mouvements des deux côtés du miroir colonial, 1940-1962, Éd La Découverte, Paris, 2003, p150-162.

مقدمة عامة

في ظل هذه الظروف الاستثنائية تم تأسيس أوّل النوادي الرياضية و فرق كرة القدم، فمنذ سنة 1910 شهد قطاع وهران مثل قطاع الجزائر و قسنطينة بداية تأسيس النوادي الكروية الأولى المختلطة بالفرنسيين و العرب، كما تم انتداب بعض الجزائريين المهتمين بالثقافة البدنية الرياضية و المعجبين بممارسة كرة القدم إلى فرق أروبية نظرا لأدائهم الحسن. في ظل هذا الجو من الاكتساب المعرفي لنمط الممارسة الرياضية عبر وسائل قانونية كتأسيس الجمعيات الرياضية، تأسست سنة 1917 "المولودية الحامدية" (MOULOUDIA HAMIDIA). يجب الإشارة إلى أن شكل الفرق التي نحن بصدد الحديث عنها كان ذا بعد و صبغة جمعوية مُختلف عن حاضرها، و منها من لم يكن لها علاقة حتمية بممارسة كرة القدم، اسم المولودية سبق تأسيس الفريق الرياضي بسنين و التي كانت عبارة عن جمعية ثقافية موسيقية. لتشهد مدينة وهران بعدها تأسيس فريق "اتحاد وهران" في 1926، أين عرف العديد من النجاحات و احتوائه لأفضل اللاعبين و المسيّرين. ثم بعد ذلك تلى بروز فرق عريقة آخر هي "جمعية وهران" (ASMO) و فريق "أمل وهران المسلمة" (Espérance Musulmane Oranaise)[1].

من هنا نُذكر البعد السياسي الذي لعبته كرة القدم لأجل القضية الجزائرية أيام الاستعمار الفرنسي، هذا البعد يظل قائما بمنظور و أهداف أخرى ليثبت أن الرياضة متشعبة في مختلف الميادين ذات الصلة بالمجتمع بصفة عامة، يصرح في هذا الشأن "رحايل الطيب" في أطروحته حول هيئة كرة القدم و الهوية الشبابية أن "الرياضة في مرحلة الاستعمار الفرنسي للجزائر استطاعت أن تبين أنها مؤشر هام للتعريف بالهوية الوطنية كم يوجد علاقة قوية بين الرياضة و السياسة خصوصا حين تحضر عناصر رمزية وطنية (الألوان، الرايات، الأناشيد...) في المنافسات الرسمية أو الودّية... لقد استطاعت كرة القدم أن تكون في خدمة الحرية"[2].

---

[1] المعلومات التي أشرنا إليها في هذا النص و ذات الصلة بتاريخ الفريقين الرياضيين الذين حدّدناهما لأجل الدراسة (جمعية وهران و مولودية وهران)، تم الحصول عليها من خلال مجموعة من اللقاءات و المقابلات الميدانية مع شخصيتين بارزتين في هذا الحقل، بلعروي محمد (كاتب، مؤرخ و صحفي) و عجال الهواري (صحفي بجريدة Le Quotidien).

[2] T. REHAIL, Football institutionnel et identités juvéniles, cas de Kheroub - Constantine, Thèse de Doctorat sciences, Université d'Oran, année universitaire 2013/2014, p71.

مقدمة عامة

لقد اكتسب المجتمع الجزائري في مكوناته الثقافية جزءا واسعا مخصصا لما يطلق عليه بالثقافة الرياضية، هذه الأخيرة مثلما يعرفها "بن صالح براهيم" في أطروحته الموسومة بعنوان "ثقافة الاحتراف الرياضي في الجزائر"[1] أنّها إحدى أصناف الثقافة العامة و تعتمد في بنائها على مختلف نواحي المعرفة الإنسانية الصحية، السياسية، الفنية، الاجتماعية و غيرها...[2]، لتشكل في عمومها تلك الثقافة العامة الضرورية لبناء الشخصية الثقافية. لذلك يعتبر J. DEFERANCE أن الرياضة ممارسة ممارسة طبيعية و غريزية تهذب السلوك الإنساني و تبعث على تنظيم أشكال اجتماعية مختلفة في إطار سليم يعتمد على الأسلوب العلمي استغلال الطاقات و زيادة الانتاج حيث أصبح البدن و المحافظة عليه ضرورة من ضروريات الحياة الاجتماعية و الثقافية[3]. يظهر هذا البعد الثقافي جليا لدى جل الشباب الذي قابلناه في مدينة وهران، فلقد أصبح من غير المعقول أن تجد شابا يجهل فريقا رياضيا على مستوى البطولة المحلية أو حتى البطولات الأروبية، بل إن حجم الإدراك الثقافي يعتبر مرتفعا جدا لتجد مثلا بين الوسط الرياضي يقول أن "الجزائر بها 45 مليون مدرّب و محلل رياضي".

يوجد بمدينة وهران في الوقت الرّاهن مجموعة عريضة من الجمعيات، النوادي و الفرق الرياضية المُتعلقة برياضة كرة القدم و التي لها شعبيّات تختلف باختلاف مجموعة من المتغيرات ذات الصّلة بها، كعراقة و نشأة الفرق (زمنيا و مكانيا)، النتائج المُحقّقة طوال مسارها، الحيّ السكني للمناصر أو الانتماء الإقامي[4]، قوة تسيير الفرق اقتصاديا و إداريا في البطولة التي تنشط بها بالإضافة إلى متغيرات أخرى يتم اكتسابها من قبل المُناصر خلال تنشئته الاجتماعية بصفة عامة... أبرز هذه الفرق من حيث الصدى و الشعبية بين مجمل مُناصري كرة القدم بمدينة وهران، نجد تلك التي كانت تنشط في البطولة المحترفة الأولى لموسم 2016/2015 مُمثلة لمدينة وهران، و نقصد بذلك كل

---

[1] بن صالح. ب، ثقافة الاحتراف الرياضي في الجزائر، كرة القدم نموذجا، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم، جامعة وهران 2، 2019/2018، ص6.

[2] P. LAURE, M. FALCOZ, Sociologie: l'essentiel en sciences du sport, Ed. Ellipses, Paris, 2004, p49.

[3] J. DEFERANCE, Regard sur la sociologie du sport, In. Savoir/agin, N°15, Paris, 2011, p59-66.

[4] هناك أفراد يقيمون في أحياء حديثة المنشأ نسبيا مقارنة بالأحياء الشعبية التي ورثتها مدينة وهران غداة الاستقلال في 1962، مثل حي إيسطو، حي اللوز، حي الصباح... لكنهم ينتمون ذهنيا و مشاعريا إلى أحياء أخرى أكثر عراقة و شعبية كحي الحمري، مديوني، قمبيطة... لعدة أسباب منها إقامة هؤلاء الأفراد في تلك الأحياء في فترة ما أو وجود أقارب كالأب و الأم يقيمون بها... و هم بهذا الانتماء يشعرون بالفخر و يصرحون بذلك للدلالة أنهم ينتمون للمدينة، و إثبات دليل سبب مناصرتهم فريقهم المُفضّل.

مقدمة عامة

من فريقي "جمعيّة وهران" ASMO و "مولوديّة وهران" MCO. في هذا السياق نجد فرقا أخرى عريقة هي كذلك، لكنها أقل صدى جماهيري لأسباب عديدة أبرزها تلك التي أسلفنا ذكرها في ما يخص مُحدّدات الشّعبية. نذكر كمثال لهذه الفرق: "إتحاد وهران"، "مديوني وهران"، "النادي الكروي الوهراني"، "النادي الكروي الكمين"... لأسباب منهجية أهمها طبيعة الطرح (الإشكال العام)، و لأسباب متعلقة بالإمكانيات المادية و الزمنية سنُركز في دراستنا الميدانية على كل من فريقي "جمعية وهران ASMO" و "مولودية وهران MCO".

من هنا يلعب الفضاء الحضري عبر ملاعب كرة القدم دور نواة جاذبة نحو هذه الملاعب، في هذا الشأن يُميّز "بن جليد. ع" بين أولئك الشباب الذين يسكنون داخل المدينة أين تعوّدوا التردّد على فضاءات النادي الذي يناصرونه و بين أولئك الذين يأتون من بعيد (الضواحي). يمتد هذا التميز بينهما عن طريق نوعية الانخراط بين "مناصرين ناشطين يقدمون دعما ماديا و معنويا للفريق و جمهور حامل لمكونات متنوعة يدعى بالمتفرجين المحتملين"[1]. هذا ما يفسره "بن جليد. ع" بالرغبة في المدينة التي تعتبر فكرة مشروعة بالنسبة لأي شاب يطمح في حياة مليئة بالنشاطات، لذلك يلعب المخيال هنا دورا هاما في التكوين الاجتماعي و الثقافي للشاب، حين يتم تحديد المعالم الخاصة به ضمن المجال الحضري و بناء محيط اجتماعي يتكون أساسا من شباب آخرين يتقاسمون بينهم غاية إقامة علاقات اجتماعية. من هنا سيشكل الملعب وعاء لمختلف الشباب بمختلف انتماءاتهم الحضرية أو ضاحية المدينة لتصريف الانفعالات المكبوتة حيث يُسمح بكل شيء داخل هذا الوعاء و هو الأمر المختلف خارجه. فأسوار الملاعب تعتبر مكانا مفضلا للتعبير بصوت عال عن سوء المعيشة، الهشاشة، الطلب الاجتماعي و التنديد بمختلف انحرافات المجتمع و خاصة الاحتقار الذي تمارسه السلطات السياسية اتجاههم.

[1] بن جليد. ع، ملعب كرة القدم: مكان للتعايش الاجتماعي، للتعبير و لإدماج شباب ضاحية مدينة وهران، مجلة إنسانيات (الرياضة ظاهرة و ممارسات)، العدد 34 (مجلد 10، 4)، كراسك، وهران، 2006، ص15-27.

مقدمة عامة

يُجمع جمهور الباحثين في الحقل السوسيولوجي الرياضي لكرة القدم على وجود شكلين أساسيين من المُتتبعين (المناصرين) للأندية الكروية الذين يرتادون الملاعب باستمرار: المناصرون المتفرجون، و المناصرون المشجعون. الشكل الأول عبارة عن مجموعة أفراد يدخلون الملعب حُبّا لناديهم المفضل، لكنّهم يُفضلون مشاهدة المهرجان الرياضي المقدّم من طرف اللاعبين في المستطيل الأخضر و عدم التفاعل إلا نادرا مع اللقطات الأكثر إثارة للفرجة و المهرجان. أمّا الشكل الثاني فهم من يَصنعون الفرجة في المدرّجات موازاةً مع ما يجري من أحداث لقاء فريقهم في الميدان، يعتبرون أنفسهم جزءا فعالا من الفريق، و لا يكتفون فقط بما يجري في اللقاء بين اللاعبين، بل يسعون للسيطرة على المدرّجات بطرقهم الخاصة (يمكن أن تصل حدّ استعمال العنف)، كما لهم عدّة تجليات و مُستويات أبرزها تأثيرا، تنظيما و صدى في الوقت الراهن مجموعات"الأولتراس"، أين نجد هذه الأخيرة موجودة بقوة داخل ملاعب كرة القدم عبر مدرجاتها، ليس فقط في حالات محصورة عبر بعض الدوريات في العالم بل في كل دوريات كرة القدم، شيئا فشيئا أصبح هذا الشكل من المناصرة يثبت وجوده بحضور دائم و منتظم، ما لاحظناه كذلك في جل مدرجات ملاعب الفرق الكروية التي تنشط في الدوري الأول أو الثاني من البطولة الجزائرية.

من بين عوائق تأسيس سوسيولوجيا علمية للظّاهرة الرّياضيّة هي إن صح القول تلك السيطرة التي يخضع لها علماء الاجتماع المهتمين بهذا الحقل من البحوث، سيطرة تتنافر أقطاب قوّتها بين حقل السوسيولوجيا و حقل علوم الرياضة ذو الصبغة التقنية و التربويّة[1]. إلا أن صورة "البراءة" التي تمنحها سمة أن لا نكون مُتخصّصين أمام الظاهرة الرياضيّة (كعلم تربوي بدني و تقني)، تُمكّننا أحيانا أن نرى الموضوع من زوايا ليست في مُتناول الآخر، فتقودنا إلى طرح أسئلة و استنباط ملاحظات لا يطرحها و لا يلاحظها المختصّون التقنيّون أنفسهم؛ باختلاف ظنونهم حول الموضوع سواء لعدم تقدير أهمّيتها، أو لعدم تمثّلها في الفكر الخاص بهم و بتصوراتهم للطرح الإبستيمولوجي الذي يعنيهم، أو ظنا منهم أنها خارج مجال بحثهم ببساطة...

[1] Cf. P. BOURDIEU, Choses dites, Ed Minuit, Paris,1987, p203.

مقدمة عامة

مبدئيا، سنحاول من خلال هذه الأطروحة القيام بدراسة مقارنة بين شكلين من أشكال الجماهير التي ترتاد الملاعب وذلك لأجل الوصول إلى تفسير عناصر، أسباب و عوامل نشأة و تطور هذين النمطين من الجماهير حتى نُبيّن بالدرجة الأولى بعدا سوسيولوجيا آخرا للظاهرة، و نقدم طرحا مختلفا عن ما سبق من طرح يربط ظاهرة المناصرة مباشرة بظاهرة العنف[1]. هذا الاختيار المنهجي المتمثل في طريقة المقارنة بين فريقين ليس ناتج عن دوافع ذاتية، بل إنه من خلال مطالعة مجموعة من الدراسات السابقة و التدوين لمجموعة من الملاحظات الإمبريقية عبر الاحتكاك الدائم بالميدان (أي مدرجات ملاعب كرة القدم أين تجري لقاءات الفريقين السالفين الذكر و المتعلقان ببحثنا)، وجدنا أنفسنا أمام صورة لظاهرة اجتماعية تملي علينا شكلين متباينين من الجماهير لفريقين من مدينة واحدة و بالتالي برزت تقنيّة المقارنة كضرورية من أجل فهم هذا التباين و البرهنة عليه ميدانيا. "إن المرحلة المهمة من الوصف تكمن في التحديد الذي يقوم به الباحث الاجتماعي عن طريق وسائله الخاصة بالبحث (الاستجوابات، الملاحظات المكررة، الوسائل غير المتاحة للباحث البسيط خاصة أمام وضعية ميدانية معقدة)، و عن طريق أشكال تصرفاته أو اعتقاداته المتبادلة و غالبا غير المستقرة طوال فترة ما و داخل وسط معين... العمل الوصفي يمكن أن يحدث بمراعاة جانب الثقافة، أو تحت الثقافة، الخاصة برياضية ما. يتم التأكيد على انتظامات السلوك و تكرارات الخطابات. هنا يتم التعامل مع مفهوم الثقافة باحتياط، نظرا للحجج النقدية التي أفرزتها المعرفة السوسيولوجية حولها"[2].

إن استعمال عبارة المناصرة في كرة القدم سمح بالتحول من شكل جماهيري رياضي تقليدي (كلاسيكي) إلى شكل معاصر. فمنذ سنوات 1950 إلى سنوات 1990، حصل تحول في مدرجات الملاعب[3]، فصورة المشجع فرضت نفسها تدريجيا بصفتها معيار سلوكي في وسط فضاء الجماهير المُتتبعة لكرة القدم. قبل ذلك كان من التفاهة إظهار أنك تنتسب لفريق ما، بحيث كان الهدف من الدخول للملعب بغرض مشاهدة مهرجان أكثر منه دفاعا عن

[1] (انظر) ماحي.م. ع (مرجع سبق ذكره).

[2] S/d. C. LOUVEAU et Y. DROUET, Sociologie du sport: débats et critiques, Ed L'Harmattan, Paris, 2006, p50-51.

[3] P. BARTOLUCCI, Sociologie des supporteurs de football: la persistance du militantisme sportif en France, Allemagne et Italie, Thèse de doctorat, Université de Strasbourg, septembre 2012, p11.

مقدمة عامة

هوية جماعية مجسدة في صورة الفريق المُشجَّع. لقد سعت جمعيّات المشجعين للانتقال نحو فكرة ضرورة تنظيم نشاطات تشجيعية أبعد من ذلك التعبير العفوي. بشكل ما، بدأت تنشأ مسافة بين المتفرجين و المشجعين، هؤلاء الأواخر سيُثرون مبدأ الارتباط بالفريق إلى أبعد من مجرّد ثقافة تأمل مهرجان.

في نفس السّياق يُصرّح F. KADA في أطروحته الموسومة بعنوان (l'analyse des préférences des téléspectateurs extraterritoriaux dans le football)[1]، أنّ الجمهور المتابع لكرة القدم أصبح مُستهلك لمُنتج رياضي (مهرجان كرة القدم)، فحسب M. DESBORDES (2002) "طوال العشر سنين الأخيرة، حوّلت كرة القدم ثقافتها الوطنية إلى انتشار عالمي حقيقي". أصبحت كرة القدم ظاهرة حاضرة باستمرار في الحياة اليومية للجميع. إن كرة القدم هي رياضة تنافسية أين يتجابه فريقين على أرضية ميدان، يتعين على فريق واحد أن يغلب الآخر. الإستعداد الجسمي للاعبين ضروري هو الآخر لجلب مجمل الفريق نحو الفوز، معتمدين في ذلك على مساعدة اللاعب رقم 12 المتمثل في الجمهور و مناصرته.

نقطة بدايتنا في الأطروحة ميدانيّا انطلقت من خلال تتبع سلوك جماهير فريقي جمعيّة وهران و جماهير مولوديّة وهران عبر المدرجات، وذلك بالارتداد إلى ملعبي الناديين طوال الموسم الكروي 2017/2016، أي في لقاءات الاستقبال فقط، أين تَمّ ملاحظة هذين النمطين من الجماهير منذ الوهلة الأولى. كذلك اعتمدنا في طرحنا على التصور الذي يبنيه مُجمل الجمهور الرياضي من مُتتبّعي كرة القدم من فرق مدينة وهران و باقي فرق المدن المجاورة لها، إن لم نقل كل متابعي فرق البطولة الوطنية لكرة القدم[2]، حيث يتم تصنيف جمهور فريق جمعية وهران كمُشاهد يُفضّل

[1] F. KADA, L'analyse des préférences des téléspectateurs extraterritoriaux dans le football, application au public de deux régions marocaines, Thèse pour l'obtention du grade de Docteur, Université de Bourgogne, Décembre, 2013, p83.

[2] عبر طرح سؤال نقطة الاختلاف بين جمهوري الفريقين لعدد من الأفراد في المقابلات الاستطلاعية، تأكدت في ذهننا زاوية طرحنا العام.

التركيز على تقنيات اللعبة فقط و متابعة أحداث مجرياتها، أما جمهور فريق المولودية فيُعتبر مشجعا مولدا بدوره للأحداث و أكثر حماسا و "اشتعالا" من الجمهور الأول.

ما يجمع عليه الباحثون في هذا الشأن بصفة عامة، هو أن مدرجات ملاعب كرة القدم هي ساحة اجتماعية ثرية، و التواجد فيها يجعل خبراتنا مختلفة عن مشاهدة المباراة عن طريق التلفزيون أو سماع المذياع (أو وسائل إعلامية و تواصلية أخرى)، حيث نجد الشعور بأننا جزء فعّال من مناسبة اجتماعية ما أو واقعة ما تحدث الآن أمامنا. إن الأحداث الرياضية تساعد الأفراد على الشعور بأنهم ينتمون إلى مجتمع، بالاشتراك في هذه الأحداث فإن المرء ينضم إلى مجموعة من المتفرجين أو المشجعين وراء إحدى الفرقتين المتنافستين، و في أثناء المباراة يُعبَّأ شعور الفرد بهويته مع فريقه الذي ينتمي إليه، هذا الشعور العاطفي و الشعور بالانتماء هو جوهر المناصرة الرياضية. إن المناصر في المدرجات هو وعاء حامل لوعي اجتماعي، كما له أيضا طموح يختلف باختلاف غايته، و له أيضا ثقافة هي رأس ماله المُوجّه لسلوكه بصفة عامة.[1]

يعتر الملعب كفضاء للتعايش الاجتماعي، الصراع و الإدماج الاجتماعي باختلاف صوره، فيُصبح هذا الملعب نقطة التقاء و تقارب بين مختلف فئات الشباب المُتعلقة بمتعة كرة القدم، تلك المتعة التي هي مزيج بين الرياضة و اللعبة و تفاصيلها، مزيج كذلك بين تتبع أحداث تسيير الفريق خلف الستار (في كواليسه) و أسماء اللاعبين ذات الصلة بالفريق و سيرهم الذاتية و كل صغيرة أو كبيرة عن ما يتعلق الفريق... مزيج لالتقاء مختلف أشكال الثقافة التي يُعبر عنها الشباب الموجود داخل الفضاء الحضري أو له صلة بهذا الفضاء، تحت سقف نفس الرابط الاجتماعي، أي فريقهم الذي يجمعهم. هؤلاء الشباب الذين يمثلون ما يقارب 70% من مجمل سكان الجزائر[2]، نجدهم يمثلون كذلك الفئة الأكثر حضورا بمدرجات الملاعب، ربما هو شيء طبيعي مقارنة بنسبة وجود هذه الفئة في البناء

[1] (انظر) سنوسي. م، كرة القدم و المجتمع: دراسة ميدانية لظاهرة كرة القدم في مدينة غليزان، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، وهران، 1993/1992.

[2] (انظر) الإحصاء العام للسكن و السكان بالجزائر، الديوان الوطني للإحصائيات، 2008.

مقدمة عامة

الاجتماعي ككل، هذا الحضور يعتبر طبيعيا (أو بديهيا) كذلك مقارنة بطبيعة المجال، فطبيعة المدرجات الكائنة في الوقت الراهن تتطلب حضورا ذهنيا و جسديا قويا كالذي يملكه الشباب.

مدرجات ملاعب كرة القدم ستسمح للشباب من بسط معالمهم الفردية التي طالما سَعَوا لإثباتها داخل الفضاء الحضري الذي ينتمون إليه، و بناء محيط اجتماعي خاص بتصوّراتهم و طبيعة الواقع الذي يعبّر عنهم خارج أسوار الملاعب. هنا تتطوّر الرياضة (كرة القدم) لتصبح أكثر من مجرد لعبة، إنه عبر مناصرة فريق كروي لمدينة ما، سيسعى الفرد باستعمال قوّة المجموعة من أجل بسط أفكاره عبر رموز و خطابات و تصرفات للتعبير عن ما يسعى إيصاله للآخر (بمختلف أشكال الآخر المُستهدف من الخطاب التواصلي)، نحن إذن أمام نظرية تأويلية للخطاب الشبابي في حقل المناصرة الرياضية و فائض من المعاني الناتجة عنه[1]. كل هذا ينطوي ضمن مجمل الكفاءات الخطابية المتعلقة بفئة طالما أبدعت بعديد الأشكال في خطاباتها، نقصد بذلك فئة الشباب.

من خلال مُؤَلَّف "علاء جواد كاظم" بعنوان: الصورة حكاية أنثروبولوجية، يظهر جليا ما يُمكن للصورة أن تُبيّنه من وضوح و لغة مفهومة من قبل الجميع، فهي لا تحتاج لمترجم، نفس المبدأ يتجلى لدى المناصرين في مدرجات الملاعب (خاصة فئة مناصري الأولتراس) حين يرسم الجمهور مختلف الصُّور التي تحمل العديد من الرسائل ذات المعاني. كما يشير "كاظم" في دراسته التي تسعى إلى تقديم تطوير معرفي لمستوى التفكير الإبداعي (للصورة و الأنظمة الدلالية البصرية)، أن الصورة في التوصيف العام للأنثروبولوجيا تشكل أعلى مراحل الوصف الإثنوغرافي الداعم للدراسات الميدانية، إذ تعتبر إلى جانب الوصف كأدوات للتعريف بالمكان على نحو موضوعي و إبداعي[2].

انطلاقا من كلّ هذه المعطيات نصيغ سؤالنا الرئيسي كالآتي: كيف يمكن أن نفسّر سوسيولوجيا صور المناصرة بين نمطيّ التشجيع الرياضي و المشاهدة الرياضية في مدرّجات ملاعب كرة القدم عبر دراسة عيّنة عن جمهور فريقيْن

[1] (انظر) ريكور. ب، نظرية التأويل: الخطاب و فائض المعنى، المركز الثقافي العربي (طبعة 2)، الدار البيضاء، 2006.

[2] (انظر) كاظم. ع. ج، الصورة حكاية أنثروبولوجية، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، تونس، 2013.

مقدمة عامة

لمدينة وهران هما: جمعية وهران و مولودية وهران؟ أو بصيغة أخرى، كيف نُفسّر وجود نمطين من المتتبعين (المشجعين و المتفرجين) لفرق رياضية تنتسب في انتمائها لنفس المدينة (وهران)؟ لأجل الاستقصاء لسؤالنا سنسعى للبحث في العوامل التي تتحكم في تصرف الأفراد و الجماعات فتجعل منهم إما مشجعين أو مشاهدين مع التأكيد على أهمّية طبيعة المعطيات الاجتماعية و الثقافية التي تحكم سلوك المناصر (المشجع أو المشاهد) عبر المدرجات.

لا يجب قياس الارتباط الهيجاني الذي يربط الجماهير بفرقها من خلال عدد الوافدين إلى الملعب فقط، بل يجب الأخذ بعين الاعتبار معايير أخرى مثل الحركية و الأنشطة الجمعوية و اللقاءات خارج الملعب و تنظيم التظاهرات ذات الصلة... يجب تجنب حصر المشكل في بُعد كمّي متمثل في عدد الجماهير، لذلك فإن تقنيتي الملاحظة بالمشاركة و المقابلة هما السبيلين الأمثل في نظرنا من أجل التحقق ميدانيا من صحة الفرضيات التي سنقترحها. إن الرياضة الحديثة تُفسَّر من خلال خطاب يركز كثيرا على البعد الاجتماعي، يمكن الجزم قولا على أن الرياضة هي ثقافة، إنها كذلك فعل اجتماعي (في الحقيقة هي حالة حدث en réalité un état de fait)، يجب عدم اعتبارها فعلا قاصرا من الثقافة[1]، فلا طالما أثّرت كرة القدم في العديد من المناسبات على الحياة بتشعب صُورها، أبرز ما لمسناه في هذا الشأن هو ذلك الردّ بأحد الأشكال (الفرح أو الحزن) بعد حدث يخص فريق جمهور ما.

يمكننا الإشارة على سبيل المثال لأمر ملفت كما يشير إلى ذلك م. س. بعلي[2]، ففي مذكرته حول العنف بملاعب كرة القدم، أشار إلى أنه خلال الحقبة السوداء من تاريخ الجزائر، و بعد أن اكتسح العنف جميع مجالات الحياة تقريبا، شهد بعدها تراجعا نسبيا ليعود في الحقل الرياضي بشكل أكبر، لنجد بعدها العنف الناتج عن كرة القدم يتعدى أسوار الملاعب و يصبح يمس الشوارع و المحيطات المحاذية لها. ستظهر صور أخرى للرفض و العنف الرّمزي أقرب إلى المخيال الشّعبي من خلال التسميات التي يطلقها الأنصار على فرقهم و التي تتماشى مع المعطى الثقافي

[1] G. BRUANT, Anthropologie du geste sportif, La construction sociale de la course à pied, Ed Puf, Paris, 1992, p09.

[2] (انظر) بعلي. م. س، العنف بملاعب كرة القدم: مقاربة أنثروبولوجية لحالة أنصار كرة القدم في مدينة مستغانم، مذكرة ماجستير في الأنثربولوجيا، جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم، 2009/2008.

و الاجتماعي. مظاهر العنف أخذت كذلك أشكالا أخرى و أكبر أحيانا مثل العنف اللفظي الذي أصبح الشعار الأساسي لدى المناصرين، و كذلك العنف الجسدي.

لقد قمنا من قبل في إطار الإعداد لمذكرة الماجستير بالبحث حول عناصر توليد العنف في المدرجات لدى الشباب المُشجعين لفريق "مولودية وهران"، و قمنا كذلك حينها باستكشاف لفئة مناصرين من شكل خاص هي فئة مناصري "الأولتراس"، فتساءلنا عن كيفيّة تفسير ما يحدث داخل عيّنة من مجتمع لمدينة وهران – المتمثل هنا في فئة الشباب – و بالضبط الشباب المُشجّع عبر ملاعب كرة القدم، و كيف أمكن لحشود الجماهير الشبابية أن تتعصب إلى أقصى الدرجات لأجل فرقها[1]، و التي يمكن أن تؤدي إلى نتائج وخيمة تصل حتى القتل؟ لأجل فهم جزئ من واقع اجتماعي (بما أن ظاهرة العنف الرياضي واسعة و تمس العديد من الجوانب و المستويات)، تعيّن علينا من خلال دراستنا أن نأخذ مسافة موضوعية شاسعة حتى نترك الأحكام المسبقة جانبا، لنتفادى الوقوع في مغالطات تهدم كل البناء المعرفي خاصة أمام موضوع كهذا. لذلك تساءلنا عن سبب العنف داخل المدرجات دون نسب ذلك السبب إلى جهة ما. و عن كيفيّة تفسير تحوّل لعبة رياضية ككرة القدم إلى فضاء للتعبير الذي يتسم بالعنف، و هل حقيقة يمكن القول عن تعبير الشباب داخل المدرجات في الزمن الراهن بالبحث أنه كان يتميز حقا باللجوء إلى السلوك العدواني (السلوك العنيف)؟ لقد ركّزنا في تحليلنا على ثلاث مصطلحات أساسية هي الرياضة، الشباب و العنف. محاولين تفسير العلاقة بين الأطراف الثلاثة.

بالإضافة لما ذُكر نجد كذلك A. EHRENBERG[2] يؤكد أن عنف الجماهير ليس مُجرّد انحراف عن المهرجان الرّياضي، هو أيضا وسيلة اجتماعية، يمكن أخذه بعين الاعتبار من خلال تحليله عبر زاوية خاصة بتخيلنا الديمقراطي: أي "زاوية المساواة". فمثلا التجاوزات العُنفيّة المعروفة باسم ا"لهوليكانز" ترجع إلى سبب ميل أفرادها

[1] (أنظر) ماحي. م. ع، مذكرة ماجستير، مرجع سبق ذكره.

[2] A. EHRENBERG, Le culte de la performance, Ed Calmann-Lévy, Paris, 1991, p59.

لأن يكونوا مُتساوين (La passion d'être égal). حتى يُلاحظوا و يُعترف بهم كأفراد. "الهوليكانز" يُولّدون العرض في المدرجات، أما العُنف لديهم فهو بغاية تحريك أقطاب الرؤية من أرضية الملعب أين تُسلط الأضواء نحو المدرجات التي ستُلعب عليها مُنافسة مُوازية لتلك التي تجري على الأرضية الخضراء.

أما إذا أردنا الحديث عن البعد السياسي لدراستنا، يجب علينا ذكر ملجأنا الدائم لمراجع عديدة قدمها "يوسف فاطس" من دراسات ذات الصلة بالموضوع نظرا لغزارة أبحاثه التي ترتكز حول رسم واضح لأبعاد الأرضية التي يلتقي فيها مجال الرياضة بمجال السياسة (خاصة الواقع الجزائري)، في هذا الشأن نلخص ما ذكره الباحث من أبرز الدراسات التي أقيمت حول وظائف الرياضة في المجتمعات الصناعية الغربية، هذه الدراسات كانت وجيهة كما تموقعت في إطار مسعى وظيفي تناول القضية الرياضية كعنصر ذو صلة مباشرة مع الدولة، المجتمع أو الثقافة. فبالنسبة للمؤلفين الإنجليز أو الألمان و الباحثين من بلدان المشرق فإن التحليلات الاجتماعية للرياضة بيّنت وظائفها بصورة أكبر و أوضح. كما نجد علماء الاجتماع الأمريكيين يصفون وظائفها البارزة الخمسة: الوظيفة الاجتماعية–المشاعرية، وظيفة التنشئة الاجتماعية، وظيفة الإدماج، وظيفة سياسية و وظيفة الانتقال الاجتماعي.

بالنسبة للباحث المختص في مجال الرياضة، اللعب و الترفيه G. LUSCHEN فإن الرياضة تُبقي على الترتيب الاجتماعي، تُساهم في إدماج قيم المجتمع كما توافق بين الاختلافات و الانتقال الجماعي. أما فيما يخص المؤلفين الفرنسيين نجد مثلا كل من J. DUMAZEDIER (1950)، M. CLOUSCARD (1963) و G. MAGNANE (1964) قد حللوا و بيّنوا الوظائف الثقافية للرياضة في المدينة الغربية، بينما نجد مؤلفين آخرين قد وسّعوا هذه الدراسة إلى الوظيفة السياسية. J. MEYNAUD (1966) أصدر مؤلفه (Sport et politique) الذي يعتبر الأول من نوعه، أين يوضح كيف لعلم السياسة أن يكشف أن للظاهرة الرياضية عدة روابط مع قطاعات أخرى من الوجود اليومي بما فيها ما يطلق عليه "فاطس. ي" تسمية الكون السياسي (univers politique). أعمال M. BOUET و J-M. BRHOM بيّنت في مضمونها هي الأخرى الوظائف الخاصة

مقدمة عامة

بالرياضة في المجتمعات الغربية المعاصرة، فأطروحاتهم بالترتيب حول "معنى الرياضة" (1965) و "علم اجتماع الرياضة" (1970) ظلت مراجع هامة لا يمكن تجاوزها حول دراسة وظائف الرياضة إلى الوقت الراهن، بل أصبحت نظريات في الميدان، بالرغم من الانتقاد الذي لاقاه J-M. BRHOM من عديد الباحثين. B .JEU من جهته بيّن وظيفة الانفلات الناتج عن العنف و عدم السيطرة على الأفعال، بالنسبة له فإن الرياضة تعتبر كضد للمأساة (anti tragédie). من جهة أخرى فإن المختصين الآخرين في هذا الحقل و نعني بالذكر كل من C. PACIELLO و J. DEFRANCE تلامذة P. BOURDIEU يتصورون أربع وظائف لا يمكننا تجنبها بالنسبة للظاهرة الرياضية: تربوية، إدماجية، ترفيهية و اتصالية.

يجب التذكير أن المدينة عموما و مدرجات الملاعب الموجودة بها هي بمثابة مسارح اجتماعية إن استعرنا عبارة المؤلف J. DUVIGNAUD في عنوان كتابه (Sociologie du théâtre)[1]، أين يعبّر عن الأدوار التي يتقمصها الممثلون في المسرح بعبارة "الظلال الجماعية" (les ombres collectives)، نفس الظلال تُثبت وجودها في المدينة عموما أين ينتقل الفرد من حيّز ذاتي إلى آخر جماعي ثم ما بين جماعي أو فردي، ليتقمص مجموعة من الأدوار داخل الفضاء الحضري العام. أما في ملاعب كرة القدم و مدرّجاتها فالكل يُمثّل دوره على أحسن وجه، من لاعبين و مدربين إلى المناصرين، إلى حين ثبوت رابح و خاسر للقاء الكروي، حينها يصبح الخاسر حزينا، بائسا و متذمرا، كأنما به أضاع شيئا ثمينا. بينما الرابح فيدخل في حيز الانتصار و الاحتفال. ذلك الاحتفال الذي أشار إليه كذلك J. DUVIGNAUD في كتابه (fêtes et civilisations)[2]، بحيث يمكن لحالة الاحتفال أن تكسر و تُبطل طوال دوامها كل التمثّلات، الرموز و القوانين التي تحمي بها المجتمعات نفسها من الاعتداء الطبيعي.

[1] Cf. J. DUVIGNAUD, Sociologie du théatre, Essai sur les ombres collectives, Ed P.U.F, Paris, 1965.

[2] Cf. J. DUVIGNAUD, Fêtes et civilisations, Ed. Actes Sud, Paris, 1992.

مقدمة عامة

يمكن أن نضيف في هذا الشأن فكرة مُماثلة قدّمها E. GOFFMAN في مؤلفه (les rites d'interaction)[1] حين بيّن أن الحياة الاجتماعية عبارة عن مسرح، خطير في خصوصياته، و الصفة الحتمية التي يقدّمها الدور، و خطورة الخروج عن النص مثلما تؤكده مستشفيات الصحة العقلية التي تحتوي أولئك الأفراد الذين ابتعدوا عن النص. إنها تمثيليّة الحياة اليومية التي تحدّث عنها أيضا E. GOFFMAN في مؤلفه التاريخي في حقل علم الاجتماع عموما بعنوان (la mise en scène de la vie quotidienne)[2]، الذي يهتم بسوسيولوجيا الحدث اليومي، فالتعريف بالذات هو أمر ضروري في التمثيلية التي تدور أحداثها على المسرح الاجتماعي و الذي يعتبر أصدق مسرح، فيفيه تلعب الأدوار لغايات و أهداف ذاتية المصدر. مثلما يحدث داخل مدرجات الملاعب، فبالرغم من الصورة الجماعية للمناصرين إلا أن تصرفاتهم هي الأخرى ذاتية المنشأ.

إنّ الإشكالية الخاصة بنا ليست شيئا محددا في الظاهرة الاجتماعية، كونها تعبير عن سياق الظاهرة و مسارها و حركتها، لذلك هي ليست شيئا يمكن حصره بعنصر واحد أو حتى عدة عناصر، فهي تشمل جميع العناصر المكونة للظاهرة الاجتماعية في فاعليتها و ديناميكيتها، و ليس في حالة سكونها. إن الظاهرة الاجتماعية شيء حي، و الشيء الحي في المجال الاجتماعي هو ما تحركه ديناميكية معينة[3]. من هنا و لأجل تحديد معنى الموضوع و بعده النظري فإن خلاصة فكرنا الإشكالي تتمحور حول البحث في سبب اختلاف شكل المناصرة لدى جماهير كرة القدم التي تنتمي لنفس المدينة، فمدينة وهران هي نفسها من يحمل اسمها كل من الفريقين المعنيين بالدراسة، ما يدفعنا للتساؤل عن أسباب هذا الاختلاف إذا كان احتمال وجود نفس مقومات هوية الانتساب إلى الفضاء الخاص بالفريق. لأجل ذلك يتعين علينا فهم تصورات و جزئيا الفكر الجماهيري لمناصرين من مدينة وهران، فذلك ما سيصنع لنا في الأخير شكلا مُعيّنا من المناصرة، كما للتاريخ (الماضي) المتعلق بمسار الفريق و الماضي الاجتماعي

---

[1] Cf. E. GOFFMAN, Les rites d'interaction, Ed Minuit, Paris, 1974.

[2] Cf. E. GOFFMAN, La mise en scène de la vie quotidienne, Ed. Minuit, Paris, 1973.

[3] (انظر) عبد الغني. ع، منهجية البحث في علم الاجتماع، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 2008.

المعني بمناصري الفرق دخل في تحديد هذه الأشكال، بل إن حتى المجال الحضري الخاص (الذي هو أقل شساعة من المجال العام الممثل لكل المدينة و المتمثل في جملة الأحياء المنتسبة مشاعريا لهذه الفرق)، بالإضافة للأحداث السياسية و الإقتصادية أو حتى الدينية (بخلاصة الأحداث الاجتماعية)، كلها لها علاقة هي الأخرى في رسم صورة الجمهور المناصر المنحصر في طرحنا بين مُشجع و مُشاهد. لذلك سنحاول تفسير هذا الاختلاف سوسيولوجيا عبر دراسة شكل نموذجين من المناصرين لأجل تحديد محركات هذا الشكل و بالتالي الوصول إلى تفسير جزء هام من رياضة كرة القدم، أي الجمهور، فكرة القدم دون جمهورها تفقد عنصرا فعالا شكّل طوال الزمن رأس مالها الذي استمرت به و لأجله. كما هو معلوم فكل فريق كرة قدم يضم إحدى عشر (11) لاعبا، بينما يجمع مختصوا هذه الرياضة على أن اللاعب رقم اثنا عشر (12) هو الجمهور المناصر، و الذي له دور فعّال في استمرار الفرق الرياضية الكروية.

كتفسير أولي، مبدئي و مؤقت لتفسير الظاهرة التي نحن في إطار البحث فيها و انطلاقا من الطرح الإشكالي الذي عرضناه، نفترض ما يلي:

- تَمَلُّك أو تبنّي الجماهير لأيّ من الفرق الكروية فكريا و مشاعريا و تصورّها جماعيّا لشكل المناصرة يتحدد عبر مجموعة من العوامل و المكونات التي تختلف من بيئة إلى أخرى، فكل فريق كروي تربطه علاقة خاصة بجمهور متتبعيه، و كل جمهور هو الآخر سيبني تصورا خاصا عن فريقه. هذا ما سينتج لنا في الأخير صُورا عديدة لمختلف الجماهير، هذه الصور هي بمثابة "هوية جماعية" تميز الفرق الكروية و مُناصريها عن بعضها. بصيغة أخرى فإن كل فريق له شخصية جماهيرية مُعينة، لها جذورها مُتأصلة في مختلف العناصر المشكلة لهذه الهوية كتاريخ النادي و الانتماء الحضري (أي الفضاء الحضري المتمثل في الانتساب إلى الحي و المدينة ككل، و طبيعة الروابط الاجتماعية المميزة لهذا الفضاء) و المؤثرات الاجتماعية الخاصة بكرة القدم التي يَتلقّنُها الفرد منذ صغره... هذه الهوية تبقى مستمرة بين مُنتسبي الفريق من مناصرين لتميزهم عن غيرهم من المناصرين لفرق أخرى.

مقدمة عامة

- الظروف الاجتماعية الخارجة عن الإطار الرياضي هي الحاكم الرئيسي في رسم ردود الفعل الجماعية داخل المدرجات و الناتجة عن تفاعل أفراد الجمهور المشجع أو المشاهد مع ما يجري من أحداث فريقهم الكروي. بالتالي هذه الظروف هي من تصنع لنا في الأخير صورة جمهور معتدل، هائج، عدواني... فنفس الأحداث التي تمسّ شكلين من الجماهير التي تعيش ظروفا اجتماعية مختلفة لا تُوّلد بالضرورة نفس ردة الفعل. إنه مثلا من خلال الأغاني و العبارات التي يرددها الجمهور في المدرجات نستطيع لمس ما يعيشه هؤلاء الأفراد المناصرون خارج الملعب، و بهذا تصبح مدرجات ملاعب كرة القدم فرصة للتعبير عن ما يرغب فيه أو ما يعاني منه هؤلاء الأفراد خارج الملاعب، أي في الحياة الاجتماعية ككل.

مقدمة عامة

منهجية البحث:

إن العلوم الاجتماعية و الإنسانية لا تتمتع بدقة العلوم الطبيعية لأنها لم تتمكن حتى الآن من اكتشاف القوانين السببية الثابتة التي من خلالها نستطيع تفسير الوقائع و الأحداث و الظواهر الاجتماعية، و يعود ذلك لصعوبة الحقل الدراسي الذي هو المجتمع و الإنسان، حيث تتشابك العوامل و المتغيرات مع بعضها البعض حتى يصعب إعادة أو تفسير سلوك ما لسبب واحد أو أكثر نظرا لانفتاح الحقل الإنساني على التفاعل مع هذه المتغيرات وفق أنماط مختلفة و متعددة بحيث يصعب حصرها و تحديدها[1]. إن الظاهرة التشجيعية (المناصرة) في الوسط الرياضي (كرة القدم) هي نتاج تتفاعل المجتمع و أفراده مع ما يقدم من عرض في الملاعب و أحداث تتجاوز هذه الملاعب أحيانا إلى الفضاء الحضري العام.

تجدر الإشارة إلى نقطة هامة في المشوار الأكاديمي ككل، ألا و هي أهمّية اختيار موضوع البحث المناسب سواء لإعداد مذكرة أو بدرجة أكبر لإعداد أطروحة الدكتوراه. أمّا في حالتنا نحن، فتعدّ الأطروحة كعمل امتدادا لمذكرة تخرّج نيل شاهدة الماجستير في سنة 2014، حينها واجهتنا صعوبات عديدة لأجل الوصول بفكرنا و اهتمامنا إلى موضوع يُعتبر راهنا و أصيلا نظرا لغزارة الأحداث المتّصلة به أو الناتجة عنه و أثرها على المجتمع. نحن بهذا نؤكّد مرّة أخرى على أنّ حسن انتقاء الموضوع يعدّ حافزا هاما يساعد على استمرار العمل و لو تخلّلته عوائق تُبطئ أو تُعرقل مساره إلا أن الاهتمام الفكري سيظل هو مُحرّك البحث.

يُعرّف المنهج العلمي على أنّه إجراء مُتَنَاسَق، مقصود، و قابل لإعادة الإنتاج يهدف للوصول إلى شيء مادي أو مفهومي، فهو وسيلة ضرورية لبلوغ نتائج ذات صبغة علمية تصلح لكل زمن، بالمقابل فلا يجب صبّ قضية البحث كلّها نحوه لدرجّة تجعله هو لبّ الموضوع في حد ذاته، و ذلك على حساب الطرح الخاص المعني بموضوع

[1] (انظر) عبد الغني. ع (مرجع سبق ذكره).

مقدمة عامة

البحث العلمي ككل، "المنهج يُكوّن و لا يزودنا بمعلومات" (la méthode forme elle n'informe pas)[1]. لذلك تجدر الإشارة إلى أننّا راعينا مبدأ العمل بمنهج بحث علمي، لكن بتدرج زمني ملائم لجدول عملنا المتعلق بحالتنا، فهنالك من العناصر المنهجية ما تمّ احترام دوره زمنيّا في البحث بطبيعة الحال (كالعمل الاستطلاعي الذي يأتي أولا)، كما هناك عناصر لم تتم ضرورة وفق تسلسل في اتجاه واحد، أي أننا كنا في كل مرة نتنقل بين المراحل بحسب ما تُمليه علينا الظروف، "...حتى ندفع بالبحث إلى الأمام من الضروري أن ندخل في الموضوع و أن نتحصّن ببعض المعارف، و نحدد ما نجهله و ما نود البحث فيه، و نُخطط الطريقة التي سيتم بها العمل، فالمنهج العلمي لا يعوض هذه المعارف و لكنه يسمح بتنظيمها و ضبطها، إنه بمثابة موقف أكثر منه مجموعة من الإجراءات التي تُتّخذ لحل المشاكل. و ممّا لا شكّ فيه أن أفضل طريقة لتعلّم كيفية تفسير المشكلات العلمية و حلّها، ليس بالاكتفاء فقط بقراءة كتاب في المنهجية، يكتبه أي فيلسوف، و لكن بدراسة نماذج للبحوث الناجحة..."[2].

إنّ هذه الدراسة تهدف قبل كل شيء إلى فهم، تحليل و تفسير ظاهرة معقدّة اجتماعيا: "ظاهرة المناصرة في الوسط الرياضيّ"، لذلك انتهجنا منذ بداية البحث طريقا مزدوجا بين التقنيات المنهجية السوسيولوجية و الأنثروبولوجية أحيانا، نقصد باللمسة المنهجية الأنثروبولوجية بكل بساطة إفساح المجال للمجتمعات حتى تأخذ الكلمة[3]. لذلك كان لزاما علينا الابتعاد عن الرؤية ذاتية الحكم مُسبقا عبر تصوّرنا الشخصي للموضوع، ففي الكثير من الأحيان كنّا نرسم لأنفسنا حائطا بين ما نملكه من تصور عن قضيّة ما و بين ما هو قائم من واقع بذاته، و ذلك حتى نصل إلى نتائج أكثر قربا للواقع الاجتماعي و للمَعنَى الاجتماع المرادُ لها، "إنّ الأنثروبولوجيا تعمل لتجنّب الأحكام، فهي لا تُصدر حكمًا باسم وجهة نظر مُتعالية. تبحث قبل كل شيء عن الفهم، بتقريب البعيد و بجعل

[1] A. LARAME, B. VALLEE, La recherche en communication : éléments de méthodologie, Ed Presses de l'université du Québec, 2001, p15.

[2] A. LARAME, B. VALLEE, Ibid, p14.

[3] (انظر) لقجع. ع، علم الاجتماع و المجتمع في الجزائر، دار القصبة، الجزائر، 2004.

الغريب عادي..."[1]. موازاةً مع ذلك سعينا لتفادي بعض العوائق التي واجهتنا، و التي تُعتبر مؤشرا طبيعيا في عالم البحث. أهم هذه العوائق نجد مُشكل الحيرة (أو التّيه) أو ما يُعرف ب: "Le chaos originel"، أي بمعنى أنّنا نريد الانطلاق و التعمق في موضوع بحثنا إلا أنّنا لا ندرك جيّدا كيف و من أين نبدؤه و ليس لنا إلمام عن تطوّر مراحله نظريّا، و هذا ما يُشكّل لدى أغلب المختصّين دليل و مؤشّر على أصالة الموضوع. لأجل ذلك وُضع ما يُسمّى منهجيّا "بالمسعى" (La démarche)، أي الطّريقة التي نتقدم بها نحو هدف ما، و يُلخص G. BACHELARD الخطوات لأجل بلوغ "المسعى العلمي" في ما يلي: "إنّ الواقعة العلمية يجب أن تكون مُستوحاة من الواقع، تَبني الموضـــــوع و تَجعله قابل للعلاج العلمي و أخيرا يجب مجابهة النتائج المتحصل عليها مع الواقع"[2].

العمل الاستطلاعي يمثّل قاعدة ذات أهمّية في انطلاق مشروع البحث ككل، فمن خلاله ستُشيّد أعمدة البناء النظري و تتشكل صورة عن نموذج العيّنة التي ستُستهدف لاحقا. في حالتنا نحن، كنّا قد اكتسبنا سابقا رصيدا معرفياً متعلقا بحقل سوسيولوجيا الرياضة (من خلال مذكرة الماجستير)، فلقد انطلقنا من مسار عمل كانت قد حدّدت ملامحه من قبل، إلا أن هذا لم يمنعنا من اكتساب رصيد معرفي إضافي آخر و ثريّ. لقد عالجنا مراجع علميّة مُهتمة بمجال بحثنا الاجتماعي، الحضري و الرياضي، سواء من كتب، مقالات علمية، أعمال جامعية، مُلتقيات علمية أو أشكال أخرى من المراجع و المصادر التي تحمل إضافة نوعية و كمية للبحث. كما قمنا في نفس الفترة بإجراء جملة من المقابلات الاستطلاعية الحرة و ذلك بين تاريخي 2016 و 2017، كانت موجهة لمجموعة من الأفراد و الفاعلين الذين لهم خبرة أو علاقة بالموضوع كالصحفيين الرياضيين و الباحثين الذين سبق لهم التعامل مع نفس المواضيع، حتى نُلمّ بوُجهات نظر لم يتسنى لنا إدراكها لا من خلال الرصيد المعرفي الخاص بنا مسبّقا و لا عن طريق القراءات أو المطالعات.

[1] S. BEAUD, F. WEBER, Guide de l'enquête de terrain, Ed La Découverte, Paris, 1997, p9.

[2] R. QUIVY, L. V. CAMPENHOUDT, Manuel de recherche en sciences sociales, Ed Dunod, Paris, 2006, p15.

مقدمة عامة

القيام بدراسة ذات بعد أنثروبولوجي، هذا يعني أن تكون جزءا من مجتمع البحث، في حالتنا هنا، يعني أن نكون جزءا من المناصرين في ملعبي الفريقين (ملعب أحمد زبانة بالنسبة لفريق مولودية وهران و ملعب الحبيب بوعقل بالنسبة لفريق جمعية وهران)، وذلك بغرض تسجيل سلوك المجتمع الذي نحن بغرض دراسته، قياس أثر الشعور و الانتماء لجماعة ما و في حادثة رياضية ما. لأجل ذلك وجب علينا الدخول إلى الملاعب تكرارا، ليس لمدّة موسم كروي واحد بل طوال ما يقارب أربع مواسم، أي مابين سنوات 2017 و بداية 2020[1]، كما اعتمدنا على استعمال تقنية "الملاحظة المباشرة" (in situ) مع استعمال مسجل صوتي أحيانا و آلة تصوير أحيانا أخرى، ليتمّ لاحقا تفريغ الملاحظات الصوتية و المرئيّة كتابيا لتُحلل لاحقا ضمن مُجمل العمل الميداني.

في أوّل المشوار الخاص بالمقابلات، راعينا في اختيار عيّنة البحث مجموعة من المعايير أهمّها أن تكون متنوعة[2] لتُعبّر عن مختلف فئات المناصرين المتواجدين في الملعبين (في حالتنا نقصد بالتنوع كل ما يتعلق بالسن، الحي السّكني، الفريق المشجَّع...)، و ذلك حتى تكون مُمثّلة لمجتمع البحث الذي نسعى للعمل عليه من مناصرين للفريقين المعنيَيْن وذلك بهدف مُقارنتهما لاحقا[3]، لكن مرور الوقت اتجهنا نحو تحديد معايير أخرى، ذلك أنه عبر التردد إلى الملاعب و بالتحديد في مباريات مولودية وهران (MCO)، لاحظنا وجود تكتلات خاصة بالمشجعين مختلفة عن باقي المشعين الآخرين تُعرف "بالألتراس"، أبرزها من حيث العدد و القِدم نجد تكتل "ULTRAS "LEONES REY . نظرا لأهمية هذا الشكل من المشجعين في خريطة المناصرة ككل (حتى على المستوى الدولي) و لدوره الفعّال داخل الملاعب، و نظرا لهذا التنوع الضمنيّ لمجتمع البحث عموما، قسّمنا العيّنة إلى جزأين بارزين و جزء فرعي:

[1] لقد أجبرنا على التأقلم مع الوضعية الوبائية (كوفيد-19) التي كانت تعاني منها الجزائر على غرار باقي دول العالم، أين تم غلق مدرجات الملاعب في مارس 2020 بقرار رئاسي.

[2] Cf. A. BLANCHET, A. GOTMAN, L'enquête et ses méthodes: L'entretien, Ed Nathan, Paris, 1992.

Cf. R. SAUVAYRE, Les méthodes de l'entretien en sciences sociales, Ed Dunod, Paris, 2013.

[3] انظر جدول المقابلات في الملاحق.

- جزء رئيسي أوّل ممثل لمناصري فريق مولودية وهران (20 فرد).
- جزء رئيسي ثاني ممثل لمناصري جمعية وهران (20 فرد).
- جزء فرعي لمناصري أولتراس عن فريق مولودية وهران (10 أفراد).

تجدر الإشارة إلى أن الدراسة الميدانية المتمثلة في المقابلات (Entretiens) امتدّت طوال الموسمين الكرويين 2018/2017 و 2019/2018 (أي لأكثر 3 سنوات)، و ذلك بين مختلف أحياء مدينة وهران، بالضبط في المكان الذي يرغب به المعني بالمقابلة: داخل الملعب، في المقهى، في عزلة، داخل سيارة... بخلاصة، أين يجد نفسه مرتاحا، وأين يمكننا التركيز معه. قمنا لأجل هذا بإعداد دليل للمقابلات[1]، والذي احتوى على مجموعة من الأسئلة مقسمة من حيث التدرج الجزئي نحو المعلومة إلى ثلاثة أجزاء: أسئلة رئيسيّة، أسئلة مكملة امتدادا للأسئلة الرئيسيّة و أسئلة توضيحية لبسط الفكرة و تبيان معناها أو لتبسيط الأسئلة التي طرحناها مُسبقا. الأسئلة الرئيسيّة ضمّت ثلاث محاور: التطرق لظاهرة المناصرة بالمقارنة بين فريقين عريقين لمدينة وهران، ثم التعريج على خصوصيات ملاعب كرة القدم من زاوية اجتماعية و كواجهة للفضاء الحضري، و في الأخير النظر لمدرجات ملاعب كرة القدم في أبعادها التي تتجاوز مُجرّد المناصرة أو المهرجان. تم إعداد هذه الأسئلة بناءا على ما سبق من قراءات، مقابلات استطلاعية و ملاحظات ميدانية معمقة، و انطلاقا من زاوية التفكير الخاصة بتصورنا و طرحنا، "فكل بحث إنما هو في الحقيقة عبارة عن تجربة منفردة". كما تجدر الإشارة إلى أنه اعتمدنا عدم الإكثار في التدخل أثناء المقابلات ما عدى التدخلات المؤطّرة، أي أثناء خروج أفراد العينة عن الموضوع، بذلك نكون قد استعملنا تقنية المقابلة نصف الموجهّة، التي وجدناها مناسبة لحالة بحثنا المهتم بالمناصرين و اللذين هم بهذا المصطلح مرادفات للحيوية الحركية و اللفظية، ما يتوجب تأطيرا جزئيا لشكل المقابلات عموما.

[1] انظر نموذج دليل المقابلة في الملاحق.

مقدمة عامة

أجريت هذه المقابلات فُرادى، حتى يتسنى للفرد أن يتكلم بكل راحة و حرّية، و يفصح لنا بكل كبيرة و صغيرة تضاف للبحث، أما عن الظروف المحيطة بذلك فتمّت في المكان و الزمن الذي يرغب بهما. تفادينا استعمال لغة صعبة، سُجّلت كل المقابلات عبر مسجل صوتي و ذلك بترخيص من المبحوث (و التي بقيت تحمل صفة المجهول، أي مُجرّد رقم ينسب لدلالتها). و هنا تجدر الإشارة إلى أنه كان لزاما علينا بناء علاقة ثقة مع جميع أفراد عينة البحث، ذلك أنه و منذ البداية لاحظنا أنه كلّما تعجّلنا في القيام بمقابلة دون إعداد أرضية لذلك (ربح ثقة الفرد)، كلما كانت المعلومات المزوّد بها متحفظة و متكتّمة، كما نذكر أن مدة المقابلة تراوحت بين ساعة و ساعة و نصف.

بالنسبة لعملية التفريغ فتطلّبت جهدا و تركيزا كبيرين لتفادي إضاعة أي مضمون في المقابلات، أين قمنا بوضع الإجابة المتعلقة بكل مُستجوب أمام السؤال الخاص به (و باللغة المستعملة)، حتى يتسنى لنا بعد ذلك مقارنة كل الأجوبة لنفس السؤال فيما بينها، كل ذلك بعد الإصغاء بتمعن لكل المقابلات التي سُجّلت عبر مسجل صوتي. كما استخرجنا الكلمات المفتاحيّة و تم تحليل العبارات من خلال العودة إلى سياق استعمالها لتجنب تأويل ما لم يُصرح به المبحوث. ذلك أن تجربة شخص ما في حياته لا يمكن نقلها من حيث محتواها كاملة بعينها إلى شخص آخر كما عاشها صاحبها: "تجربتي لا يمكن أن تصير مباشرة تجربتك"[1]، لذلك أخذنا بعين الاعتبار المعنى الذي يقصده صاحب المقابلة مع ربطه بطريقة تعبيره، أي الصّوت، الصيغة (التعابير و الحركات) و المعنى الخاص بالكلمة أو الجملة الذين سيولدون لنا "الانفعال" و "ردة الانفعال" أمام موضوع ما. هنا لاحظنا بروز كفاءات خطابية ذات ميزة جد مّتطورة يستعملها الشباب و لعلّ كون الباحث و المبحوث من نفس الفئة العمرية و نفس البيئة، يسّر علينا فهم العديد من العبارات في حدود سياق استعمالها (من حيث الرموز التي يستعملها الشباب المناصرون ينبغي أن يكون لدى الباحث تفسيرات لتلك الرموز دون تأويلها الخطأ).

[1] ريكور. ب (مرجع سبق ذكره)، ص43.

مقدمة عامة

من هنا و لأجل تقديم دعامة للمقابلات و العمل الميداني الذي قمنا به عموما، استعنا بتقنية الصورة و الفيديو لأجل تسجيل ما يُقدّم من عرض من قبل الجماهير المناصرة، فلقد بيّن الدكتور علاء جواد كاظم في كتابه بعنوان "الصورة حكاية أنثروبولوجية" (يعتبر هذا العمل خطوة جادة و جديدة للتعريف بفضاء أنثروبولوجي واعد الذي هو الأنثروبولوجيا المرئية)، أن الصورة هي أوّل محاولة بشرية للإمساك الذهني بحركة العالم و إعادة بناء العالم وفق تخيّلات أنثروبولوجية محضة[1]. إن الصورة تخطط للحوار بينها و بين حكايتها، فعبر استعمال الصورة في العمل السوسيو-أنثروبولوجي يحاول الباحث الخروج من أسر التقليد و الانصياع للرؤية الذاتية إلى إرادة ما يُعبّر عنه حقيقة و الرؤية الحقيقية كما هي كائنة، كل هذا نحو التحرك وفق عمليات عقلية تصور حركة الإنسان في واقع يتغير تدريجياً مع كل خطوه له.

[1] (انظر) كاظم. ع. ج (مرجع سبق ذكره).

الجُزءُ الأوّل:

كرة القدم و المُجتمع

مقدمة الجزء:

لقد عرفت الأعمال السوسيولوجية الخاصة بالظاهرة الرياضية بداياتها منذ سنوات 1960 و بالخصوص سنوات 1970 (إذا استثنينا الجيل السابق من الأعمال المركزة حول الأنشطة الترفيهية و نخص بالذكر أعمال J. DUMAZEDIER، 1962)، تضاعفت هذه الأعمال منذ سنوات 1990، و هي بذلك تعرض التنوع الموجود في التيارات السوسيولوجية، بما أن هذه الأعمال تتطور في فضاء سوسيولوجي عام، بينما تبقى هناك بعض الدراسات الإمبريقية ذات الأشكال المفهوماتية الغامضة نوعا ما و التي لا تنتسب لتيار معيّن يحدد هويتها. منذ ذلك الحين تغيّرت و تنوّعت التساؤلات المطروحة من قبل علماء الاجتماع، كما أن المناهج هي الأخرى عرفت تطورا، لينتج تراكم من المعرفة الميدانية حول حقل الرياضة.

تعد الرياضة بعمومها أحد الأنشطة الإنسانية البارزة للإنسان المعاصر، فيكاد لا يخلو مجتمع من المجتمعات الإنسانية من شكل من أشكال الممارسة الرياضة، بغض النظر عن طبيعة و شكل هذا المجتمع. لقد عرف الإنسان الرياضة عبر عصور الزمن و حضاراته المختلفة، بالرغم من تفاوت توجهات كل حضارة بشأنها، فبعض الحضارات اهتمت بالرياضة لاعتبارات عسكرية سواء كانت دفاعية أو توسعية، بينما مارسها آخرون لشغل أوقات الفراغ و كشكل من أشكال الترويح، كما وُظّفت الرياضة لدى حضارات أخرى كطريقة تربوية، حيث تفطن العديد من المفكرين التربويون القدماء إلى أهمية القيم التي تحفل بها الرياضة، وقُدرتها الكبيرة على التنشئة و التربية و بناء الشخصية الاجتماعية المتوازنة، بالإضافة إلى هذا، هناك كم هائل من الآثار الصحية التي ارتبطت منذ القدم و إلى يومنا بممارسة الرياضة و تدريباتها البدنية، و هو المفهوم الذي أكدته نتائج العديد من البحوث العلمية حول الآثار الوظيفية و الصحية الإيجابية على المستوى البيولوجي للإنسان. بخلاصة، لقد تعددت الأسباب و المقصد نفسه ألا و هو الظاهرة الرياضية.

بالرغم من وجود العديد من الأعمال و الأبحاث التي تصب في تأكيد البناء العلمي الجسمي و التقني للظاهرة الرياضية، إلا أن هذه الأخيرة رسمت ملامح أكثر شمولية و أصبح من الصعب تناول هذا النشاط الإنساني المتنامي من زاوية أحادية بعد أن بدأت الأبعاد الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية و الثقافية للرياضة تتضح في تلك الملامح، كما أصبح من الصعب كذلك تجاهل المغزى الاجتماعي لهذا النشاط الإنساني البارز. يمكننا القول أنّ الطبيعة الاجتماعية للرياضة و النشاط البدني الترفيهي فرضت نفسها بكل ثقلها في وسط البحث الاجتماعي كما في وسط التربية البدنية و الرياضية باعتبارها ظاهرة اجتماعية واضحة.

إذن بذلك وجب التأكيد على أن النظرة العلمية لظاهرة الرياضة لا تقتصر على ميدان العلوم الطبيعية أو الفيزيائية أو وظائف الأعضاء فقط، فلأجل تفسير الرياضة في مجملها علينا أن نستعين أيضا بميدان بحث العلوم الاجتماعية، خاصة حين ننظر إليها من جوانبها الإنسانية. إن الرياضة شكل مُتميز من النشاط الإنساني، فمنذ أن تبيّن أن للرياضة مفهوم اجتماعي من خلال أنظمة المجتمع و مؤسساته، أصبحت مضامين ممارستها للفرد لا تعني شيئا إلا من خلال النُّظم و الأنساق الاجتماعية المرتبطة بها، فأي تفسير نظري للظاهرة الرياضية و محاولة تأصيلها لا يحصل إلا من خلال إطار اجتماعي ثقافي يحتويها.

الفصل الأول: من أجل سوسيولوجيا رياضة كرة القدم

المبحث الأول: تفسيرات اجتماعية عامة للظاهرة الرياضية

لقد انتشرت الرياضة بشكل شامل داخل المجتمع و كل من عناصره (الأفراد)، فمن الأثر الناتج عنها ما هو فردي و منها ما هو جماعي، بحسب المكان الذي يتموقع فيه الفاعل الاجتماعي المعني بالموضوع، كما نعيد التذكير في هذا المقام بأهميّة تحديد نوع الممارسة الرياضية المراد تتبعها. هنا نضع الأطر المحدّدة للموقع الخاص بفاعل موضوعنا لنُركز على فئة المناصرين الرياضيين و بالضبط مناصري فرق كرة القدم، حتى نُبيّن شساعة الموضوع الرياضي ببعده الاجتماعي، فنحن نريد تتبع أثر ذلك الصدى الجماهيري المنبعث من مدرجات الملاعب لكي نصل لتحديد تفسير لأسباب تعلق الأفراد و الجماعات بمناصرة فرقها، ثم نتجه بعدها نحو تحديد العناصر المكونة لشكل المناصرة و اختلافها في الفضاء الحضري الواحد.

لقد تعرّفنا على الرياضة بوضوح لدى المجتمع اليوناني، فقد زرع اليونان البذور الأولى الخاصة بالرياضة من خلال إعطائها بعد روحي، يمكن أن نلاحظ ذلك في شعار الألعاب الأولمبية "أسرع، أعلى و أقوى" (Citius, Altius, Fortius)، هذا الشعار لا يفسر قانون اللّعب و لا القانون الداخلي للمنافسة، بل يفسر معنى و روح هذه المنافسة. لنجد لاحقا بروز بعض الرياضات كسباقات الفروسية، الملاكمة، الصيد... بالإضافة لأشكال رياضات أخرى تلت واعتبرت آنذاك كوسائل لقضاء الوقت و تلبية الحاجة في الترفيه، لتصبح أوّل أنواع الرياضات التي أخذت في الانتشار بالصيغة الحديثة لمفهوم الرياضة. إن انتشار ألعاب الكرة و باقي الرياضات ذات الشعبية بصيغتها الحديثة المؤسسة، لم يبدأ إلا في النصف الثاني من القرن 19، فتحول كرة القدم مثلا من لعبة انجليزية شعبية إلى شكلها الحالي تميز بتطور طويل نحو تنظيم و انتظام أكثر فأكثر، و الذي أفضى إلى وضع قواعد في مستوى وطني خاص بمنشئها بريطانيا و بدرجات مختلفة من منطقة لأخرى.

بهذا تُعتبر الظاهرة الرياضة واحدة من أهم الأحداث التي ميزت تاريخ الإنسانية ككل واستمرّت في كينونتها إلى زمن طويل و آني (إلى يومنا)، كما أن في المقابل فإن المختصون يجمعون أنّ رياضة (لعبة) كرة القدم هي أبرز اكتشاف وَسَمَ نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين، لقد تَحوّل ذلك الشكل الانجليزي التقليدي لقضاء الوقت و المرح إلى نموذج مُعاصر يهدف لتطوير الحاجة إلى الترفيه و الانتقال من اللعبة إلى الرياضة الهادفة ذات الصبغة العالمية.

"الرّياضة هي الممارسة الإرادية و المعتادة للجهد العضلي الشديد، ترتكز على الرّغبة في التطور و يمكن أن تصل حتى الخطر، يجب أن تمارس بحماس، أو حتى بعنف. الرياضة ليست التمرين الجسمي الذي يصلح للجميع، بشرط أن تكون عاقلا و معتدلا؛ الرياضة هي هواية الأقوياء أو من يسعون ذلك"[1]. نلاحظ عبر هذا التعريف الشامل أن الرياضة تعتمد في تصور مفهومها على فلسفة فكريّة (ابستيمولوجيا خاصة بها) تمتدّ نحو الحسّ الجسمي العضلي لتخلق لنا توازن لا يمكن توفّره لدى الجميع. بهذا تمّ قياس جميع الأحداث التاريخية ذات الصلة بهذا التصور لتتبع الأصول التي رسمت أولى الأسس للظاهرة الرياضية. فالإنسان منذ وجوده سعى أولا لوضع أهداف ثم بعدها سعى لبلوغ تلك الأهداف، كما للبيئة التي يعيش بها أثر على رسم مسار الوسائل التي سعى بها لأهدافه. نحن بهذا نشير دون قصد للتنوع الذي تشهده الظاهرة الرياضية من أشكال ذات صلة بما سلف ذكره، فرياضة (لعبة) "المصارعة" مثلا المنسوبة للحضارة اليونانية، وجدت بيئة فكرية و مادية في ظروف تواجد تلك الحضارة سمحت لها أن تختلف عن رياضة (لعبة) "الجودو" التي برزت و ترعرعت في مناخ ياباني مختلف و بفارق زمني فاصل بينهما كذلك. بالرغم من الاختلافات إلا أن الطبيعة الإنسانية تبقى نفسها الدافع الرئيسي المحرّك للسعي في أن تكون الأقوى.

[1] P. DE COUBERTIN, Pédagogie sportive, Ed Librairie J. Vrin, Paris, 1972, p35.

في نفس السياق تُفسّر الرياضة بصورة عامة من خلال مُعجم الإثنولوجيا و الأنثروبولوجيا على أنها "تلك الألعاب التنافسية الجدّية و المبنية على البحث عن الأداء البدني في مواجهة صعوبة مقصودة: خصم، وقت، مسافة، هدف، عائق... و يمكن أن تقتصر أحيانا هذه الممارسات الفردية أو الجماعية على أداء حركات بدنية و تصبح عندئذ مراصد ممتازة لتقنيات الجسد، غالبا ما تتطلب استعمال آلات متفاوتة التعقيد (مزاليج، رماح، مرمى...) أو محركات (سيارات، دراجات...). أما بالنسبة لدرجة العنف و الخطر فيختلفان من رياضة إلى أخرى (روغبي، ملاكمة، سباق سرعة...)"[1].

يبقى أن نشير أن الرياضة حاليا تحتوي في معناها كل أشكال الممارسات التي تم تقنينها بدقة عبر الزمن، ظهرت هذه الحركة من التقنين في شكلها المعاصر بالخصوص في نهاية القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر في بعض دول أوروبا و نخص بالذكر إنجلترا، لتنتشر بعد ذلك بسرعة عبر العالم. ما يميز هذه الممارسات عن الألعاب التقليدية هو خضوعها لقوانين تراقبها مؤسسات و هيئات بدرجة عالية من الدقة، و باستقلالية في الإطار المكاني (ميدان، حلبة)و الزمني. تجدر الإشارة إلى أن عملية التقنين ظهرت قبل ذلك في العصر الوسيط و ذلك في حركة مستمرة لتخفيف العنف و جعله احتكارا على الدولة، و لتلطيف الطبائع و مراقبة المشاعر و الدوافع الغريزية، بهذا تم تعويض الألعاب التقليدية العنيفة بمواجهات منظمة.

إن موضوع الرياضة هو ذا صلة كبيرة بموضوع اللّعب و الترفيه، فسواء كان الفرد مُمارسا أم مُناصرا لرياضة ما فإنه يحمل في جوفه جزءا من الحاجة للترفيه و اللعب، بل أبعد من ذلك فإن الحضارة تتجه نحو تخصيص وقت أكبر للعبة و الترفيه[2]. وقت الفراغ و الترويح، هو وقت يأخذ مساحة هامة من فكر الفرد و المجتمع، في هذا الشأن يصرح أحد شباب العيّنة: *"الرياضة هي لعبة ترفيهية، لازم الناس تفهم هذا، أنا مين نروح للملعب نحوّس باش نفاجي على روحي... ما عنديش من غير الملعب... وين نخرج العيا تاع الأسبوع؟"* (**مقابلة رقم2**)، بصيغة أخرى يحاول هذا

[1] ب. بونت، م. إيزار، معجم الأثنولوجيا و الأنثروبولوجيا، المعهد العالي العربي للترجمة، بيروت، 2006، ص516/515.

[2] Cf. J. DUMAZEDIER, Vers une civilisation du loisir ? Ed du Seuil, Paris, 1962.

الشاب أن يبين أن الرياضة وسيلة ترفيه بالدرجة الأولى و أن غايته من الارتداد على الملاعب هي الترويج و نسيان مشقة أسبوع، كما يؤكد بتعجب أن الملعب هو المنفذ الوحيد لتلبية غايته. بالنسبة لما يُعرف بالترفيه أو الترويج فهو يتعلق بمختلف ألوان الأنشطة التي يمارسها الفرد خارج ساعات عمله، و هو بهذا يدل على أن الفرد قد اختار بضعة أوجه من الأنشطة لممارستها طوعا نتيجة لرغبة داخلية دافعة له، و أن المشاركة في هذه الألوان من الأنشطة تمدّه براحة ورضا نفسي مُعيّنين.

بالنسبة لموضوع الفراغ فهناك أسلوبان مختلفان يتم الاعتماد عليهما لأجل تفسير هذا الموضوع، يرتبطان أساسا بتحديد وقت العمل و الوقت العام لمختلف أنشطة الفرد ثم يقيسان الحيز الذي يشغله وقت الفراغ بينهما، يمكن تلخيصهما في ما يلي:

- الأسلوب الأوّل: يركز على دراسة الفوارق الأساسية بين أوقات العمل و أوقات الفراغ و وضع الخط الفاصل بينهما. إذن وقت الفراغ هو الوقت الذي يقضيه الإنسان في ممارسة نشاطات تقع خارج نطاق العمل الوظيفي الذي يعتمد عليه في معيشته، و ممارسة هذه النشاطات تكون اختيارية، و منطبقة مع أحواله المعيشية و الاجتماعية و مع أذواقه و قيمه و مواقفه و فئته العمرية و الطبقية.
- الأسلوب الثاني: يتجاوز تقسيم الوقت إلى قسمي وقت العمل و وقت الفراغ، و يتجه نحو دراسة وقت الإنسان دراسة شمولية لا تفصل بين وقت العمل و وقت الفراغ، و هذا هو المفهوم الحديث للفراغ. فتقسيم الوقت حسب المفهوم الحديث لا يعتمد على طبيعة الفترات الزمنية التي يقضيها الإنسان في العمل أو الراحة أو الاستجمام، و إنما يعتمد على طبيعة النشاطات و الفعاليات المتنوعة التي يمارسها في حياته اليومية[1].

[1] (انظر) ماجي. م. ع، مذكرة ماجستير (مرجع سبق ذكره).

إذن من هنا يمكن القول أن الرياضة تختلف مكانتها الاجتماعية من حيث كونها لعبة أو ممارسة أكثر جدّية بحسب الحيز الذي تشغله في الفكر الفردي، فمن يمارس رياضة في وقت فراغه لأجل التسلية لا يمكن اعتباره كمن يمارسها في إطار منافسة أغلب ما يقال عنها احترافية (غالبا ما يلازمها مقابل مادي)، هذا ما يحدد كذلك درجة اللعب التي تحتويه الرياضة، أي درجة الجدّية و درجة التسلية أو المرح. إن الرياضة فضاء واسع تتلاقى فيه العديد من المؤثرات الاجتماعية، النفسية، الرهانية المادية بالإضافة إلى مؤثرات طبيعية و فيزيائية أخرى، لا يمكن فهم الرياضة دون الرجوع إلى كل هذه المؤثرات التي تعتر مكونا جوهريا لها.

اللعبة هي بالضرورة نشاط ترفيهي، أي أن هذا الأخير يجب أن يكون حرا، ليس له أهمية تجعله نشاطا جديّا، له جاذبية ويخضع لقانون. هذا النشاط حرّ لأنه يتم اختياره بمحض الإرادة دون وساطة ترغم على ذلك، ليس له أهمية لأن الارتياح يكمن في الممارسة لهذا النشاط بحد ذاته و ليس لجني أرباح مادية. غير مفيد على الأقل للظاهر، فاللعب لا يعطي نتائج ممارسة حالية، لكن مع ذلك تبقى نتائجه هامة. بخضوعه لقانون سيواجه الأطراف الفاعلة فيه في ظل احترام نفس العقود، و يضعهم في نفس الظروف و يطرح لهم نفس الصعوبات،كما أن هذا النشاط جذاب بسبب صعوباته و قادر لأن يدفع اللاعبين ليبذلوا كل جهودهم حتى يصلوا درجة بالغة في الرهان الذي يسعون له.

في هذا الشأن نجد H. DE MONTHERLANT يصف اللعب كما يلي: "جَرْيا في الملاعب، لم أكن إلا أجهّز لفكرة بقيت في مركز حياتي، أُسَمّي باللعب كل نشاط له نهايته في المتعة التي نوليها له، و ليس لشيء آخر؛ كل جهد له مزيّة ما، حر عن الاتجاه الذي نمارسه فيه و الذي يروج فيه. اللعب لا يحاوَر، إنه فوق كل شك، خارج المتناول؛ الشكل الوحيد للفعل الذي له أهدافه- في الشكل الأكثر مخيب للأمل- لا يمكن أن يكون مخيبا؛ الشكل الوحيد للفعل الذي يدافع عنه، و الشكل الوحيد الجدير بالإنسان، لأنه ذكائي و غرائزي بالمرّة. إن الإنسان ليس إنسانا كاملا إلا عندما يلعب"[1]. فأن تكون الرياضة مجرد تسلية و انشغال ترفيهي أو أن تحمل جزئا من ذلك

[1] B. GILLET, Histoire du sport, Ed Puf, Paris, 1960, p8.

داخلها، هذا لا ينقص من أهميتها، بل بالعكس، بالحديث عن تاريخ الإنسانية، يمكننا القول أن تاريخ المجتمعات الإنسانية هو تاريخ طالما ضم في عناصره شكلا من صور الترفيه بأشكاله.

تجدر الإشارة إلى أن معظم المراجع المختصة في اللعبة و الرياضية تشير و تؤرخ إلى أن الانتقال من اللعبة إلى الرياضة قد تم في المدارس الكبيرة المخصصة "لنخب" المجتمع البرجوازي، أي في مدارس public schools الإنجليزية. حيث استعاد أولاد الأسر الأرستقراطية أو البرجوازية الكبيرة بعض الألعاب الشعبية، أي السوقية، مع إخضاعها لتغيير في معانيها و وظائفها تماما كما حدث مع حقل الموسيقى الذي أخضع الرقصات الشعبية إلى تغييرات كي يدخلها في صيغ حديثة. و لكي نُحدّد هذه التحولات من خلال مبدئها، يمكننا القول إن التمرينات البدنية ل "النخبة" في صورها الحديثة لا صلة لها بالمناسبات الاجتماعية العادية التي كانت ترتبط بها الألعاب الشعبية، و مُجرّدة من الوظائف الاجتماعية (و بالأحرى الدينية) التي لا تزال مرتبطة بعدد من الألعاب التقليدية.

إن المدرسة باعتبارها مكانا للتسلية و الهوايات هي المكان الذي تحولت فيه ممارسات تتسم بوظائف اجتماعية و مدرجة في التقويم الجماعي إلى تمارين بدنية و أنشطة خاضعة لقوانين، ليس لها أي بعد اجتماعي آخر، بمعنى أن التمارين الرياضية تجعل من الجسد استعمالا كما أن الاستعمال المدرسي للغة غاية في حد ذاته[1]. إنه الميل إلى النشاط غير النفعي باعتباره بعدا أساسيا للأخلاق العملية ل "النُّخب" البرجوازية، التي تفتخر دائما بالترفّع و تُعرّف نفسها من خلال المسافة الانتقائية المؤكدَّة في الفنو الرياضة مُقابل المنافع المادية.من هنا يبرز كذلك معنى مصطلح الروح الرياضية الذي يُفسر على أنه أسلوب ممارسة لعب أولئك الذين لا يستسلمون للعبة إلى حد أنهم ينسون أنها لعبة، أولئك الذين يتقنون ترك مسافة إزاء الدور، مسافة تنطوي عليها جميع الأدوار الموعودة لقادة المستقبل[2]. بفضل الرياضة، فإن الإنسان الخاضع لترتيب العمل الميكانيكي لم يتعلم كيف يقتل الوقت كما هو رائج،

[1] (انظر) ماجي. م. ع، مذكرة ماجستير (مرجع سبق ذكره).

[2] (انظر) بورديو. ب (مرجع سبق ذكره).

بل بالعكس، تعلم كيفية إعطائه أهمية داخل الأثر الحاد لرجاء نتيجة غالبا هي غير مؤكدة. جمالية الرياضة ليست في الفرار نحو الحلم، لكن في التأكيد المستمر على الحرية.

إن الحديث عن الرياضة باقترانها مع التربية البدنية نجده يجرنا للحديث عن"المبدأ الرياضي"، فالتربية البدنية لا تتوجب دائما وجود مبدأ المنافسة و الصراع، هي تهدف لأن تجعل الفعل منهجي و عقلاني، كما أنها تصلح للجميع، بينما أن الرياضة التنافسية هي مخصصة لنخبة ما. إن تأثير التنشئة الاجتماعية هو من يدفع الفرد إلى تبني منهج التربية البدنية، بينما غالبا ما يتم اختيار الرياضة عن طريق الذوق و الميول. التربية البدنية تحدد درجة الجهد، بينما نجد أن الرياضة لا تتردد في تشحين الجسم إلى أقصى درجاته (حتى درجة العنف) لتصنع مزاجا له، ليس من خلال طبيعتها أو قوانينها، بل عبر شدة الجهد الجسدي المبذول أين يمكن لنا أن نقدّر إن كان يمكن اعتبار هذا أو ذاك التمرين كرياضة. فمن السهل أن نهضم الفرق بين مباراة كرة قدم تجمع أصدقاء حي ما و بين مباراة خاصة بالدوري المحترف لبطولة بلد ما، أو مداعبة فرد عادي لكرة القدم مقارنة مع مداعبة لاعب برازيلي محترف مثل "رونالدينيو"[1]. من هنا و لأجل ضمان تقديم جهد عالي، يتعين على الرياضي أن يستبق نشاطه بعملية تمرين، و من خلال هذه الضرورة في التمرين سنلاحظ حتما الفرق بين الرياضة و اللعب. إذن، يشترط على أي نشاط حتى يقبل كرياضة أن يتوفر فيه ثلاث مكونات: اللعب، الصراع، و النشاط الجسمي الشديد. يمكن لنا في الأخير أن نحصل من خلال كلمة رياضة على عبارة تظهر على أنها ضيقة المجال لكنها تحمل الكثير من الأسس و القوانين و المعاني، تلك التي تُميز صفة "الاحتراف الرياضي"[2].

[1] رونالدينيو: لاعب برازيلي معروف بإمكاناته العالية في مداعبة كرة القدم، نشط في كبرى النوادي الأروبية و أمريكا اللاتينية، نال جائزة الكرة الذهبية سنة 2005، وجائزة أفضل لاعب في العالم التي تقدمها "الفيفا" سنة 2004 و 2005.

[2] (انظر) ماجي. م. ع، مذكرة ماجستير (مرجع سبق ذكره).

بصورة ملخصة للمسار التاريخي للظاهرة الرياضية يصرح P. DE COUBERTIN بما يلي: "رياضية الإنسان هي نبتة طبيعية و حساسة"[1]. (la sportivité de l'homme est une plante naturelle et délicate)، تلك النبتة زرعها اليونان بعناية و جنوا منها ثمارا آنذاك، بعدها لم يُحسنوا الحفاظ عليها ففقدوها. ظهرت من جديد في حالتها المتوحشة و الحيّة في العصر الوسيط لكن سرعان ما اضمحلت جاذبيتها بالموازاة مع ظهور روائع جديدة. ليتم إعادة اكتشافها في القرن 19، فخضعت إلى عمل شاقو ذكيّ أفضى إلى نموها بسرعة و اكتسابها من جديدثم إنتاجها لأشكال عديدة و متنافرة من النماذج.

حاليا و في ظل التقنين المستمر و التنظيم العالي الذي تعرفه أغلب الرياضات بكل مستوياتها، تغيرت المفاهيم العامة التي كانت تحوم حول الغاية من الرياضة، فكما يشير E. MORIN: "يمكن أن نعتبر الرياضة حاليا كمنفذ وحيد ملموس للغريزة الصراعية، بعبارة أشمل، وحدها حضارة الألعاب من يمكن لها إشباع، بدون ضرر، للحاجة الكبيرة للإثبات الهجومي القمعي"[2]. في هذا الإطار يصرح شاب من عينة البحث: "*الشاب يحوّس يفرض نفسه بالوسائل اللي عنده، خاصة في مجتمع كيما نتاعنا وين ما كانش مجال تاع الحرّية، الديموقراطية والعدالة... بقا غي الرياضة و المدرجات اللي فيهم شوية من الحرية*". (**مقابلة رقم 5**). أي أن الشباب الذي يقصد الملاعب في حقيقة الأمر إنما هو يبحث عن الحرية التي فقدها في كل مجالات الحياة.إذن إن موضوع الرياضة موضوع واسع، يحمل في طياته العديد من الوقائع الاجتماعية التي ترسم شكل المجال الذي ينشط فيه كما لا يمكن تفسيره وفق منطق رياضي تقني و فقط. F-PONCET من خلال دراسته للشباب الفرنسي في بداية القرن 20 صرّح ما يلي: "...لم تستقبل الشبيبة الذوق الرياضي من أي شخص؛ لقد جلبته معها، و هي من تفرضه"[3]. بينما صرّح H. DE MONTHERLANT بما يلي: "الرياضة هي ما تصنعه الأخلاق، و الأخلاق هي ما تصنعه أو تسمح به

[1] P. DE COUBERTIN, Essais de psychologie sportive, Ed Jérôme Million, Grenoble, 1992, p72-p76.

[2] M. PERELMAN, Op. cit, p38.

[3] B. GILLET, Op. cit, p9.

السلطات العامة"[1]. أما ما نستنتجه من خلال مختلف القراءات حول تاريخ الرياضة فهو أن كلتا الفرضيتين صحيحتين و لا يجب تبني واحدة باستثناء أخرى. فالرياضة بشكلها المعاصر تعتبر بعدا لسياسة تسعى سلطة ما لتجسيدها و استعمالها، بالمقابل لهذا هي كذلك صورة لسلوك شبابي بصفة رئيسية و غيره من الفئات الاجتماعية الأخرى، من يسعون لبسط معالمهم من خلالها. إننا أما صراع بين سلطة الأعلى و سلطة الأسفل.

إن الشعور الاندفاعي في حقل الرياضة –باعتبار الرياضة مدرسة لتطويع الذات و ما إلى ذلك– يتضمن نفحة معادية للثقافة و المثقفين. فالرياضة كأي ممارسة أخرى، هي رهان صراعات بين فئات الطبقة المهيمنة و كذلك بين الطبقات الاجتماعية الأخرى. من بين رهان مجال صراعات الممارسات الرياضية، نجد احتكار فرض تعريف شرعي للممارسة الرياضية و الوظيفة الشرعية للنشاط الرياضي، و الهواية أمام الاحتراف، و الرياضة العملية أمام الرياضة الاستعراضية و الرياضة المميزة للنخبة و الرياضة الشعبية الخاصة بعامة الناس، و ما إلى ذلك... كما أنه من البديهي أن يُرافق انتشار الرياضة بدءا من مدارس "النخبة" و لغاية الجمعيات الرياضية الجماهيرية، بالضرورة، تغير في الوظائف المتصلة بممارسة الرياضيين أنفسهم و المشرفين عليهم كذلك، و في الوقت نفسه، تحول في الممارسة الرياضية نفسها التي تمتد إلى أبعد من الممارسين القدامى. و عليه، لا يمكن لحماسة المآثر الرجولية و التمسك الشديد بروح الفريق (التي كانت ترتبط لدى المراهقين من أصل برجوازي أو أرستقراطي في المدارس الحكومية الإنجليزية أو لدى منافسيهم الفرنسيين في العصر الجميل 1880/1914 La belle époque)، أن تستمر بنفس النمط لدى الفلاحين و الموظفين أو التجار في جنوب غرب فرنسا إلا بعد إعادة تأويل عميقة.

بهذا فإن ممارسة مختلف أنواع الرياضة تعتمد –بدرجات مختلفة لكل رياضة– أساسا على رأس المال الاقتصادي و ثانويا على رأس المال الثقافي و على وقت الفراغ؛ هذا من خلال التوافق الذي ينشأ بين الاستعدادات الأخلاقية و الجمالية المرتبطة بموقع محدد داخل الفضاء الاجتماعي و المنافع التي تمدّ بها مختلف أنواع الرياضة بناءا

[1] Ibid, p9.

على هذه الاستعدادات. أما فيما يخص عينة البحث الخاصة بنا فيبرز جليا أثر رأس المال السابق ذكره،من خلال وضع صورة لمقام الرياضة التي تستهوي هذه العينة و التي هي كرة القدم، فمثلا يصرح أحد الشباب أن: *"الرياضة هي ممارسة دينية، موصي عليها الدين، كيما يقولك الحديث: علموا أولادكم الرماية و السباحة و ركوب الخيل... كل واحد يشد في الرياضة يلقا روحه أطوماتيكمو في الطريق تاع ربي، و العكس صحيح"* . (**مقابلة رقم 27**)، أي أنّ الرياضة من بين ما أوصى به الدين الإسلامي عبر استشهاده بحديث ديني، من تمسك بالرياضة فإنه يتمسك حتما بتعاليم الدين. كما يصرح شاب آخر: *"كاين ربي و الرسول و الشيبانيا و موراهم مولودية وهران"* (**مقابلة رقم 8**)، أي أن ترتيب الأولويات في حياته عامة يبدأ بربه ثم رسوله و أمه ثم فريقه. إننا من خلال التصريحات هذه نلاحظ أن كل فرد إلا و يتبنى مفهوما خاصا و تصورا فريدا حول رياضته المفضلة، كما يبني في سلم مبادئه المكانة التي تشغلها تلك الرياضة، لدرجة إعطائها أهمية كالتي يكتسيها الدين و حب الوالدين.

يمكن اعتبار الرياضة حاليا كفعل اجتماعي ضخم و مُتشعب، من الصعب أن يكون لك نظرة كلية شمولية عنها و نفس الشيء إن نحن أردنـا معرفة جزئياتها بتفاصيلها. كما يرى G. MAGNANE فإن القضية الرياضية تفرض نفسها ليس فقط على من يمارسونها أو ينظمونها أو من يبحثون عن تسييرها أو يطمحون القيام بها، و لكن حتى لمن يسعون لمحاربتها و الوقوف ضدها. من هنا نجده يبين كذلك أن الرياضة لم تكن محل اهتمام علماء الاجتماع في الأيام الأولى لانتشارها بصورتها الحديثة أي في بداية القرن الثامن عشر و نهاية القرن التاسع عشر، و هذا لم ينقص من أهميتها ذلك أنها نابعة من لب المجتمع و مُتأصلة فيه، عكس من يظن أنها أجنبية عنه: "Le sport se pose comme revendication de l'instinct, et principalement de l'instinct agonal"[1]، أي أن الرياضة هي صورة للمُطالبة الغرائزية و خاصة الغريزة التنافسية.

[1] P. BONIFACE, Op. cit, p229.

في الأخير تجدر الإشارة إلى أن تأسيس سوسيولوجيا خاصة بالرياضة عرف عدّة عوائق، فإن صح القول، هناك سيطرة يخضع لها علماء اجتماع الرياضة بين عالم السوسيولوجيا و عالم الرياضة. لأجل توضيح هذه الفكرة يروي لنا P. BOURDIEU مثالا توضيحيا خلال حوار جمعه مع عالم اجتماع أمريكي (A. CICOUREL)، حيث يصرح: "عرفتُ أن كبار رجال القوى السود في الولايات المتحدة الأمريكية و الذين يتم اختيارهم من طرف الجامعات الكبرى مثل جامعة Stanford، يعيشون في شكل غيتوهات ذهبية (ghetto doré)، بسبب أن رجال اليمين لا يحبذون الكلام مع السود كما أن رجال اليسار لا يتكلمون مع الرياضيين"[1] . إذن من خلال هذا التناقض سنستنبط نفس مبدأ الصعوبات الذي واجه سوسيولوجيا الرياضة، بسبب احتقارها من طرف علماء الاجتماع آنذاك، و بسبب الاستخفاف بها من قبل التقنيين الرياضيين، و كأن مبدأ التقسيم الاجتماعي الذي بسط معالمه في عالم العمل يسعى لأن يتكرر و يقسم ميدان البحث العلمي. عندنا بهذا من جهة، أشخاص يعرفون جيدا الرياضة من الجانب التطبيقي لكن لا يعرفون الحديث عنها اجتماعيا، و من جهة أخرى أشخاص لا يجيدون الرياضة من جانبها التطبيقي التقني لكن بإمكانهم الحديث عنها جيدا، إلا أنهم يحتقرون فعل ذلك، أو يفعلون ذلك جهلا و خلطا.

بالمقابل فإننا لسنا مؤرّخين للممارسات الرياضية بل نحن هنا هواة بين متخصصين، لكننا نظن أن البراءة التي تمنحها سمة أن لا نكون متخصصين يمكن أحيانا أن تقود إلى طرح أسئلة و استنباط ملاحظات لا يطرحها و لا يلاحظها المتخصصون أنفسهم؛ ظنّا منهم أنهم وجدوا لها حلولا، أو ظنا منهم أنها خارج مجال بحثهم، إذن بهذا، فتساؤلاتنا آتية من الخارج، تنتمي لمجمل الأبحاث السوسيولوجية[2]. نعرض في هذا المقام جزءا لتصريح من مقابلة قمنا بها: "*حنا شباب كبرنا في الحقرة و الظلم، كل واحد يرمينا للطريق و لا واحد حب يفتحنا قلبه و يسمعنا... ابداها من الأسرة إلى المدرسة إلى الدولة إلى وين حبيت... الدولة تحارب فينا كأننا جردان... أنا نكمي الزطلة وين راه المشكل؟ هي اللي تنسيني في المشاكل... ندخل للملعب نهار الجمعة تحسب عندي روندیفو مع مدامتي... نفرح*

[1] P. BOURDIEU, Op. cit, p203.

[2] (انظر) ماحي. م. ع، مذكرة ماجستير (مرجع سبق ذكره).

بزاف و نعرف بلي اليوم اللي نعبر فيه على روحي و نشوف حبابي... الملعب و المولودية هـــمـــا مفتاح السعادة صدقني..." (**مقابلة رقم 9**)، بمعنى أن هذا الشاب يرى فئته من أمثاله تعاني من الظلم و الاحتقار، كل جهة يقابلونها إلا ترمي بهم إلا الطريق و لا أحد أراد أن يفتح قلبه لهم و يسمعهم، بداية من الأسرة إلى المدرسة إلى باقي المؤسسات الاجتماعية، الدولة في نظره هي الأخرى تحاربهم كأنهم حيوانات ضارة (جرذان)، يعترف هذا الشاب باستهلاكه للمخدرات و لا يرى في ذلك مشكل، طالما أنها تنسيه في كل همومه و مشاكله، أما حين يدخل للملعب يوم العطلة الأسبوعية كأن له موعد مع حبيبته، يسعد بذلك لأنه يوم للتعبير عن الذات، الملعب و فريقه هما مفتاحا سعادته. إن كانت الرياضة تتيح للشباب مثل هذه الفضاءات التعبيرية فهذا دليل على اجتماعية الظاهرة بدرجة أولى.

المبحث الثاني: الظاهرة الرياضية الأكثر شعبية

حين تقابل أي شخص له رصيد متواضع من المعرفة بالحقل الرياضي فتسأله عن الرياضة الأكثر شعبية بحسب رأيه، سيجيبك بكل ثقة أنها "كرة القدم"، من جهتنا نؤكد و نوضح أن هذه الشعبوية التي تتمتع بها كرة القدم تُسجّل سواء من خلال من يتابعون الأحداث المتعلقة بهذه الرياضة و المهرجانات التي تقدمها، أو من خلال الممارسين الذين يسعون القيام بها على مستويات مختلفة. في هذا الشأن نعرض نموذج مُسجلا للرياضات الأكثر ممارسة بالمجتمع الفرنسي (بالرغم من التباعد الجغرافي بين مجتمع هذا النموذج و المجتمع المعني بدراستنا إلا أن هناك أرضية ثقافية مشتركة بينهما أبرزها الماضي الاستعماري)، فبحكم الماضي الاستعماري طويل الزمن و الأثر الذي تركه في العديد من الميادين نخص منها الممارسة الرياضية المقننة بصورتها المعاصرة، يمكن القول بتقارب ثقافة الممارسات الرياضية و البدنية بين الوسطين الاجتماعيين للبلدين و بالتالي استنباط مؤشرات من الأرقام الإحصائية بينهما.

ففي دراسة إحصائية أقيمت سنة 2000[1] من قبل وزارة الرياضات الفرنسية و المركز الوطني الفرنسي للرياضة و التربية البدنية، حول عينة مكونة من 6526 فرد تتراوح أعمارهم من 15 إلى 75 سنة مُمثلة للعدد الكلي للأفراد، و التي تهدف إلى تقدير مجموع أشكال الممارسات الرياضية لدى الفرنسيين. تبيّن من خلال هذه الدراسة أن مجموع ممارسي الرياضات الجماعية يمثل ما يقارب 6.6 مليون نسمة محددة بين سني العينة المذكورين سابقا، أي 18% من اللذين اعترفوا بممارستهم نشاط بدني أو رياضي، كما نجد أن كرة القدم تتصدر مقدمة هذه الرياضات بشعبية تقارب أكثر من 4.6 مليون ممارس، تتلوها كرة السلة (1.4 مليون)، الكرة الطائرة (1.2 مليون)، كرة اليد (580000)، الروغبي (420000). من هنا تتأكد النظرية القائلة بشعبوية رياضة كرة القدم، هذا ما لمسناه بدورنا من خلال

[1] S/d. P. MIGNON, G. TRUCHOT, Les pratiques sportives en France, Ministère de la jeunesse des sports et de la vie associative, Institut national du sport et de l'éducation physique, Ed INSEP, Paris, 2002, p75-p81.

العمل الاستطلاعي حين أكد كل الأخصائيين الرياضيين الذين حاورناهم و الذين ينتمون لعديد التيارات الرياضية، أن كرة القدم كانت و لا تزال الرياضة الأكثر شعبية و ممارسة لدى مختلف الفئات العمرية بالمجتمع الجزائري.

كرة القدم بالصيغة التي نعرفها ولدت في نهاية القرن التاسع عشر، إلا أن جذورها الحقيقية أو المفترضة ترجع إلى وقت قديم قبل هذا الذي ننعته لولادتها. ففي كل الحضارات الإنسانية التي عبرت إلا و تركت الكرة أثرا فيها على في شكل اعتقادات، تصورات أو أعراف و ذلك على غرار حضارة الصين و مصر القديمتين، و من حضارة لأخرى تغير شكل الكرة و تغير المعنى كذلك، كما أن الأفراد لم يلعبوا الكرة لنفس الأسباب و لا بنفس الطريقة لكن بالرغم من هذا لعبوا الكرة. في هذا الشأن نذكر أن اليونان القديمة عرفت أربعة تمارين بكرات ذات أحجام مختلفة: (l'épiscyre, la phéninde, l'aporrhaxis et l'uranie)،كما نجد أن شخصية Homère القديمة تذكر هذه اللعبة في النشيد الثامن من "الأوديسي". نجد كذلك طبيب الحاكم M. AURELE، الحكيم اليوناني المعروف باسم C. GALIEN، يكتب في مؤلفه حول لعبة الكرة و بالضبط لعبة la phéninde، فيذكر "أن لعبة الكرة عرفت أهمية كبيرة بين باقي الرياضات و لم يتم تسليط الضوء عليها آنذاك، فأفضل الرياضات هي من تحرك الجسد و لها طبيعة مسلية..."[1].

إن المستعمرات اليونانية المشيدة في صقلية تضمنت هي الأخرى في فترة الإمبراطورية الرومانية ألعاب الكرة، فالشاعر V. MARTIALIS المولود في السنة الأربعين من الميلاد، يبيّن أن الرومان مارسوا أربعة ألعاب: كرة القرويين (و هي كرة كبيرة نوعا ما مليئة بالريش)، كرة الثلاثة (صغيرة و خفيفة وجدت كذلك عند الفرنسيين في العصر الوسيط)، الكرة الجلدية المملوءة بالهواء، و لعبة (harpastum) التي هي أقرب للشكل الذي نستعمله. هذه الألعاب تعتبر أصول رياضة كرة القدم و رياضة الروغبي، كما أن انتقالها من روما القديمة إلى المملكة البريطانية مثلا ليس

[1] J-P. RETHACKER, J. THBERT, La fabuleuse histoire du football, Ed La Martinière, Paris, 2012, p15.

واضحا تماما، فهناك تأكيدات بأن الدوري الإيطالي لكرة القدم (le calcio italien) هو استمرار للعبة الرومانية (harpastum).

لقد مارست الشعوب البدائية ألعاب كرة أقدام، ثم مارسها قدامى العصور الوسطى في مختلف بقاع العام على شكل طقوس اعتقادية تهدف أحيانا لجلب الخصوبة للإنسان و للأرض، وأحيانا أخرى مارسها الهنود في "أوكلاهوما" للإحتفال بالحصاد و اعتبروها رمزا للشمس. كما اعتبرت لدى سكان شمال فرنسا و جنوب بريطانيا رمزا للشمس و للقمر عبرها يتم تملك فوائدهما، و نفس الشيء في انجلترا و ما جاورها. حتى اعتبر الفرد الذي لا يتقن لعب الكرة بالفرد غير الصالح للحصاد كذلك، و الفريق الرابح هو من يحصد أفضل[1].

بالعودة للحاضر فإننا نجد أن الفرد حين يلعب كرة القدم، لازال يؤكد اليوم كما في البارحة عن فحولته و قوته الصراعية. ضرب الكرة بالقدم، السيطرة عليها و الجري وراءها، الوقوف و مجابهة الخصم بقوة، هي كلها أفعال عدوانية لا يمكن إنكارها. حتى أن بعض المؤرخين يؤكدون أن أولى الكرات التي لعب بها الإنسان كانت عبارة عن رؤوس أشخاص قتلوا في المعارك. بهذا فإن تعلق الإنسان المعاصر بكرة القدم، سواء كممارس أو كمتابع، هو نابع من عمق الزمن. إلا أن هناك شيء ممتع في اللعبة و هام مثلما يصرح به GIRAUDOUX، هو أن سر الجاذبية في الكرة يكمن في الامتناع من لمسها باليد حين اللعب. فيصرح: "الأيدي هي وسائل منحت فقط للحيوانين الغشاشين (المخادعين)، الرجل و القرد. الكرة لا تقبل الغش، بل تقبل إلا الآثار الثابتة"[2]. فالامتناع من الأيدي للتعامل مع الكرة، هو إذن بمثابة العودة إلى الطبيعة و إعادة الغوص في الإشكالية الكبرى الخاصة بالنوع.

[1] J-P. RETHACKER, J. THBERT, Ibid, p16.

[2] Ibid, p18.

بريطانيا العظمى ربما لم تكن مكان ولادة كرة القدم، لكنها كانت بالتأكيد مهدها و بيتها. يمكن للممارسين الرومان أن يكونوا غرسوا بذرتها،فكانت الأرض أكثر خصوبة في انجلترا، أين نبتت الرياضة الأكثر شعبية في العالم،بالنسبة للرياضة بصورتها المعاصرة فقد برزت في "المدارس الشعبية لإنكلترا الفكتورية" (l'Angleterre victorienne)، ابتداءا من سنوات 1840 و 1850، و استعملت اللعبة من قبل مُربّي هذه المدارس الخاصة لأجل التحكم في عنف التلاميذ و اندفاعهم ولتربيتهم عبر الرياضة، لكن كذلك لترسيخ معنى المبادرة و الشجاعة الخاص بالأسياد (gentleman). بعد ذلك تطور هذا الدور و شمل مختلف بقاع العالم بحُلل مختلفة.

كرة القدم لها قواعد سلسة يمكن تلخيصها فيما يلي: فريقين كل منهما يضم 11 لاعبا، فوق أرضية ميدان خاصة (مقياسها العام 100م طول/50م عرض) مقسمة إلى جزأين،في طرف كل جزء من الأرضية يوجد 11 لاعبا لهم مَرمَى يَتولّى لاعب له صفة الحارس بمنع الفريق الآخر من وضع الكرة بعدم تجاوز خط المرمى، بالإضافة إلى الحارس، اللاعب رقم واحد، يُقسم باقي اللاعبين العشرة في مهامهم بين مدافعين، متوسطين و مهاجمين. إذن كما هو معروف، فإن الوسيلة الرئيسية للعب هي الكرة، أين يتم اللعب عن طريق كرة مطاطية باستعمال الأرجل من قبل اللاعبين المتجابهين من الفريقين بزيين مختلفين، بينما يملك حارسي المرمى الحق في استعمال الأرجل و الأيدي بشروط مضبوطة هي الأخرى، و غاية كل فريق هي تسجيل الأهداف ضد الفريق الخصم، مع وجود حكم رئيسي و مساعدين له يديرون اللقاء و يحرصون على استعمال اللعب المشروع لبلوغ الهدف. كل فريق له مدرّب، يتولى تسييره قبل المباريات عبر التدريب و خلال المباريات كذلك بإعطاء الحلول، الأوامر، الخطط و التغييرات المناسبة.

كما هناك قوانين أخرى تضبطها هيئة خاصة تعرف باسم الفيديرالية الدولية لكرة القدم (FIFA)، و تنطوي تحت هذه الفيديرالية هيئات أخرى إقليمية و وطنية تنتسب إليها كافيديرالية الإفريقية لكرة القدم، الفيديرالية الجزائرية لكرة القدم (FAF)... كل هذه التنظيمات و القوانين نجدها متداولة لدى فكر و ثقافة أغلب الأفراد المتابعين لهذه الرياضة بدرجات متفاوتة، كما نلاحظ أن أغلبية الشباب الذين حاورناهم في المقابلات لهم إلمام شامل و دقيق

بأغلب تفاصيل كرة القدم و تحديثاتها التي تصدر من حين لآخر بل حتى أحيانا لجزئيات تاريخية، هذا يدل على المكانة و الأهمية التي تبديها هذه الفئة لرياضتها المفضلة.

بالنسبة للفيديرالية الدولية لكرة القدم (FIFA)، فقد تأسست في 21 ماي 1904 في العاصمة الفرنسية باريس من طرف ممثلي الجمعيات الوطنية و نادي كرة قدم يحمل في صفوفه جنسيات لثمان دول (08) من أوروبا الغربية (ألمانيا، بلجيكا، الدنمارك، إسبانيا من خلال فريق ريال مدريد، فرنسا، هولندا، السويد و سويسرا). مائة سنة بعد ذلك أصبحت تضم 204 عضوا، أي 13 عضو أكثر من منظمة الأمم المتحدة (ONU). عبر هذا المسار الذي يفوق المائة سنة استطاعت هذه الفدرالية أن تؤسس عضوا قويا لها تمكن من منافسة الألعاب الأولمبية، نقصد بذلك كأس العالم لكرة القدم، الدورة رقم واحد في مجالها و التي تُنضم كل أربع سنوات (عرفت انقطاع من 1938 إلى 1950)[1]. لقد هدفت فكرة "الفيفا" قبل كل شيء إلى تأمين القطبية الواحدة حول تنظيم رياضة (لعبة) كرة القدم العالمية، بما أن كل جمعية تابعة إليها تخضع إلى رقابة اللعبة، قوانينها و محتوياتها.

من هنا و كما أسلفنا الذكر، فإن رياضة (أو لعبة) كرة القدم منذ بدايتها عُرفت بمدارسها كما عُرفت بقوانينها التي لم تعرف بالضرورة إجماعا موحدا منذ أولى خطواتها، فأصحاب المدرسة القديمة "Old boys" الذين بقوا أوفياء للُّعبة أسسوا في ربيع 1863 جمعية رياضية، تهتم بوضع قوانين للّعب المشترك. بعدها برز تصوّرين متناقضين لكرة القدم، من جهة لعب مغامر "dribling game" يمنع استعمال الأيدي و الضرب بالأرجل في الأماكن الخطرة كالساق الخاص بالمنافس، عرف هذا الاتجاه باسم "الجمعية الرياضية" (football association). و من جهة أخرى

[1] S/d. F. BOSMAN, P. CLASTRES, P. DIETSCHY, Le sport : de l'archive à l'histoire, Ed Presses Universitaires de Franche-Comté, Paris, 2006, p319.

لعب خشن وقوي (handling game)، متسامح أكثر نحو استعمال العنف، يلعب بالأيدي كما بالأرجل، و أصبح يعرف باسم كرة قدم – الروغبي (football-rugby) بعد تأسيس اتحاد كرة قدم– الروغبي سنة 1871[1].

لقد تم وضع قوانين بسيطة تُنظم اللعبة (كانت تضم 14 قانونا في 1863)، من خلال الروح الرجولية التي تتميز بها كرة القدم دون أن تكون خطرة، جمعية كرة القدم اقتُبست من قبل العُمّال المؤهلين و ذلك في سنوات 1870 – 1880. انتشار هذه اللعبة كان في اتجاه شمال انجلترا عن طريق الكنائس و بعض رجال الأعمال الذين كانوا يسعون لتحويل الطبقات المجتهدة عن عادة الإدمان على الخمر، لكن أرباب الإشهار هم كذلك كانوا يؤيدون تشكيل الفرق. في العالم الحضري الجديد الخاص بالثورة الصناعية، فإن الفرق الأولى كانت عبارة عن شبكة اجتماعية للأحياء. ابتداءا من سنوات 1890 فإن جمعية كرة القدم أصبحت الرياضة الشتوية بينما كان "الكريكيت" لعبة الصيف. هذا بالنسبة للانطلاقة الأولى لرياضة كرة القدم في انجلترا لتجتاح بعدها أوروبا ثم كل المعمورة، وتصبح الرياضة الأكثر شعبية في العالم[2].

بما أنه يتم تفسير الممارسات الرياضية من خلال مجموعة من العلاقات المنسوجة في ما بينها، و كذلك عبر العلاقات التي ينسجها الأفراد المَنَظَّمُون اجتماعيا معها، و بين عناصر متنوعة و محدّدة للرياضة، يدفعنا هذا لاعتبار هذه العلاقات المنسوجة كمكون "لحقل". نوع العلاقات، كثافتها و شدتها هي من تحدد لنا نوع الحقل، كما أن التحليل يكون حول هذه العلاقات. حين يتم ضبط العلاقات، البحث هو من يؤهل لنا شكلها. في حين عند غياب هذه العلاقات في أماكن يفترض وجودها، فإن هذا الغياب يعبّر عن الفراق، يتم تحديد هذه العلاقات بمنطلق الانقسام، البعد السلمي أو التضاد. هنا تتموقع الأعمال المعنية بالبنيات الثقافية و السياسية الكبرى: رياضات الجيمناستيك و الرياضات التنافسية، المستوى العالي و الرياضة التربوية، الرياضة الجماهيرية و الرياضة الأحادية[3].

[1] Cf. P. DIETSCHY, La passion du football, In Revue: l'Histoire, N° 353, Mai 2010.

[2] (انظر) ماجي. م. ع، مذكرة ماجستير (مرجع سبق ذكره).

[3] S/d. C. LOUVEAU et Y. DROUET, Sociologie du sport: débats et critiques, Ed L'Harmattan, Paris, 2006, p51.

من هنا يمكن القول أن طرحنا يصب في سياق تحليل هذا النسيج الذي يقسم الظاهرة الرياضية المتمثلة في كرة القدم، و أكثر تحديدا الجمهور المناصر لفريق كرة قدم بمدينة وهران، والذي نسج شكلين من المناصرة لفريقين من نفس المدينة. فالعودة إلى ماضي الرياضة هو بهدف التأكيد على طرحنا، أي أن حتى المجتمعات المؤسسة لكرة القدم في زمن ماض عرفت منطق الانقسامات الذي تزرعه مختلف التفاعلات الاجتماعية و الثقافية.في هذا الشأن يعتبر N. ELIAS أنه من أجل تفسير حاضر الرياضات يجب أوّلا فهم تطور المجتمعات المُمَهّدة لوجودها، كما يتعين علينا مراعاة الظروف، المميزات و الخصائص المحلية التي واكبت و لا زالت تواكب تطور أي رياضة. فمن أجل فهم المشكل السوسيو-نوعي الخاص برياضة ما، يتعين علينا تحديد المميزات الخاصة بسيرورة تطور المجتمع الذي مثل بيئة ممهدة لها و المجتمع الذي يمثل بيئة آنية لها، مع تحديد كيفية تشكل الوعي في الأوساط المعنية بتحول الألعاب التنافسية التقليدية. بهذا يمكننا القول بإمكانية الذهاب بعيدا في الرؤية من خلال البحث عن وجهات شكل المجتمعات العامة التي تلعب دورا في تأسيس رياضة ما، بالإضافة إلى المجتمع المحلي و تطورهما معا، لكي نُفسر في الأخير كيفية انتشار و توحّد شكل ما من الرياضة[1].

إن كرة القدم في أساسها و لب روحها تحمل مبادئ سامية تهدف في مجملها إلى التنافس المبني على الجهد العضلي و الفكري فكلاهما ضروريين، هذا التنافس لا ينبغي أن يخرج من إطار رياضي ليصبح صراعا لا أخلاقيا، لا ينبغي تبني شعارات و تصرفات عدوانية، عنصرية أو أي شكل مضر بنفسية أو جسد الآخر. إنها مبادئ فلسفية صعبة التجسيد ضمن إطار تنافسي جسدي لا بد فيه من رابح و خاسر، فكرة القدم كباقي الرياضات، تُعلم كيف يمكن للفرد أن يصارع دون أن يؤذي، كيف يتعامل مع الغير باعتباره منافسا و ليس عدوّا... "بالعودة لأصل كرة القدم، حين تطورت هذه الرياضة في بريطانيا أثناء أواسط القرن 19، كانت تهدف لتقوية النفوس و الأجسام لتلاميذ المدارس الشعبية. العمال و المصلحون الاجتماعيون وجدوا فيها وسيلة لتغيير رؤية و ذوق الطبقة العاملة اتجاه ألعاب

[1]Cf. N. ELIAS, E. DUNNING, Op. cit .

المال و استهلاك الكحول. بالتغلغل في الطبقة العاملة، أصبحت كرة القدم مهرجان و فرصة لإرضاء الذوق... فنقطة قوة كرة القدم تكمن في قدرتها على طرح الصراع كقانون طبيعي للحياة الاجتماعية، إنها تتعارض مع كل أشكال الحيادية في العلاقات بين المجموعات، أو في الاعتقاد بتوحيد كلي للمجتمعات. الفوز لا يمكن أن يكون موضوع إجماع أو تفاوض، ليس هناك إلا رابح واحد. في عالم كرة القدم لا يمكن أن نتصور عالم لا نهاية له و هدايا للجميع، فالفوائد و التشريفات محدودة، سعادة البعض ستخلق حتما تعاسة للبعض الآخر"[1].

كرة القدم بهذا المعنى تُفسّر سبب تخبطها بين معنيين محددان لوضعيتها في الفضاء الاجتماعي العام، نقصد بذلك معنى اللعبة و معنى المنافسة الشديدة، فكل فرد إلا و له تصور لهذه الرياضة يجعله يتبنى انتماء معين من المعنيين اتجاهها. يصرح فردين مستجوبين على التوالي من فريقي جمعية وهران و مولودية وهران في هذا الأمر بما يلي: *"أنا نتبع كرة القدم اللي فيها الروح الرياضية، كرة القدم اللي فيها متعة قبل اللقاء، أثناء اللقاء و بعد اللقاء... ما عنديش ما ندير بالحس و الدبزة، مين ندخل للملعب نحوس على الفرجة و الترفيه، و هذا الشيء راه يزيد و ينقص في الملاعب..."* (**مقابلة رقم 19**). بينما يصرح مناصر مولودية وهران: *"كرة القدم يعني الصراع حتى الموت يا أخي، الفريق هذا ماتوا عليه رجال، رانا سامحين في صوالحنا على جال هذا الفريق... كي ندخل للملعب باش نشجع و نحمس الفريق نتاعي و نزيد فيه المعنويات... الخسارة تعني المذلة و الإهانة خاصة كي تكون في الملعب تاعنا و أمام خصم عدنا معاه حكة..."* (**مقابلة رقم 11**). بهذا نستنتج أن الفردين لهما رؤية متناقضة لنفس الرياضة و نفس الوضعية الرياضية، بالرغم لانتمائهما لفريقين مختلفين إلا أنهما يقاسمان نفس المدينة و نفس الفضاء الحضري بل نفس الرياضة، فالمناصر الأول يبحث عن متعة و فرجة و تغيير الجو النفسي نحو الأحسن مهما كانت وضعية فريقه الذي يناصره، أما المناصر الثاني فما يهمه قبل كل شيء هو الفوز، كما يرى أن له دور فعال في دعم فريقه، و أن الخسارة هي قضية شرف لا يجب أن تحدث خصوصا حين يلعب الفريق المناصر في ملعبه و ضد منافس له سوابق تاريخية

[1] P. MIGNON, La violence dans les stades: supporters, ultras et hooligans, Les cahiers de l'INSEP, Numéro 10, 1995, p16.

معه. من هنا نلاحظ أن الانتماءات و التصورات الاجتماعية لها دور في تحديد هوية المناصر و طريقة تعلقه برياضته كرة القدم.

نحن نحاول دوما أن نعطي لكل عنصر من موضوعنا حقه في التحليل و بالدرجة التي يلتقي بها حول هذا الموضوع، حقيقة نحن أمام ظاهرة بناؤها الأساسي تقني و بدني إلا أن هذا البناء هو في الأخير فرجة و استعراض يتم استهلاكه من قبل جمهور باختلاف صوره. "الإلمام بالجانب التقني من اللعبة يعد ضرورة لدراسة مثلا التساؤلات حول جمالية كرة القدم أو المتعة المرتبطة بحركات اللعبة، إلا أن الجانب التقني وحده لا يكفي للإجابة عن كل التساؤلات، كما أنه لا يخلو من السلبيات حيث يمكن أن يقود إلى الذاتية و فقدان البصر (aveuglement). إن السوسيولوجيا تدعو إلى ترك المسافة و تدعو إلى الملاحظة الموضوعية للأحداث"[1]. بالعودة للجانب التقني من اللعبة، فإن كرة القدم بصيغتها العالمية المشتركة و التي تنظمها "الفيفا"، يمكن لها أن تُلعب تحت راية صورتين بارزتين من الفرق: فرق تلعب دوريات في مستويات مختلفة أعلاها الاحتراف، غالبا ما تحمل هذه الفرق اسم مدينة ما أو ترمز إليها أو جزء من المدينة كالأحياء العريقة أين تأسست تلك الفرق، كما تجدر الإشارة إلى مصطلح "النادي" و الذي يمثل تنظيما (مؤسسة) يحتوي على مجموعة من الفرق لرياضات مختلفة (ككرة القدم، كرة اليد، كرة السلة...)، في حالتنا هنا نُلاحظ وجود نادي مولودية وهران مثلا، أين يحتوي على العديد من الرياضات على غرار كرة القدم. أما الصورة الثانية فهي لفرق وطنية تمثل دولا و تلعب منافسات دولية قارية أو عالمية، بطبيعة الحال وفق مباريات تؤهلها لهذه المنافسات ككأس أمم إفريقيا، كأس أمم آسيا و كأس العالم...

إذن و على غرار باقي الرياضات، فإن قانون لعبة كرة القدم يوفر نفس الحقوق و نفس العقبات للمتجابهين، فهو بالتالي يجعلهم في وضعية تساوي حظوظ نظريا قبل بداية اللقاء بينهما. إن نتيجة المجابهة هي من ستحدد الترتيب. إن هذا الانتقال من المساواة في البداية إلى اللامساواة المترتبة عن النتيجة –أين يكمن سر اللاتأكيد الخاص

[1] J-C. TROTEL, Football je t'aime... moi non plus, Ed L'Harmattan, Paris, 2005, p7.

بالرياضة- هو من يجعل في الرياضة دراما تحمل العديد من الاحتمالات. إن السيطرة في اللعبة(الرياضة) لا تعني الفوز، بل يجب تسجيل أهداف و نقاط، بينما في كرة القدم هذا ليس بالسهل إنه شيء صعب مقارنة بباقي الرياضات الجماعية الأخرى، و ما علينا سوى مقارنة النتائج للتأكد. إذن فإن تسجيل هدف في كرة القدم يعتبر لحظة مميزة تؤثر بقوة على الفاعلين كما على مشجعيهم و تجعلهم في حالة فرحة هستيرية. بالمقابل،فأي وضعية ساخنة تحمل خطر هدف تولد خوفا قويا، هذا ما يفسر سبب هتاف الجماهير أثناء وجود لعب مميز و مبني وسط الميدان و الدفع بفريقهم لإخراج الكرة من منطقتهم.

من هذا المنطلق، نسمع دوما عن مبدأ المساواة في الرياضة أين لا يجب تفضيل فريق دون الآخر، لذلك وضعت قوانين و هيئة تحكيمية تضمن هذه المساواة في الحقوق. إلا أن الواقع التحليلي للفرق الكروية يبين أن هناك عدد من الفوارق ستنتج بالرغم من ذلك. A. EHRENBERG يوضح هذا الطرح و هو يؤكد أن مصطلح المنافسة الرياضية هو ملازم لمصطلح المساواة، فلا يمكن أن نقيس أو نقارن إلا بين متساويين، كما أن المساواة الناتجة عن المنافسة هي مبنية في الأساس على المساواة بين الفاعلين (هذه المساواة تبقى نظرية نسبيا لأن في الميدان لن نجد نفس الفرص و الإمكانيات، مثلا الميزانيات الخاصة بالفرق هي غير متساوية)[1]. **يبقى أن نشير إلى أن هذه الفكرة من المساواة أو اللامساواة** نجدها تتجسد كذلك في مختلف الأحداث العامة ذات الصلة بالمجتمعات المعاصرة، فإن قضية المساواة في الحظوظ غير موجودة بالضرورة هي الأخرى داخل هذه الأحداث، بل إن المجتمعات الديمقراطية تَخلُق في مخيال الأفراد علاقة مساواة لا يعيشوها فعليا. إذن بطريقة وهمية فإن الرياضة التنافسية تغمر ذلك الطموح غير المشبع في المساواة و توضح لنا كيف يمكن لأي كان أن يصبح ذا مقام، مهما كان عرقه، جنسه، فئة الاجتماعية...

[1] Ibid, p19.

لقد كان يصرح Zidane[1] في العديد من المقابلات: "حينما نريد، نستطيع". إنه من خلال الانتماء إلى هوية فرد رياضي أو فريق كروي، فإن المشجعين لهم إمكانية الاندماج في فضاء التعامل بالمساواة. إن الرياضة تمارس إغراء لأولئك الأفراد الموجودون في أدنى السلم الاجتماعي و المحرومون من حقوقهم بإعطائهم فرصة و أملا لطموحهم، في هذا المقام يصرح شاب مناصر من العينة، يعيش ظروفا اجتماعية صعبة نوعا ما: *"مين نتنقل مع الفريق نتاعي إلى ولاية أخرى نحس بالفخر، ألبس ألوان الفريق، نغني مع صحابي طول الطريق في الحافلة... الحاجة اللي تكبر فيا مين نلحقوا للملعب، أنصار بعض الفرق يستقبلونا بالقرع تاع الماء و البيسكويت و الكلمة الطيبة... بالرغم من ذلك حنا ما نحوسوش على الإستقبال، نحوسوا على الفوز، التاج تاع البطولة هو الصح، ما تبقى غير مهم..."* (**مقابلة رقم 7**)، أي أن هذا المناصر أصبح يملك مكانة اجتماعية في إطار مناصرته لفريقه بالرغم من معاناته في باقي الميادين خارج هذا الإطار، فلقد أصبح من خلال مناصرة فريق كرة قدم يتنقل و يسافر من مدينة إلى أخرى، كما يتم استقباله بطريقة الضيف من قبل مناصري الفرق الأخرى أحيانا، بالإضافة إلى ذلك أصبح هذا الشاب يحلم بلقب تاج البطولة، و بهذا أصبح يرجوا مستقبلا من خلال هذا الحلم.

[1] زين الدين زيدان: لاعب فرنسي سابق من مستوى عالي و مدرب حاليا (موسم 2020/2019 مدرب فريق ريال مدريد)، ذو أصول جزائرية، نال العديد من الألقاب أبرزها كأس العالم سنة 1998 كلاعب في صفوف المنتخب الفرنسي.

المبحث الثالث: اللاعب رقم 12 (المُـنـــاصر)

بعد عرض مجموعة من التفسيرات ذات الرؤية الاجتماعية للظاهرة الرياضية بعمومها و الرجوع عبر الزمن لأبرز المحطات التاريخية التي أثّرت في مسار هذه الظاهرة، انتقلنا إلى حيز أصغر من خلال التطرق للرياضة (أو اللعبة) التي نعني بها طرحنا و التي تعتبر أكثر شعبية و إثارة للمتابعين في كل المعمورة (أي كرة القدم). لقد تبين أن كرة القدم مبنية على قواعد تم اكتسابها منذ نشأتها و تطويرها عبر الزمن لتصبح أكثر موضوعية و عقلانية، تحتوي كذلك هذه الرياضة على مجموعة من التقنيات و المهارات التي تساعد ممارسيها لبلوغ هدفهم بسهولة و سلاسة. كل هذا يقدم في طبق استهلاكي، فُرْجَوي و استعراضي لجمهور مولع بهذه اللعبة، أول و أقرب هذه الجماهير هم أولئك الذين يحيطون بالملعب، المستطيل الأخضر أين تجرى اللقاءات بين الفرق، مناصرون اقتنوا تذاكر لأجل الوجود في عين المكان و الاستمتاع بالمجريات من منبعها عبر المدرجات، و لما لا، لعب دور فعال عبر تشجيع فرقهم و رسم صور تشجيعية تجعلهم يختلفون عن الجمهور الآخر من الجماهير اللذين فضلوا متابعة فريقهم عن بعد (عبر وسائل الإعلام و التواصل أو غيرها)، فتجدر الإشارة إلى أن هناك جمهورا يتابع فريقه عبر وسائل و وسائط تنقل له الحدث. إن البث التلفزيوني مثلا، و الذي عرف تطورا كبيرا بعد سنوات الستينات، ساهم في عرض العديد من المقابلات مباشرة أثناء لعبها، ما ساهم في بزوغ وجه جديد من متتبعي اللقاءات الكروية، نقصد بذلك المشاهدين المتتبعين عبر التلفاز. أما عن دراستنا فهي تتجه نحو الجمهور الذي يشاهد فريقه المفضل لكرة القدم عبر مدرجات الملاعب.

وجب علينا الذكر في هذا المقام أن كلا من عيّنتي الجمهورين المناصرين المقصودين بعيّنتنا (التفصيل في طبيعة الجمهورين موجود في الفصل الثالث من الجزء الأول)، و اللذين يناصران فريقيهما مولودية وهران و جمعية وهران، أظهرا عبر مختلف المقابلات و تدوين الملاحظات المختلفة من خلال مقاسمتنا المدرجات برفقتهم، أن تعلقهما بالملاعب ليس مجرد حدث أو صدفة، بل إن هذا بمثابة رصيد ثقافي تم اكتسابه. إن طريقة تصرف المناصرين يوم لقاء كروي لفريقهم المفضل تبيّن أنهم أمام يوم استثنائي، الملابس ليست عادية، الألوان تختار بعناية، زمن الانتقال إلى

الملعب مقصود هو كذلك، مكان الجلوس و المحيط الذي يتواجد به المناصر لا يترك للصدفة... إننا أمام رموز لثقافة حقيقية، فمن خلال تدوين ذلك"الكل المعقد من الممارسات الاجتماعية والمادية التي هي في حالة استعمال داخل جماعة إنسانية ثابتة بشكل نسبي و التي يمكن أن تتنقل عبر أعضائها، مُشتركةً بتمثلات، معتقدات، قيم، معايير و رموز تعطي لها معنى. يمكن للثقافة أن تسيطر على وجود الجماعة من خلال الحركات الأكثر بساطة أو في الأوقات الأكثر احتفالية. يمكن الجزم باعتبار الرياضة كشكل من أشكال الثقافة التي تفسر لنا هذا التعريف"[1].

ما يعيشه المناصر في المدرجات شيء فوق عادي، هو حدث يجعل مشاعر كل مناصر تتأثر و تتغير عبر مختلف مجريات اللقاء، إن الشعور المرتبط بجمالية اللعبة لا يتعلق حتما بالفريق الذي يناصره الفرد. "فالفن مثلا ليس له حزب". بينما إن الشعور المرتبط بالتشجيع يعود إلى ذلك الالتزام الأولي و الانتماء إلى فريق ما، و هذين الشكلين من المشاعر يعتبران متناقضين بالطبيعة، لكن لا يجب الجزم بعدم قدرة تعايش الشعورين لدى نفس المناصر لأنه شيء يحصل بالفعل. في كتابه حول كرة القدم (La légende du football)، نجد G. HALDAS يصف لنا بطريقة ممتعة هذا التناقض لدى المشاهدين، و إمكانية وجود تعايش بين شعورين مختلفين لدى نفس الشخص، فنجده من جهة يشجع فريقه ثم يصفق من جهة أخرى للقطة تحدث من قبل الفريق الخصم. و يلخص ملاحظته لهذا التناقض بقوله "إن التفاهة الإنسانية ليست دوما كلية" (L'imbécilité humaine n'est jamais totale)[2]. يمكن بهذا تلخيص ما يجري بمدرجات الملاعب من خلال نظريتين: الأولى مبنية حول تحاليل إ. دورخايم حين يفسر التجمعات الدينية، حيث يعتبر ذلك كوقت قوي و حساس من الحياة الاجتماعية، أين تتجدد الجماعة و تأخذ الوعي بنفسها (تستوعب نفسها). أما الثانية فبالعكس، هي ترى ذلك كفرصة للراحة النفسية أين يسعى الشعور الذاتي لأن يمحى. في حين ما يبدو لنا قريبا لميدان البحث هو أن الملعب يمثل عدة أوجه متناقضة و نشطة، و بالتالي فإن كلا الفكرتين صحيحتين نسبيا.

[1] M. BOUET, Question de sportologie, Ed L'Harmattan, Paris, 1998, p30.

[2] G. HALDAS, La légende du football, Ed L'Age d'homme Lausanne, 1981, p.116.

المناصر الذي هو جزء من الجمهور يملك من القوة ما يجعله قادرا على تغيير مجريات و أحداث لقاء كروي ما، فحتى مُسيّروا الأنشطة الرياضية الكروية، نظرا لإدراكهم بأهمية الفاعل الرياضي الجماهيري، يمكنهم إتخاذ إجراء عقابي اتجاه الفرق الرياضية التي ترتكب مخالفات، بحرمانها من اللعب أمام جمهورها، كدليل على حرمان الفريق المعاقب من أحد أهم عناصره الذي يعتبر بمثابة اللاعب رقم 12. الجمهور هو عبارة عن مجموعة فاعلين اجتماعيين يتخذون خيارات: إما أن يكونوا مشاهدين مجتهدين و مواظبين، أو أن يكونوا مناسبتيين (occasionnels)، إمّا أن يُفضلوا البعد الخاص بالمشاعر و البعد المبني على المنطق، و إما أن يُعجبوا بكل أشكال المناصرة التي يمكن أن تتضمن حتى التصرف العنيف اللامقيد. إما تفضيل مجابهة الذات، الآخر أو البيئة[1]. في هذا الشأن لاحظنا طوال المواسم الكروية التي تابعناها منذ الشروع في البحث الميداني أنّ الرابطة التي تُسيّر البطولة الوطنية الأولى –أين كانا ينشطا الفريقين المعنيين بالدراسة– اتخذت في العديد من المرّات إجراءات عقابية ضد عديد الفرق التي تنشط في الدوري، على غرار فريقي مولودية وهران و جمعية وهران، و ذلك لتجاوزات غالبا ما تكون من ارتكاب المناصرين، أبرزها استعمال وسائل ممنوعة في المدرجات كالألعاب النارية و الشماريخ، أو استعمال العنف بشكل من أشكاله...

لقد سألنا في هذا الشأن العديد من المناصرين حول رأيه في هذه الإجراءات ضد الفرق فكانت جل الأجوبة المتعلقة بمناصري فريق مولودية وهران تصبّ في كونه إجراء تعسفي، ضد فريق تخافه كل الفرق، و جمهور من نوع فريد يمكن له قلب الطاولة في أي وقت، أي أن العقاب ليس ضد سلوك ارتكبوه بل ضد فريق و جمهور يهابه الفريق الخصم، بحيث يصرّح أحد المستجوبين بما يلي: *"المولودية فريق كبير و ڤاع الجزاير تخاف منه... و الله ما يبغوا يشوفونا فرحانين، على خاطرش ڤاع عندهم ماضي ضعيف معانا... حتى الحكزمة و تكرهنا حنا المشجعين تاع المولودية، وهادي ماشي هدرة هادي حقيقة"* (**مقابلة رقم 10**). بينما إن جل الأجوبة الخاصة بمناصري الجمعية فأجمعت أن العقاب ضروري حين ارتكاب خطأ سلوكي من قبل الفريق أو الجمهور المناصر له، فلو لم يتم استعمال مثل هذه

[1] M. JAMET, Le sport dans la société entre raison (s) et passion (s), Ed L'Harmattan, Paris, 1991, p 80.

العقوبات لما تم احترام القانون، و هم يستدلون بقانونية هذه الإجراءات بتطبيقها حتى في الدوريات الكروية الكبرى كالدوري الإيطالي أو الدوري الإنجليزي.

نلاحظ في الكثير من الأحيان أن الأحداث الرياضية الكبرى تجلب معها بصفة طبيعية جمهورا من المشاهدين، الذين غالبا ما يشتركون في مطلب واحد يتمثل في الرغبة في رؤية مهرجان رياضي بين جانبين و الرغبة بتتويج فائز واحد بهذا المهرجان بحسب انتماء كل فرد من الجماهير. إذن، هي الطبيعة المألوفة للرياضة و التلاقي لمشاهدة حدث رياضي يأتي معه دائما بالأمل في أن تهزم الآخرين، و هذا الشعور الاجتماعي يرتكز على المنافسة ضد الآخرين، و بالتالي نحن أمام سلوك أساسي يتلخص في وجود فرد أو جماعة تسعى لتحد الآخر،كما نلاحظ أن هذا التحدي ينتج عنه معرفة و إدراك لأخبار الحدث الرياضي قبل حدوثه بفترة زمنية و تتبع لكل ما يحوم بهذا الحدث من جديد و حيثيات يمكن أن تلعب دورا في تحديد هوية الفائز مسبقا، و ذلك لإحساس الفرد بأهمية المشاركة في المنافسة بالإضافة إلى تشكل شعور بالتضامن مع الفريق يتزايد كلما اقترب يوم المنافسة.

إن المشجعين حين يتجهون إلى الملاعب فهم يرون أن كلا من المباراة و أحداثها الموجودة لها وظائف علاجية و مطهرة من الانفعالات المكبوتة، مما يجعل لكرة القدم وظائف حيوية في مجتمع حضري صناعي حديث، يضطر فيه الأفراد إلى مراعاة ضبط النفس و إخفاء مشاعرهم طوال الوقت، بحيث أن الحدث الرياضي يهيئ مخرجا للضغوط و يعلم المرء السيطرة و التحكم في التعبير عن مشاعره التي ينبغي عليه أن يكبحها في ظروف أخرى. و قد أشار عالم الاجتماع الألماني "نوربرت إلياس" إلى المجتمع الذي لا يتيح لأعضائه، و خاصة الشباب، فرصا كافية للاستمتاع بالإثارة الناتجة عن مهرجان في شكل منافسات رياضية تتضمن قوة طبيعية، وتتطلب مهارات بدنية عالية،

هذا المجتمع يخشى أن يجعل حياة أفراده فاترة (مملة) للغاية. "مثل هذا المجتمع لن يوفر التعويض المقنع المناسب للتوترات الناشئة من الحياة اليومية العادية المملة"[1].

إن صورة المناصر لم تكن بهذا الشكل منذ أن اقترنت كرة القدم بمدرجات هذا المناصر، فمثلا قبل سنوات 1950، كان شكل نشاط المناصر بصفة عامة يتميز بحرية ضئيلة اتجاه اللعبة، كان الجمهور يتفاعل بعفوية مع ما يحدث على أرضية الملعب، كما لم يكن معترف به اجتماعيا. ثم ابتداءا من سنوات 1950 و 1960، تحول هذا الشكل التقليدي و تطور. فضاء الجماهير أصبح يسعى للانفصال عن فضاء اللعبة حتى يثبت وجوده كفضاء جديد متحرر. من خلال هذا التصور الجديد، الجماهير لم تعد تتموقع في سجل التبعية بالنسبة للعبة، لكن في ذلك المتعلق بالترابط المتبادل: السلوكات لم تعد مرهونة بمسار المباراة[2]. إذن، منذ سنوات 1950، أصبح المناصرون كجمهور من نوع جديد، يختلفون عن الجمهور الذي كان يجلس لمجرد التأمل، لقد أصبحوا يسعون لإظهار تلك المشاعر التي يحملونها اتجاه فريقهم. بصيغة أخرى نشأ مصطلح"المشجعون" كرمز لجنود أو مناضلين متعلقين بالملاعب، لهم ارتباط و تعهد و التزام مشاعري مشابه لمن يسعى للدفاع عن قضية ما. بالنسبة لهم قضيتهم هي فريق كرة قدم.

نُذكر من جديد في هذا المقام أنه من المستحيل الحديث عن موضوع دراستنا دون العودة إلى حالة بريطانيا، بما أنه تم بزوغ كرة القدم بشكلها المعاصر هناك، لتصبح بسرعة مهرجان شعبي ذا أثر استثنائي عالمي. فمثلا فريق Sheffield Football Club يعتبر بإجماع العديد من المختصين كأول نادي تأسس في العالم، كما يُقدّر معدل جمهور المهتمين الذين حضروا لقاءات أوّل بطولة لكرة القدم آنذاك بحوالي 4600 شخص[3]. بهذا بدأت البحوث المتعلقة بمناصري كرة القدم تظهر في عدد من الأعمال لدى الباحثين البريطانيين منذ نهاية سنوات 1960.

[1] محمد ي. ح، التعصب و العدوان في الرياضة، رؤية نفسية اجتماعية، مكتبة الأنجلو-مصرية، القاهرة،2002، ص72.

[2] P. BARTOLUCCI, Op. cit, p11.

[3] P. DIETSHY, Le jeu de l'Angleterre victorienne, In Histoire du football, Paris, 2010, p17-65.

بالنسبة للمناصر الذي نعني به دراستنا فإنه هو الآخر له عدة تصورات لنشاطه الذي يقوم به اتجاه فريقه أثناء، قبل أو بعد المهرجان الذي ينتج من لقاء كروي. إن مصطلح مهرجان، بحسب ما تم استنتاجه من الميدان، يحمل معنى ذا اعتبارين من درجة أولى و درجة ثانية. في الدرجة الأولى نجد المشجع مولعا بكرة القدم و بمشاهدة مباراة يرجو أن تنتهي بفوز فريقه المفضل، أما في الدرجة الثانية، و باستقلالية عن اللقاء، يسعى المشجع لأن يلعب دورا يجعله هو الآخر أداة للمهرجان، مثله مثل اللاعبين، يسعى لإعطاء صورة ذات نوعية لفعل المناصرة الذي أصبح من الممكن أن يتجاوز حتى ميادين المدرجات و الملاعب، فالجماهير لم تعد تنحصر إلا في فضاء الملعب، لقد أصبح لها عدة أماكن يمكن أن تتجمع فيها حتى في الأوقات الخارجة عن أيام المباريات. فأن تكون مشجعا يعني أن تعيش كرة القدم بنظام "طائفي"، سواء على مستوى الطائفة الكبرى التي تضم مجموع جماهير نفس النادي –ما يسميه بعض المختصون "Tifosérie"– أو على مستوى شبكات الانتماء المصغرة (جمعيات، مجموعات، دوائر، عصابات...)[1].

نعرض في هذا السياق ما أدلى به أحد المستجوبين خلال إحدى المقابلات: *" حتى تفهمني و تفهم الشعور اللي نحسوا به مين نكونوا أمام الفريق نتاعنا نتفرجوا عليه و نشجعوه نحسوا بالفخر... الفريق فيه الرموز اللي تربينا عليهم، هو يمثلنا و يحوس يرفعنا الراية نتاعنا، و حنا تاني نوقفوا معا باش تقعد الراية دايما مرفوعة... العلاقة نتاعنا بالفريق تتجاوز كرة قدم، كرة القدم مجرد وسيلة شعبية، بصح الفريق راه كل شيء بالنسبة لينا"* (**مقابلة رقم 18**)، أي أن الانتماء لفريق ما يتعدى علاقة لعبة و جمهور، الفريق يمثل حزب و انتماء له راية يجب أن تبقى مرفوعة، يلعب المناصر دوره قي إعلاء تلك الراية هو الآخر.

[1] P. BARTOLUCCI, Op. cit, p12.

نستنتج من هنا أن المشجع في آخر المطاف موضوع بين نزاع لطموحين ينتابانه نفسيا: من جهة الاستمتاع بمشاهدة المهرجان في أرضية الميدان و صناعة المهرجان في المدرجات من جهة أخرى. أحيانا يكون مشاهدا، متفرجا، مستمتعا بما يقدمه اللاعبون في المستطيل الأخضر (أرضية الملعب) ثم فجأة ينفعل بسبب فرصة ضائعة لفريقه ليصرخ و ينفعل فينتج هو الآخر صورة موازية لما يدور في أرضية الملعب. هذا ما لاحظناه خلال كل المباريات التي استهدفنها في عمل ميدان دراستنا، فالجمهور بصيغة الفرد يجلس أو يقف في مدرجات الملعب يشاهد ما يجري في أرضية الملعب من مهرجان رياضي، ينتظر من كل فرصة هدفا يسجله فريقه أو مراوغة جميلة تجعله يندهش و هو بهذا يتفاعل بكل حواسه (حتى الألفاظ التي ينطقها لا حدود لها، فيمكنه أن يصرخ، أن يسب أن يغني...)، يمكن أن يقفز أو أن يرمي بما في يده إلى أرضية الملعب...

إن المدرجات بمثابة ميدان حر (بالرغم من وجود أجهزة نظام تضبطه)، يسمح لمختلف الفئات التي ترتاده بأن يكون لها هامش من الحرية غير المقيدة التي تجعل مجرد لعبة أن تصبح قضية شرف أو قضية جادة بكل بساطة. يصرح أحد الشباب الناصر لفريق جمعية وهران في مقابلة تمت في مدرجات الملعب قبل بداية المباراة قائلا: *"... كل مرّة ندخل للملعب نقول غادي نتفرج المباراة و نشوف مهرجان رياضي فقط... بصح كي بغيت تقعد عاقل، راك شفت الماتش اللي فات كيفاش غشنا الحكم... الماتش خسر بسبب الحكم... حبيتني نقعد ساكت؟ بلا ما نعبا بديت نسب و نكفر و نعاير... الله غالب جات فوق الجهد..."* (**مقابلة رقم 9**)، من هنا و بكل بساطة نرى كيف تتشكل صورة معقدة لمناصر فريق كرة القدم انطلاقا من الفكرة الجملة البسيطة "سأذهب لمشاهدة مباراة جمعية وهران"، لتتعدى البساطة في جملة من المشاعر و ردود الأفعال التي تنطوي تحت مسمى المناصرة.

في هذا الشأن نجد أطروحة P. BARTOLUCCI معبرة لما لمسناه من جهتنا في طرحنا، فبالإضافة لما له علاقة بمجريات مباراة كرة القدم على أرضية الملعب من أر على الجماهير المناصرة، هناك كذلك ما هو معبأ في نفسية المناصر من ثقافة و رصيد اجتماعي و الذي يمكن أن يصب في وعاء الأحداث التي تعبر عن ظاهرة المناصرة في كرة

القدم. لقد أسس P. BARTOLUCCI لفرضية كون الأنشطة الجماعية المعروضة من قبل مشجعي كرة القدم ليس لها بالضرورة هدف تشجيع فريق لأجل الفوز، لأن المناصرة متعلقة بمنطق مستقل عن مصطلح المهرجان في الدرجة الأولى. بصيغة أخرى، التشجيعات المقدمة أثناء اللقاء لا تمثل إلى الجزء البازغ من جبل جليد المناصرة. الهدف من خلال طرحه كان سبر (sondé) الجانب الغائص من أجل فهم الدوافع و الحوافز (les ressorts) الأساسية لهذا الحقل من الأنشطة، "فليس هناك من العلم إلا ما هو مخبئ" (il n'y a de science que du caché) مثلما يعبر G. BACHELARD. بهذا كان هدف P. BARTOLUCCI فهم الظاهرة (phénomène) بعمقها، بعيدا عن المظاهر (apparences)[1].

لأجل الوصول إلى معنى شمال لما نقصده بدراستنا يمكن أن نفسر مفهوم التشجيع بمجمل النشاطات المنتشرة (المستعملة) جماعيا بغرض دعم فريق ما، و ذلك موازاة مع مجريات العرض (المهرجان) الرياضي لتُنتج لنا هوية تشجيعية و معنى تُعطيه لنشاطاتهم الداعمة لفريقهم. أو كما يصرّح C. BROMBERGER: " مباراة كرة قدم تمثل مهرجان كلي أين تمحى حدود التمثلات المتفق عليها... كما تلعب الجماهير خلالها ثلاث أدوار تنسقـها و تتحملها بدرجة مختلفة من الغزارة عبر مختلف أوقات المباراة: تشاهد، تتفاعل و تصنع المهرجان[2].

إنّ أوّل ما يشد انتباهنا لظاهرة المناصرة في وسط كرة القدم هو تلك الازدواجية الموقفية ذات الصلة بها، فأحيانا يصف الفرد نفسه يتابع مهرجان رياضي تنافسي و أحيانا يكتفي بالقول أن كرة القدم مجرد لعبة، أحيانا يكتفي بالسكوت كردة فعل أمام مجريات اللقاء الكروي و أحيانا يصبح عدوانيا إلى حد الجنون أمام نفس المجريات، أحيانا يعتبر اللقاء الكروي أخوي ودّي و أحيانا أخرى تصبح مباراة كرة قدم ميلادا لحرب بين مجموعتين. إنها مجموعة من السلوكيات الجماعية المتناقضة التي تنتج عن الأفراد اللذين يناصرون فرقا كروية و التي لا تحمل صفة التكرار

[1] Ibid, p13.

[2] C. BROMBERGER, Le match de football: Ethnologie d'une passion partisane à Marseille, Naples et Turin, Ed. La maison des sciences de l'homme, Paris, 1995, p111.

الحتمي، فنحن بهذا أمام ظاهرة نفسية اجتماعية محضة. "في حقل رياضة كرة القدم هناك العديد من التناقضات: الروح الرياضية و الغش، السعي للفوز و المهرجان المزيف، التحكم في النفس و التعدي، اللياقة و تعاطي المنشطات..."[1].

من وجهة نظر أولى نود ربط ظاهرة المناصرة من خلال الارتداد إلى الملاعب بقضية الوقت (أي الزمن)، فالزمن حسب A. SZALAI يمكن أن يقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي زمن العمل، زمن الراحة و التأمل و زمن الفراغ و الترويح[2]. على وجه العموم فإن أوقات الفراغ تشكل أكثر من ثلث وقت الإنسان بغض النظر عن خلفياتهم الاجتماعية و فئاتهم العمرية. بينما هناك أسلوبان مختلفان لدراسة و تحليل موضوع الفراغ يعتمد عليهما العلماء و المتخصصون النفسانيون الاجتماعيون في فهم و استيعاب مشكلات الفراغ التي تعترض الأفراد و الجماعات في المجتمعات المتحضرة و الراقية[3]:

- الأسلوب الأوّل يركز على دراسة الفوارق الأساسية بين أوقات العمل و أوقات الفراغ و وضع الخط الفاصل بينهما، من هنا نجد أن معنى وقت الفراغ هو ذلك الوقت الذي يقضيه الإنسان في ممارسة نشاطات تقع خارج نطاق عمله الوظيفي الذي يعتمد عليه في معيشته، و ممارسة هذه النشاطات تكون اختيارية و من محض إرادته الحرة كما تكون منطبقة مع أحواله المعيشية و الاجتماعية و مع أذواقه و قيمه و مواقفه و فئته العمرية و الطبقية.
- أما الأسلوب الثاني في دراسة مشكلات الفراغ فهو الأسلوب الذي يتجاوز تقسيم الوقت إلى قسمين رئيسيين (وقت العمل و وقت الفراغ)، فهو يتجه نحو دراسة وقت الإنسان دراسة شمولية لا تفصل بين

[1] P. MIGNON, Op. cit, p10.

[2] A. SZALAI, Joffre Dumazedier, compte-rendu sur le livre: The Use of Time. Daily activities of urban and suburban population in twelve countries, Edité par Alexander Szalai, Ed Revue Française de sociologie, N° 1, Volume 16, Paris, 1975, p125-129.

[3] إحسان. م. ا، علم اجتماع الفراغ، دار وائل للنشر، الطبعة الأولى، عمان، 2005، ص60.

الوقتين. إنه المفهوم الحديث للفراغ، فتقسيم الوقت حسب المفهوم الحديث لا يعتمد على طبيعة الفترات الزمنية التي يقضيها الإنسان في العمل أو الراحة و الاستجمام، و إنما يعتمد على طبيعة النشاطات و الفعاليات المتنوعة التي يمارسها في حياته اليومية (لا يوجد فاصل بين النشاطات، نجدها متداخلة في ذهاب و إياب).

يرى J. DUMAZEDIER أن الترويح هو ذلك النشاط البنائي (مبدأ الترويح) الذي يقوم به الفرد في وقت فراغه لذاته و ليس لكسب مادي أو معنوي، و مهما يكن ذلك النشاط جسمانيا أم عقليا أم اجتماعيا أم فنيا[1]. من هنا يمكننا اعتبار الوقت الحر ذلك الزمن الذي بحوزة الفرد و الذي لا يعمل خلاله و لا ينتج فيه للمجتمع، بينما وقت الفراغ هو ذلك الوقت المتيسّر للفرد و الذي من خلاله يستطيع ممارسة أنشطة الفراغ التي يختارها و التي تتلاءم مع أذواقه و اتجاهاته، أما وقت الترويح فهو الوقت الذي يقضيه الإنسان في ممارسة نشاط ترفيهي ينتج عنه سد أوقات فراغه و تطوير شخصيته و تجديد قواه الجسمانية و العقلية المنهكة.

إننا من خلال دراسة هذه التفسيرات و محاولة إسقاطها على واقع الميدان يتبين لنا بوضوح ذلك الدور الذي تلعبه مباراة نهاية الأسبوع (عطلة الأسبوع)، فبعد مدة من الروتين اليومي الذي يقضيه الفرد في شكل من أشكال نشاطه أو فراغه (إن كان بطالا) سيأتي الدور على مباراة كرة قدم يحط فيها رهانا معنويا لأجل الترفيه عن نفسه و ضمان فوز فريقه الذي سيتحدث عنه طوال الأسبوع الموالي، هذا ما تؤكده مقابلة مع مناصرين لفريقي الجمعية و المولودية على التوالي كما يلي: *"أنا موظف في القطاع العمومي... الأسبوع ثم الأسبوع ثم الأسبوع أصبحت كل الأيام متشابهة... كيما تعرف وهران ما بقاتش كيما بكري وين تخرج و تبدل، مين يجي الماتش تاع الجمعية في الجمعة ولا السبت نفرح و الله، غادي تجي أوكازيو باش نشوف صحابي و نتلايمو فالصطاد و نتفرجوا باتيا شابا و نديفوليو على رواحنا..."* (**مقابلة رقم 3**). أما مناصر مولودية وهران فيصرح: *"نهار تلعب المولودية تحسب عيد... نتلاقوا مع*

[1] J. DUMAZEDIER, Sociologie empirique du loisir. Critique et contre-critique de la civilisation du loisir, Ed Seuil, Paris, 1974. p7.

الصحاب، نريحوا في بلاصتنا في الملعب، نضحكوا و نقصروا... و زيد نستغلوا المولودية و أومبيونص تاع الصطاد فيها الغنا و الزهو... و الله غير نهار ماشي عادي..." (**مقابلة رقم 17**). إذن بالنسبة لكلا الفردين فإن يوم لعب مباراة فريقيهم هم يوم مناسباتي، يلتقي فيه الأصدقاء للاستمتاع و الفرجة و قضاء وقت ممتع ينسيهم ما قضوه من أحداث طوال الأسبوع، بالرغم من وجود برامج أخرى يمكن للفرد أن يعبر فيها عن راحته أو تغيير الجو الروتيني عبرها إلا أن الملعب يبقى ذا مكانة خاصة بالنسبة لهؤلاء المناصرين.

إذن فإن مفهوم وقت الفراغ في المجتمع الحديث لا يعني بأي حال من الأحوال الوقت الذي يكون فيه الإنسان متحررا من القيود و الأحكام الاجتماعية التي يمليها عليه المجتمع، و لا يعني كذلك حريته في اختيار نشاطات الفراغ و الإبداع التي تتلاءم مع أذواقه و ميولاته الشخصية. بل يعني الوقت الذي يكون فيه الإنسان متحررا من جميع أشكال الاغتراب أي الشروط و القيود و الضغوط الإقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و الحضارية التي تفرض عليه في حياته اليومية من قبل فئة مستغلة و محتكرة بحيث تعكر عليه وقت راحته و استجمامه و تسلبه شخصيته و استقلاليته و تقتل عنده روح الخلق و الإبداع و التطوير. المواطن الحالي لا يكون حرا خلال وقت فراغه فحسب، بل يكون حرا خلال وقت عمله و حرا خلال الأوقات التي يصرفها على النشاطات الأخرى[1].

في التناقض الموالي نسلط الضوء على كرة القدم الجماهيرية بين اللعبة و الترفيهية و اللعبة الجدّية، بمعنى آخر، كيف يمكن لنفس اللعبة أن تتخذ مناصب مختلفة في الفضاء التفكيري و المشاعري للفرد؟ في هذا الشأن يرى J. HUIZINGA بأن الرياضة مُحرّرة للطاقات الوجدانية، لولا الرياضة التي كانت عرضة لخطر الأشكال المفروضة للعب و الترفيه "لم تثور ثائرة الجماهير إذ يتابعون مباراة مباراة كرة قدم؟ إنّ حدّة اللعب هذه و الاستغراق فيه ليس لها تفسير في التحليل البيولوجي. و مع ذلك، ففي هذه الحدة و الاستغراق و قوة الإصابة بالجنون يكمن الجوهر الأساسي و السمة البدائية للّعب"، أمّا L. MUMFORD فلخص رؤيته للرياضة إذ كتب عام 1933أنّ "الرياضة

[1] إحسان. م. ا (مرجع سبق ذكره)، ص61.

التي بدأت أصلا كردّة فعل عفوية ضد عصر الآلة، أمست واحدة من الواجبات الجماهيرية لعصر الآلة". بينما R. MUSIL فاعتقد أن تبعية الفن للرّياضة، في هوس الفن بأجساد الرّياضيين، "انتصارا عظيما بلا شك للرّياضة على الرّوح"[1].

من هنا فإن هناك شعور قوي يشيع بين عشاق الرياضة الأعمق تفكيرا و مراعاة للآخرين بأن المنافسة في عصرنا الحالي مبالغ فيها، و أن الرغبة في التميز الفردي مبالغ فيها جدا، الأمر الذي يضر بالرياضة، و أن التنظيم المعقد الضروري بسبب ذلك يعمل عمل الجاثوم، و إذ تطغى عليه طبيعة الأعمال، فهو يسلب الرّياضة سمتها الطبيعية كوسيلة للترفيه و التسلية. نحن بهذا أمام ازدواجية فكرية مشاعرية أخرى تتجلى في لعبة كرة القدم تجعل من اللعبة تتعدى طابع الترويج لتصبح أكثر جدية و تصل إلى درجات عدوانية تجعلها تتناقض مع ما كان مبرمجا لها فكريا. إن المشاعر هي من تجعل كرة القدم قضية جدية، فمثلما صرح مناصر مجموعة "الألتراس" في إحدى المقابلات حول ما يسمى "بالباش" (الراية) أنه يمثل شرف المجموعة، إذن بهذا فقد انتقلت المكانة المشاعرية التي تشغلها كرة القدم من المجال الترفيهي إلى مجال أكثر جدية و صرامة بإمكانه الدفع بردود أفعال إلى أبعد من حدودها.

لعل هذا هو السبب وراء ما ساقه "فرويد" في كتابه "قلق في الحضارة"، فمن الممكن دائما "أن نجمع بين عدد كبير من الناس، ممن تربط بينهم المحبة، ما دام هناك عدد كاف غيرهم يفرغون فيهم مظاهر مشاعرهم العدوانية". وقد عبر P. SLOTERDIJK عن الأمر ذاته، فقال "إنه لا توجد شمولية تستطيع أن تستوعب الجميع"[2]. و من المرجح جدا ألا يكون من يتلقون تلك المشاعر العدوانية أفرادا أو جماعات لكل منهم مصالح مختلفة كلية عن الآخر، بل إن مصالحهم تكاد تتطابق مع مصالح الفريق الأول. و يُطلق "فرويد" على هذه الظاهرة "نرجسية الاختلافات الضئيلة"[3]، و هو بذلك يشير إلى الفكرة القائلة إن الاختلاف الكلي للآخر ليس هو السبب وراء ظهور العنف

[1] ستيفن كونور، مرجع سبق ذكره، ص46-47.
[2] نفس المرجع السابق، ص234-242.
[3] نفس المرجع السابق، ص234-242.

أو السماح به، بل إن السبب يعود إلى الفارق الضئيل، الذي حال بين أن يكون الطرفان متطابقين تماما، و هو ما كان ينبغي أ يكون عليه الحال لولا ذلك.

من هنا، نجد الأفراد و الجماعات و المجتمعات بأسرها وقد أحاطت بها أحقاد غير مفهومة المنبع (و هي أحقاد لا يعرف أحد سببها، أو حتى كيف يشعرون بها) تجاه من يكادون يشبهوننا تماما. و يُعرّف الخصم من الناحية اللغوية بأنه ذلك الشخص الذي يعيش على الضفة الأخرى من النهر. و يتسم وجه الشبه هنا بأنه ملائم معبر، و ذلك لأن الخصم إما يسير محاذيا لك في اتجاه النهر نفسه، أو يقف على الضفة الأخرى أمامك مباشرة، و ذلك اعتمادا على وجهة نظرك الخاصة. في هذا الشلأن يصرح أحد المناصرين من فريق جمعية وهران: *"كاين جماهير و الله غير نرحبوا بيهم فوق الراس، و كاين بعض الجماهير غير مرغوب فيهم في مدينتنا... يعرفونا مليح و نعرفوهم ملبكري..."* (**مقابلة رقم 9**)، أي أن الجماهير المناصرة لها مؤثرات أخرى ترسم طبيعة العلاقة بينها و بين الجماهير الأخرى تتعدى مجريات مقابلة كرة قدم. في العادة، يكون الخصم هو الشخص الذي ربما نقول عنه إنه يقف بمحاذاتك، و إلى جانبك، و في الاتجاه نفسه. و لكن عندما يتحول هذا الاتجاه بنسبة 180 درجة، يتحول إلى شيء معاد لنا، فيتحول وقوفه إلى جوارك إلى وقوفه ضدك، و من ثم، يصير خصمك.

بينما يرى N. ELIAS في هذا الشأن أن الرياضة ليست تدريبا أو تحضيرا للعنف، بل هي حاجز قوي ضد ممارسة العنف. كما يشدد على أن الرياضة هي "دائما معركة تخضع للسيطرة في بيئة تخيلية"[1]. من هنا يتضح لنا جليا أنه بينما يحدّ إطار اللعب لدى الحيوانات من العنف مثلا، فإنه يخدم عند البشر في العادة غرض إطلاق العنان للعنف، علاوة على تضخيمه و تعزيزه. بالنسبة ل N. ELIAS يعود ذلك إلى أن الرياضة قد وُجدت لتخدم، غالبا، غرضا مضادا، يتمثل تحديدا في توفير المتعة و الإثارة التي نشعر بصورة متزايدة بالافتقاد إليها في حياتنا المعاصرة، بما فيها من محظورات معقدة شاملة تستهدف السلوك الذي يتسم بالإثارة، و كذلك التعبير العاطفي. و تستثير

[1] نفس المرجع السابق، ص249-250.

الرّياضات تلك الاندفاعات العنيفة، و بشكل متعمد، و ذلك من أجل السماح بإطلاق العنان لها في شكل منظم لا يؤدّي إلى الإصابة، مما يوفر "تفريغا ممتعا و منظما للمشاعر"[1].

إن المشجعين يصيرون كما لو كانوا خصما، و يدل القلق من الفوز على أن الخصم الحقيقي للاعب يتمثل في الجمهور المشاهد للمباراة، و في تلك العزيمة التي تتهاوى، و الرغبة التي تصبح محط التركيز مع دنو إمكانية الفوز، حيث يجد اللاعب نفسه و قد احترق فوق نار رغبته في تخطي تلك النقطة الشائكة. فبينما يوشك على انتزاع الاعتراف بتفوقه على منافسه في اللعبة، هذا الخصم الذي يفترض أن يضفي على نصره المعنى المطلوب، إذ بطرف ثالث يخترق تلك المواجهة الثنائية، فيُعقّد من عمقها و من فعاليتها. و لكن هناك شيء واحد مؤكد يعرفه اللاعب، ألا و هو أن هذا الطرف الثالث يسانده بكل تأكيد؛ ما دام أن الفوز قد تحقق له. أما إذا لم يفز، و إذا ظهر أن اللاعب قد ضيع هذا النصر بصورة غريبة بعد أن كان قاب قوسين، أو أدنى من تحقيقه، فإن خيانته ستؤدي إلى غضب و خذلان مروعَين، و هو الأمر الذي قد يذيب في واقع الأمر انعكاس الخصومة بين مشجعي كل فريق، حيث سيتوحدان في صيحة استهجانية من المدرجات. و في الوقت الحاضر، يزداد احتمال أن يجلب اللاعب أو الفريق الذي يفشل ببساطة في تحقيق أداء لا يرقى للمستوى الذي تتوقعه الجماهير على نفسه مثل هذا النوع من الإدانة.

آخر تناقض يتعلق بطرحنا هو ما يتعلق بالتعصب، الشغب أو السّلْم الرياضي، فالشغب هو حالة عنف مؤقت و مفاجئ تعتري بعض الجماعات أو التجمعات أو فردا واحدا أحيانا و تمثل إخلالا بالأمن و خروجا عن النظام، و تحد للسلطة و النظام. الشغب بصفة عامة هو مجموعة من الأنماط السلوكية الانفعالية التي تصدر عن الفرد أو عن الجماعة تحت ظروف معينة، و التي تتصف بأنها خارجة عن السلوك العام الذي يحدده المجتمع وفقا لظروفه و معاييره الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية. يجب التذكير في هذا الشأن إلى أن لكرة القدم أخت توأم ولدت

[1] نفس المرجع السابق، ص251.

برفقتها و هي تلازمها منذ الخطوات الأولى، نقصد بذلك أحداث الشغب و العنف. في بداية ظهور كرة القدم كان الشغب في المباريات يحدث بكثرة في أمريكا اللاتينية، نذكر على سبيل المثال الحادثة الشهيرة بين لقاء الهندوراس (Honduras) و السلفادور (Salvador) عام 1969، و سميت باسم "حرب كرة القدم"، حدثت بسبب مباراة كرة قدم أقيمت في المكسيك في نطاق تصفيات أمريكا اللاتينية تمهيدا لكأس العالم في كرة القدم. قبل هذا كانت المسابقات بين البيرو و الأرجنتين ينتج عنها أحداث شغب هي الأخرى مثل عام 1964، حيث لقوا 350 شخص مصرعهم[1].

عن معايير التعصب فهناك ثلاثة معايير يمكن القول إن التعصب يحدث نتيجة الانحراف عنها و هي معيار العقلانية، معيار العدالة، معيار المشاعر الإنسانية. إذن، السواء (اللاتعصب) هو حالة من التوافق بين هذه المعايير الثلاث.

- معيار العقلانية: نقصد بهذا المعيار أن هناك محاولات مستمرة تبذل للحفاظ على المعلومات الدقيقة، و تصحيح المعلومات الخاطئة التي يتلقاها الفرد، و عمل تميزات و تحديدات لكي يكون منطقيا في استنباطه، و واعيا باستدلالاته. و التعصب بمعنى الانحراف عن "معيار العقلانية" يحدث في شكل حكم متعجل، حكم مسبق، تعميم مفرط، التفكير في إطار القوالب النمطية و رفض تعديل الرأي في ظل ظهور دلائل جديدة و رفض السماح أو الاهتمام بالفروق الفردية.
- معيار المشاعر الإنسانية: يتمثل هذا المعيار في تقبل الأشخاص الآخرين بمفاهيم إنسانيتهم، وليس على أساس أنهم يختلفون عن بعضهم البعض في بعض الخصال، و هذا التقبل يعد استجابة شخصية مباشرة، سواء على مستوى المشاعر أو السلوك و تشمل هذه "الاستجابة الشخصية" مجالات العلاقات الخاصة

[1] محمد. ي. ح (مرجع سبق ذكره)، ص78.

فضلا عن العلاقات العامة. و التعصب بمعنى الانحراف عن معيار "العلاقات الإنسانية" يتراوح من اللامبالاة من خلال الرفض، إلى العداوة النشطة و يطلق على هذا الشكل من أشكال التعصب اسم "عدم التحمل".

- معيار العدالة: يعد هذا المعيار مؤشرا للمساواة في المعاملة، فهو يتطلب وجوب المساواة في المعاملة بين الأشخاص جميعهم في كل مجالات الاهتمامات العامة بصرف النظر عن ألوانهم أو أديانهم أو آرائهم السياسية أو أي معيار آخر.

يلاحظ المتأمل في هذه المعايير الثلاثة أنها هي نفسها مكوّنات التعصب، فالانحراف عن "معيار العقلانية" يعبّر عن خصائص المكون المعرفي، والانحراف عن معيار "المشاعر الإنسانية" هو نفسه المكون الانفعالي، و الانحراف عن "معيار العدالة" يعبّر عن المكون السلوكي.

الفصل الثاني: كرة القدم بزيّها الجزائري

المبحث الأول: لمحة عامة عن بداية كرة قدم الجزائر

قبل الحديث عن رياضة كرة القدم نُذكر أن تاريخ الهيئة الرياضية بصفة عامة في الجزائر يمكن تقسيمه إلى ثلاث مراحل:

1. قبل الاستقلال: التنظيم الرياضي في الجزائر خلال كل مرحلة الاستعمار كان ممثلا بخضوعه التام لقوانين السياسة الاستعمارية الفرنسية، الرياضة الجزائرية كانت تعكس الوضعية العامة للمجتمع، خاصة تلك السيطرة للنظام القيمي الرأسمالي الغربي. الصفة الجائرة (الظالمة) لهذه الوضعية ترجمت بمجموعة من الخصائص ذات الصلة بالرياضة البرجوازية. عبر كل المستويات نلاحظ تلك التبعية الاقتصادية (من خلال تهيئة الوسائل الرياضية بطريقة غير متساوية، في إعادة إنتاج نفس قوانين التنمية التامة و الخاصة بالنظام الرأسمالي، بين المدينة و الريف، بين مناطق نفس البلد، بين البلدات)، الاجتماعية (خضوع شبه تام لصالح الأوروبيين، عدد أفراد محصور)، الثقافية (استعمال الرياضيين الجزائريين لترقية الرياضة الفرنسية في الساحة الرياضة الدولية)، السياسية (تنظيم الرياضة وفق قانون 1901، الذي عنا بالتحويل التام للنموذج الغربي).
2. خلال مقاومة التحرير الوطنية: يمكن أن نستخلص معنى مزدوج لتنمية الحركة الرياضية في الجزائر، من وجهة نظر خارجية يمكن أن تبقى الرياضة تظهر على أنها وسيلة سيطرة استعمارية ضد الشعب الجزائري، بينما في الحقيقة لم تعد كذلك و هذا ما يتجلى بصورة رمزية في إدماج الفرق المسلمة في التنظيم الرياضي.

3. غداة الاستقلال: من زاوية رؤية نظرية يمكن القول أن طبيعة النظام السياسي هي من حددت الوجهة الإيديولوجية للرياضة، بما أن الفرضية السابقة اعتبرت أن تكون الرياضة برجوازية في مجتمع رأسمالي فإنه ستصبح اجتماعية في ظل نظام تحرري[1].

ظهرت كرة القدم في الجزائر منذ نهاية القرن 19، حين تأسس في 1897 أوّل فريق كرة القدم في شمال إفريقيا Club Athlétique Oranais و الذي أصبح يسمى لاحقا Club Athlétique Liberté d'Oran عبر دمج جاره Liberté de Saint Antoine. مصادر أخرى تؤكد أن فريق Club des Joyeusetés d'Oran كان قد تأسس في 1894، قبل فريق CALO دون وجود وثائق أرشيفية تثبت هذا الطرح. ما هو مؤكد أن CDJ كان في الأصل مجموعة فنية موسيقية تأسست في 1894، أعضاؤها كانوا يلقبون كذلك ب les joyeux lurons و كانوا يمارسون نشاطهم الموسيقي في حي "درب اليهود"، ثم توجهت المجموعة تدريجيا نحو أنشطة ترفيهية و رياضية أخرى كرياضة المشي المنتزهي randonnées pédestres، ألعاب القوى... ثم تأسس فرع لكرة القدم في نهاية 1897، CDJ يعتبر عميد الجمعيات الوهرانية. لكن إلى غاية ثبوت العكس يبقى المصدر الرسمي الوحيد الذي يؤرخ لميلاد أول فريق كرة قدم بتاريخ 1897/07/10، و بهذا أوّل فريق في الجزائر هو وثيقة فريق CALO الممضاة بتاريخ 1897/09/28 من طرف الأمين العام لمقاطعة وهران E. GARRODY. كما أن تصريحات الجمعيات الرياضية للمصالح الرسمية للمقاطعات بدأت منذ أوائل القرن 20 و تضاعفت عند إنشاء المنظمات المسيرة لكرة القدم مثل:

- اتحاد المؤسسات الفرنسية لرياضات القوى (USFSA) أين انتسبت إليه النوادي للمشاركة في المنافسات الرسمية منذ 1913.
- الفدرالية الفرنسية لجمعيات كرة القدم المنشأة في 1919.[2]

[1] Cf. P. PREVOT, Op. cit.

[2] L. BELAHOUCINE, La saga du football algérien, Ed Hibr, Alger, 2010, p 25-26.

فيما يلي تواريخ و أسماء بعض الفرق التي تأسست أنداك[1]:

- سنة 1903: Football Club Oran.
- سنة 1903: A.S Saint Eugène Alger.
- سنة 1904: Football Club de Blida.
- سنة 1906: Sporting Club de Bel-Abbès.
- سنة 1909: Défense de Saint Arnaud et El-Eulma.
- سنة 1911: Avant-Garde Sportive de Mascara.
- سنة 1934: Football Club Bougie.

دوري شمال إفريقيا عرف بدايته في 1920 بينما عرفت كأس إفريقيا الشمالية بدايتها في 1930، مقابل ذلك فإن العديد من النُسخ لم تتم بسبب الوضعية الحربية العالمية. بينما توقفت هاتين النسختين في نهاية موسم 1956 بسبب استقلال المغرب و تونس. كما تجدر الإشارة إلى أن الفرق الشمال إفريقية كانت مسرحة باللعب في منافسة كأس فرنسا (ليس كلها بل أفضلها) و ذلك بين سنوات 1954 و 1956، حينها شهدت المنافسة حدثا هاما أين التقى فريقين جزائريين من مدينة بلعباس للعب النهائي (CSBA و USMBA)، أما الحدث الأهم هو أن اللقاء لم يلعب بسبب أوامر جبهة التحرير الوطني بمنع كل النوادي المسلمة باللعب في كل المنافسات إلى غاية استقلال الجزائر[2]. يظهر من هنا جليّا مدى تعمّق الظاهرة الرياضية المتمثلة في كرة القدم داخل المجتمع الجزائري ككل و المجتمع الوهراني بصفة خاصة (منشأ كرة القدم في الجزائر حسب الأخصذائيين).

[1] PREVOT Philippe, Op. cit, p 26-34.

[2] BELAROUI. M, Histoire du football algeriens : Miloud Hedfi le Kaiser Africain, Ed. Dar El Adib, Oran, 2014, p135.

منذ بداية القرن العشرين، شهدت الجزائر ميلاد حركتها الوطنية التي أعطت دفعا جديدا في كل ميادين الحياة، و إلى جانب الأحزاب السياسية و التنظيمات النقابية كحزب نجم شمال إفريقيا (1926)، أو جمعية العلماء المسلمين (1931)... عرفت كذلك الجزائر خلال نفس الفترة ميلاد نوادي ثقافية جزائرية، "كالرّاشدية" في الجزائر، "صالح باي" في قسنطينة، "نادي الشباب" في تلمسان و "مؤسسة الأخوية" في معسكر... نفس الشيء عرفته النوادي الكروية و الرّياضية بصفة عامة، لذلك من غير الممكن عزل ميلاد فرق كرة القدم الجزائرية عن بروز الأحزاب السياسية. و هذه بعض التواريخ المؤكدة لهذه الفكرة: "غالية معسكر" سنة 1919، "مولودية العاصمة" سنة 1921، "الإتحاد الرياضي الإسلامي لوهران" في 1926، "اتحاد الحراش" في سنة 1931... يجب أن نذكر و نؤكد أن تأسيس هذه الفرق لم يكن بالسهل، لقد احتكر الاحتلال الفرنسي كل الميادين بما فيها ميدان الرياضة و على الخصوص رياضة كرة القدم[1]،

أمّا حوصلة هذا الجهد تكلّلت بتأسيس فريق جبهة التحرير الوطني في 1958، و الدور المحوري الذي لعبه هذا الفريق في التعريف بالقضية الوطنية على الصعيد الدولي[2].لا يمكن الحديث عن كرة القدم في الجزائر دون الإشارة إلى هذا الفريق التاريخي الذي يشكل نقطة بداية رسمية لتأسيس فريق وطني لكرة القدم، كما يعتبر حلقة هامة للنشاط الرياضي الوطني ككل، حيث عرفت الجزائر أوّل فريق وطني لكرة القدم في 13 أفريل سنة 1958 أي إبّان فترة الاستعمار الفرنسي أي أربع سنوات قبل استقلال الجزائر سنة 1962، و عرف هذا الفريق آنذاك باسم فريق جبهة التحرير الوطني. لينضم بعدها إلى الفدرالية الدولية لكرة القدم (FIFA) سنة 1962، و إلى الإتحاد الأفريقي لكرة القدم في سنة 1964[3]، كما أن المنتخب الوطني هو حاليا هو تحت لواء الاتحادية الجزائرية لكرة القدم، أين شارك لحد كتابة هذه الأسطر في كأس العالم أربع مرات 1982، 1986، 2010 و 2014.

[1] R. POLI, P. DIETSCHY, Le football africain entre immobilisme et extraversion, In. Politique africain N°102, Juin 2006, p175.

[2] Cf. H. HAMEL, La grande aventure du football algérien, Ed GAM-ENAL, Alger, 1984.

[3] Cf. H. SEDDIKI, Rachid Mekhloufi, Ed Salam production, Paris, Alger, 1982.

بعد انعقاد مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956 و خروجه بمجموعة من القرارات، و التي كان من بينها إنشاء منظمات خاصة بجبهة التحرير الوطني، و بعد تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين و الاتحاد العام للطلبة المسلمين، قررت جبهة التحرير الوطني تأسيس تنظيم رياضي يحمل رايتها و راية الثورة الجزائرية و يمثلها في المحافل الدولية للتعريف بالقضية الوطنية فكان الاختيار على رياضة كرة القدم نظراً لشعبيتها الكبيرة عبر أنحاء العالم. لقد كان الغرض من إنشاء هذا الفريق الثوري هو أن يصبح للثورة الجزائرية سفيرا يمثلها في المحافل الدولية و التشهير بالقضية الجزائرية المطالبة باستقلالها.

في أوّل الأمر كان على فريق جبهة التحرير الوطني أن يُولد بكل الطرق، و مع عودة "محمد بومزراق"[1] من المهرجان العالمي للشباب في موسكو سنة 1957 رافعاً الراية الخضراء و البيضاء، أين كان يمثل فريق كرة القدم و الرياضة الجزائرية في هذا الحدث. قبل بضع سنوات من هذا الحدث، نجح فريق لاعبوه من المغرب العربي بهزيمة منتخب فرنسا بثلاث أهداف مقابل صفر في مباراة أقيمت في 1 نوفمبر 1954 لصالح ضحايا زلزال ضرب مدينة الشلف (و كان الاستعمار حينذاك يسميها أورليانسفيل) قبل شهرين من ذلك التاريخ و الذي خلف العديد من الضحايا. و قد ضم الفريق اللاعبين المغربيين "العربي بن مبارك" و المدافع "عبد الرحمن محجوب" و الجزائريين "مختار عربيي" و "سعيد ابراهيمي" و "عبد الرحمان بوبكر".

تأسس أخيرا فريق جبهة التحرير الوطني لكرة القدم في ظروف سرّية سنة 1958 أثناء فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر، حين قام "محمد بومرزاق" و هو أحد زعماء جبهة التحرير الوطني الجزائرية التي كان مقرها في فرنسا بالاتصال مع 10 من أبرز اللاعبين المحترفين من أصول جزائرية و الناشطين في الدّوري الفرنسي آنذاك، و حدث ذلك خلال المهرجان العالمي للشباب في سنة 1958، حيث طلب منهم مغادرة فرنسا سرا والتوجه

[1] بومزراق: لاعب كرة قدم (في البطولة الفرنسية)، مدرب و صاحب مشروع فريق جبهة التحرير الوطني.

إلى تونس. بعد استجابة اللاعبين الجزائريين لنداء جبهة التحرير الوطني للالتحاق بفريقها و مغادرتهم لفرنسا و ذهابهم لتونس (من بين هؤلاء اللاعبين "رشيد مخلوفي"، "مصطفى زيتوني"...)[1].

لقد استوعب "فرحات عباس"[2] آنذاك بسرعة الفوائد والمكاسب الكبيرة التي ستجنيها الثورة من مشروع "محمد بومزراق"، فصرح بعد ذلك أن: "هذا الفريق أكسب الثورة الجزائرية عشر سنوات من الكفاح"[3]. لقد شكل هروب اللاعبين الجزائريين المحترفين من فرنسا في 1958، و التحاقهم بصفوف ثورة التحرير أكبر مفاجأة للاستعمار الذي أدرك آنذاك مدى قدرة جبهة التحرير الوطني على تجنيد الجزائريين الذين كانوا يعيشون لهيب الثورة في وجدانهم و همّهم الوحيد في تلك الفترة هو طرد المحتل. في وقت لاحق أعلن الاتحاد الدولي لكرة القدم (FIFA) بعد اعتراض و احتجاج الاتحاد الفرنسي لكرة القدم، أن أي فريق يواجه المنتخب الجزائري سيطرد من نهائيات كأس العالم، في حين أن الحكومة الفرنسية نجحت في إلقاء القبض على اللاعبين الآخرين الذين حاولوا مغادرة فرنسا للانضمام إلى الفريق. بالرغم من هذه العقبات، تأسس الفريق بقيادة "محمد بومزراق" و قام بتمثيل الجبهة و الثورة الجزائرية في المحافل الدولية فحطّ الرّحال في العديد من الأقطار،من تونس إلى بكين و بلغراد و هانوي و طرابلس و الرباط، ثم إلى براغ و دمشق و غيرها من العواصم التي نزل بها حاملا راية الجزائر[4].

حقق فريق حزب جبهة التحرير الوطني الجزائري مدى السنوات الأربع اللاحقة نتائج باهرة، و ساعدت انتصارات الفريق في النشر الدّولي للقضية الجزائرية و كفاح الجزائريين من أجل الاستقلال. و حقيقة واصلت تشكيلة فريق جبهة التحرير دورها الرياضي النضالي حتى نالت مبتغاها، أي استقلال الجزائر سنة 1962 حيث شكلت حينها النواة الأولى للفريق الوطني الجزائري.بعد استقلال الجزائر سنة 1962، تم حل فريق جبهة التحرير الوطني و إفساح المجال لإنشاء منتخب وطني يمثل الجزائر في المحافل الكروية الإقليمية و الدولية. و تم اختيار ثمانية من لاعبي

[1] Cf. H. HAMEL, Op. cit.

[2] فرحات عباس: أول رئيس للحكومة الجزائرية المؤقتة من 1958 إلى 1961.

[3] Cf. H. HAMEL, Op. cit.

[4] Cf. T. REHAIL, Op. cit.

المنتخب السابق أمثال "مخلوفي"، "زيتوني" و "دفنون" و غيرهم في قائمة المنتخب الجديد الذي تشكل سنة 1963 و شاركوا لأول مرة ضد منتخب تشيكوسلوفاكيا.و بهذا عرفت الجزائر رياضة كرة القدم المُمثلة بفريق وطني، رغم تواجد هذه اللعبة في عمق المجتمع الجزائري قبل تأسيس الفريق الوطني بسنوات، أين كانت مُمثّلة في مجموعة من الفرق الكروية كما ذكرنا سابقا.

منذ استقلال الجزائر تم الحديث بصيغ متنوعة عن عمادة الكرة الجزائرية ممثلة في نوادي كرة القدم، أين يبحث كل جمهور عن عنوان يجعل به فريقه عميدا للأندية من حيث التأسيس، حتى نكون واقعيين مثلما يصرّح "بل حسين" في كتابه (la saga du football algérien)[1]، يجب التقيد بالتواريخ الرسمية المذكورة في طلبات التسجيل في سجلات الجمعيات الإدارية، الإعلانات الدورية في الجرائد الرسمية أو أفضل من ذلك الاعتمادات المُحصّلة من طرف هذه النوادي. من هنا يؤكد "بل حسين" أن عميد الأندية الجزائرية الباقي على قيد الحياة هو فريق "مولودية الجزائر" الذي تأسس في 1921/05/21. لكن لأجل التدقيق أكثر وجب التذكير أن كرة القدم تمّ مُمارستها لأوّل مرّة في المغرب الكبير (شمال إفريقيا) في وهران في نهاية القرن 19، بينما عن أوّل الفرق المسلمة في وهران و بصفة رسمية يمكن عدّ ما يلي:

- فريق "المولودية الحامدية" (Mouloudia Hamidia) الذي تأسس في 1917/01/01، و صُرّح به رسميا في 1924/10/22 و أعلن في الجريدة الرسمية في 1924/10/30.
- فريق "المولودية الإسلامية الوهرانية" (MCMO: Mouloudia Club Musulman Oranais) صُرّح به في 1919/12/04 و أعلن في الجريدة الرسمية في 1920/02/10.
- فريق "الحامدية الإسلامية الوهرانية" (HCMO: Hamidia Club Musulman Oranais) صُرّح به في 1921/04/13 و أعلن في الجريدة الرسمية في 1921/05/12.

[1] L. BELAHOUCINE, Op. cit, p203.

لم يبق أي من هذه الجمعيات الثلاثة حاليا، بينما تظل أقدم الجمعيات الرياضية في وهران فريق "اتحاد وهران" (USMO) الذي تأسس في 1926/05/01[1].

في ما يخص الفرق الكروية فمنذ استقلال الجزائر تم تأطير الرياضة عبر إعادة بعث البطولات الجهوية الثلاثة (وهران، الجزائر و قسنطينة)، و ذلك بفضل الخدمة و الخبرة التي قدمّها عديد من الإطارات لصالح هذه الرياضة و يتم بسرعة إعادة بعث كرة القدم في الوطن المستقل و الشاب آنذاك. فيما يخص مرحلة بعد الاستقلال فيُقسّمها خبراء رياضة كرة القدم من حيث المسار التأسيسي و التنظيمي لهذه الرياضة إلى قسمين:

- من 1962 إلى 1970: أين تم تأسيس الفدرالية الجزائرية لكرة القدم في 1962/10/21 و انتسابها إلى "الفيفا" و تصبح كذلك عضوا في "الكاف". تم تنظيم أوّل بطولة جهوية لكرة القدم في موسم 1963/1962 تُوّج بها فريق "الإتحاد الرياضي الإسلامي للجزائر"، كما تم تنظيم أوّل نسخة من كأس الجمهورية و التي فاز بها فريق "وفاق سطيف". بينما جرت أوّل مقابلة للفريق الوطني ضد الفريق البلغاري سنة 1963، حينها فاز الفريق الوطني الجزائري بهدفين لهدف واحد.
- من 1970 إلى يومنا: في هذه المرحلة عرفت كرة القدم تنظيما أكبر حين تم إصدار الأمر الخاص بالإصلاح الرياضي رقم 81-77 المؤرّخ في 1976/10/10. حينها عرفت كرة القدم الكثير من الإنجازات منها

[1] A ce sujet on peut ajouter les dates des créations des clubs suivants:
- AS Khroubs 1927.
- CA Bourdj Bou Arréridj 1931.
- USM Blida, Club Aurès Batna 1932.
- ASM, USMBA 1933.
- US Chaouia, JSM Béjaia 1936.
- USMA 1937.
- MOC, USM Guelma 1939.
- RC Kouba 1942.
- USM ain Beida 1943.
- JSM Tiaret, Widad Alfa Boufarik, USM Sétif 1945.
- MCO, USM Maison-Carrée, JSK 1946.

حصول المنتخب الوطني الجزائري على الميدالية الذهبية في الألعاب الإفريقية سنة 1978، ثم الميدالية البرونزية في ألعاب البحر الأبيض المتوسط بيغوزلافيا سابقا، و اللعب في الأدوار النهائية من نسخة كأس إفريقيا سنة 1980 ثم الألعاب الأولمبية في موسكو ثم مونديال إسبانيا سنة 1982...

لقد عرفت كرة القدم في الجزائر تدهورا سلبيا في الفترة الممتدة من سنة 1991 إلى سنة 2007[1] حيث عرفت كل المحافل الدوليّة إما غياب الفريق الوطني أو إقصائه في الأدوار الأولى، نفس الشيء بالنسبة للفرق الكروية التي ظلّت تتخبط في مشاكل عديدة مع تحقيق بعض الاستثناءات من حين لآخر. هذا التدهور يظهر طبيعيا بالنسبة للوضعية العامة التي كان يعيشها البلد، لقد كان على كرة القدم تعويض الجماهير الكبيرة التي كانت تعاني آنذاك من عديد المشاكل أبرزها اللاأمن و البطالة و غيرها، هذا التعويض كان يتمثل في رسم الفرحة على وجوه الشباب اللذين لم يبقى لهم منفذا ترويجيا غير كرة القدم (حتى الفن الذي كان يمثلا هو الآخر منفذا للترويج، تم إعدامه من خلال عديد عمليات الاغتيال التي طالت مختلف الفنانين في ذلك الوقت على غرار عبد القادر علولة، الشاب حسني، رشيد بابا أحمد و غيرهم من الأسماء البارزة). حينها شهدت الملاعب كذلك كثيرا من الأحداث العنيفة بين الجماهير المناصرة، اللاعبين و حتى المسئولين الرياضيين و الحكّام.

بهذا نتأكد مرّة أخرى من مدى عالمية و قوة الظاهرة الرياضية، و مدى أثرها على مختلف الفئات الاجتماعية باختلاف معايير تحديد هذه الفئات، و كيف يمكن للعبة أن توظف لفائدة قضية وطنية. "لقد أخطأ A. MALRAUX، القرن الواحد و العشرين ليس عقائدي، قبل كل شيء سيكون رياضي"[2]. نعن نعيش عصر الرياضة العالمية، لقد أصبحت الرياضة الميدان (الواسع و المقنن) المفضل للمواجهات بين الدول. إنها الوسيلة الأكثر مشاهدة التي تساهم في التعريف بالأعلام الوطنية، و التي تجعل منك نقطة بارزة في الخريطة و في نظر الجميع. فعندما تُمحى الهويات الوطنية من جراء التطور العالمي، تصبح الرياضة أفضل وسيلة لجمع و اتحاد الكل حول مشروع واحد.

[1] بن صالح. ب (مرجع سبق ذكره)، ص133.

[2] P. BONIFACE, Géopolitique du sport, Ed Armand Colin, Paris, 2014, p192.

في ظل هذا العالم القرية، أصبحنا ندرك الأسماء الرياضية أفضل من غيرها. الكل يدرك اسم "PELE"[1]، فمن يدرك اسم رئيس البرازيل في سنوات السبعينات؟ إن الرياضة حاليا هي أكبر من رياضة، إنها المشاعر، الأحاسيس، أوقات فشل، فرح، تآخي... لكن هي كذلك في المصطلح الجيو-سياسي وسيلة هامة لإشعاع أي دولة. في هذا السياق يصرح أحد شباب العينة بما يلي: *"جامي ننساو ملحمة أم درمان... الجزائر بلد المليون و نصف المليون شهيد يهان من قبل المصريين... اتحدنا الكل ليد في اليد... عايرونا دم الشهداء... أنا كنت واجد باش نسبل روحي على جال بلادي، كيما حاولت باش نروح لأم درمان ما قدرتش..."* **(مقابلة رقم 26)**، نلاحظ من كيف يمكن لقضية دولية أن تنتج عبر منافسة لأجل مباراة مؤهلة لكأس العالم سنة 2009، و كيف كان شعور الشباب حينها بسبب الإهانة التي أحس نفسه تعرض إليها، خاصة حينما تعلق الأمر بثوابت و عقائد تاريخية مقدسة (شهداء الجزائر).

[1]Pelé: لاعب كرة قدم برازيلي في سنوات 1970/1960، لقّب باسم اللؤلؤة السوداء.

المبحث الثاني: بين اللعبة و الرياضة، السياسة تسعى لتبني كرة القدم

"النشأة الرياضية أو التأسيس الرياضي، تطور مساره بطريقة شبه دائمة منذ 1885 و أصبح قضية نقاش عام منذ سنوات 1905-1910. أما الانتشار فكان بين 1905 و 1914. في سنوات 1920 مكانة الرياضات بين باقي المؤسسات الاجتماعية و الثقافية تتأكد و تتطور بسرعة كما تتطور فكرة أن تدعم من قبل السلطة بشكل دائم مثلما عرفت أنشطة أخرى من قبل دعما كالأنشطة العسكرية، إلا أن كل هذا الدعم لم يشكل سياسة حقيقية للرياضة[1]"، هذا ما يدفعنا دوما للحديث عن الرياضة (كرة القدم) من زاوية سيرورتها التاريخية التي شهدت تقنينا و تنظيما ساهما في الدفع بها إلى مقام الرياضة بصورتها المعاصرة و التي تجعلنا نظن أنها جزء رئيسي من المنظومة الإنسانية العالمية.

بالحديث عن الرياضة كمنتج تاريخي، نذكر واحدا من الأوائل الذين فكروا في أصلية الظاهرة الرياضية و تنظيمها، J. HUIZINGA، و الذي يصرح: "أن تولد هذه الظاهرة (الرياضة المعاصرة) في إنجلترا في القرن 19 يمكن أن يفهم من عدة زوايا، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار الدور الذي لعبه الشعب الإنجليزي و الذي لا يمكن تجاهله. مميزات المجتمع الإنجليزي تركت أثرها هي الأخرى، الإدارة المحلية غير المقيدة قوّت روح التعاون و التضامن المحلي، غياب الخدمة العسكرية العامة و الإجبارية ثـمّن الفرصة و الذوق للممارسة الرياضية الحرة. أشكال التنظيم الدراسي ساهمت في هذا السياق، كما أن طبيعة الأرضية و البيئة وفّرت أجمل فضاءات اللعب..."[2]. في نفـس الشأن يصرح DE COUBERTIN: "ممارسة التنظيم الرياضي لصالح التلاميذ المتمدرسين... هذا ما لم يكن

[1] S/D M. KALUSZYNSKI et S. WAHNICH, L'Etat contre la politique, Ed L'Harmattan, Paris, 1998, p223.

[2] P. PREVOT, Op. cit, p14.

لا في العصر القديم، و لا في العصر الوسيط، بل كان للإمبراطورية الإنجليزية فضل وضع حجر أساس هذا التنظيم..."[1].

قام كذلك D. M-ULMANN في هذا الشأن برسم الحدود الجغرافية و الزمنية مثلما فعل ذلك J. HUIZINGA حيث بيّن بوضوح أصول الظاهرة فمنذ أواسط القرن 18 ظهر ما يسمى ب: (patronised-sport)، بحيث شجّعت الطبقة الأرستقراطية الألعاب الشعبية و خصصت لذلك مكافئات، كما مارستها لحسابها. فقد تم السماح للفرد النبيل بالاختلاط مع ألعاب الشعب. الرياضة النبيلة لم تقم إلا باستعارة اللعب من الشعب. تجدر الإشارة إلى أننا لاحظـنا في هذا الشأن أن J. M. BROHM قام باقتباس حرفي لنص من كتاب D. M-ULMANN في كتابه (Sociologie politique du sport) دون أن يذكر اسمه أو يضع علامة مزدوجتين، ربما هي صدفة إلا أن تكرارها يؤكد أهمية الفكرة، فهناك مؤلفين هامين آخرين صادفتهم قراءاتنا أكّدوا نفس النقطة دون الإلحاح في التفصيل فيها أمثال (DUMAZEDIER، MAGNANE، MEYNAUD).

من زاوية رؤية دراستنا الخاصة، نودّ الإشارة إلى نقطة هامة في هذا المقام ألا وهي التفسير الاجتماعي لمصطلح اللعب و أثره في تبني عالم السياسة لميدان اللعب المقنن الذي أصبح يعرف بالرياضة. فاللعب في الحقيقة هو فعل حرّ، يقدم شكل من المجانية. مجال محيطه غير مبهم، ليس بالشيء الفوضوي كما تجعلك تضن ذلك رؤية "تحررية" للظاهرة. حسب J. HUIZINGA في كتابه (Homo ludens) فإن: "كل لعبة تجري في محيط ميدانها الفضائي المحدد مسبقا... في أطراف ميدان اللعب يسود نظام ما معين... من هنا نلاحظ ميزة أخرى أكثر إيجابية عن اللعب، فهو يبتكر نظام... اللعب يوجب نظام تام"[2].

[1] Ibid, p14.

[2] Ibid, p21.

نشير في هذا الشأن أن أغلب المقابلات التي قمنا بها أكدت أن المناصرين يلمون، بدقة، بجزئيات قوانين لعبة كرة القدم، فهم بذلك يفرقون بين الرياضة التي هي إعداد بدني و تقني للرياضيين و بين اللعبة التي هي بناء فكري مجرد، أي أنها قوانين و شروط تضبط الأفراد في الميدان. يصرح أحد المناصرين من فريق مولودية وهران بما يلي: *"اللعب في الدوري الجزائري ناقص لا من ناحية التحضير البدني و السيريو (الجدية) تاع اللاعبين و لا من ناحية التسيير تاع اللعبة... كاين كلشي... اللاعبين يدخنون، يسكروا، يسهروا... البطولة فاشلة... الغش..."* (**مقابلة رقم 14**)، أي أن كلا المصطلحين بالرغم من اختلافهم، تظل الرياضة و اللعبة ذات مستوى منحط في الدوري الجزائري بسبب عدة عوامل ذكرها.

اللعب لا يتضاد مع الرياضة من خلال ربطهم بصلة جد حتمية و حصرية مقارنة بما هو طبيعي و معاصر، اللعب موجود في كل فضاء و هو ممارسة منتجة اجتماعيا، فهو محدد بمجموعة من العلاقات الإنتاجية و التي لا تسمح بمقارنة أشكال التنظيم الفضائي في ما بينها بحجة أنها تحتوي شكلا مشتركا (هذا ما تشير إليه دراسة هامة حول النشأة التاريخية للملعب لكل من M. BEAULIEU و M. PERELMAN، حين يُبيّنون التنوع الشاسع للأدوار، الوظائف و العزائم الموهوبة لهذا المكان)[1]. شيئا فشيئا ابتعدت الرياضة في المجتمع المعاصر عن المجال المحض للعب و أصبحت عنصرا منفردا بنوعه... اكتسبت الرياضة مكانة بهامش نمو الثقافة التي تعنيها. في المجتمعات القديمة اعتبرت المنافسات جزءا من الحفلات المقدسة، بينما نجد هذه العلاقة مع الممارسات تندثر تماما لدى الرياضة المعاصرة. ربما أصبحت الرياضة ضدا للعقيدة و لا تقدم علاقة عضوية مع بنية المجتمع بالرغم من وجود سلطة مسيرة تضبط ممارستها.

[1] Cf. M. BEAULIEU, M. PERELMAN, Histoire d'un espace: le stade, In Quel corps N°7, 1981.

إذن كما أسلفنا الذكر، فلم تنشأ الرياضة عبثا في انجلترا في أواخر القرن 18، الممارسة الرياضية باعتبارها ظاهرة اجتماعية تشبه التناسق البطيء "لأشكال" (النهايات، القيم المبنية عليها...) التنظيمات، التي و لو لم تكن في مجملها مرتبطة في أصلها بنظام الإنتاج الرأسمالي في مرحلتها التجارية أو الصناعية، إلا أنها جعلت إدراكهم مرتبط بالأصناف المسيطرة آنذاك. الرياضة الحديثة نشأت تدريجيا من خلال تبني مجموعة مناهج متنوعة كانت موجودة سابقا لتبقى محافظة لاحقا على حريتها، قبل أن تُلحق عبر امتداد تام بدون حدود بهذه الظاهرة الإنجليزية في أصلها. هذا الامتداد لا ينحصر لغويا فقط، فكلمة الرياضة التي يقصد بها حاليا مجموعة التمارين المتنوعة، ترجع بنا كذلك للتفكير في سيرورة البناء الرياضي الحقيقي التي ضمّت أغلب النشاطات الجسمية عبر تأطيرها وفق مبدأ المردودية، مبدأ مرتبط بتقدم النظام الصناعي الرأسمالي. من هنا فإن إعادة التأهيل للبعد التاريخي شيء ضروري إذا اعتبرنا الرياضة ككل الظواهر الاجتماعية التي لا يمكن فهمها إلا كعناصر تُبنى عبر تنظيم اجتماعي معين، بهذا بإدماج نظام علاقات يضم النطاقات الاجتماعية المتنوعة: الاقتصادية، الثقافية، السياسية...

تطور العلاقات بين حقل السياسة و العالم الرياضي توضح متانة الروابط التي تجمع هذين العالمين منذ زمن طويل. الرياضة كانت دائما وسيلة تستعملها الدول لأجل غايات عسكرية، تربوية، للإدماج الاجتماعي أو الإدراج المهني، لكن كذلك كرأس حربة للمنافسة بين الأمم[1].

سواء على المستوى الوطني، الدولي أو المحلي، فإن الرياضة تمثل قضية اجتماعية، ثقافية و رمزية. يمكن أن نفسر هذا لاقترانها بالعديد من الظواهر، متمحورة حول التسارع التدريجي للنشر الإعلامي الخاص بالأنشطة الرياضية، خاصة كرة القدم. فمثلا: حين يُصفر الجمهور اتجاه النشيد الوطني، حين يقاطع الرياضيون و يمتنعون عن المنافسة، حين تقوم الجماهير بالتحية النازية أمام الكاميرات المتجهة نحوهم... إن المواجهة أو المجابهة الرياضية في حقيقتها صُممت لتكون غالبا عبارة عن مجابهة بين الهويات. نذكر في هذا المقام نصا لأحد الأغاني القوية الصدى

[1] S/d. A. GOUNOT, D. JALLAT et M. KOEBEL, Les usages politiques du sport, Ed L'Harmattan, Paris, 2011, p9.

(المنسوبة في أصلها لأنصار فريق اتحاد الجزائر بعنوان la casa del mouradia) و التي غالبا ما تم ترديدها من قبل الجماهير المشجعة لعديد النوادي الجزائرية لكرة القدم كما اعتبرت هذه الأغنية من أحد الرموز الخطابية السياسية الحادة سنة 2018، سنة بداية تحول سياسي بارز في الجزائر (في هذا الشأن يوجد العديد من الأمثلة من ميدان بحثنا سنتطرق لها في الجزء الثاني):

"ساعات لفجر و ما جاني نوم... راني نكونسومي غير بالشوية...

شكون السبة و شكون نلوم... ملينا لمعيشة هاديا...

فاللولا نقولو جازت... حشاوهالنا بالعشرية...

فالثانية لحكاية بانت... la casa del mouradia...

في الثالثة لبلاد شيانت... بالمصالح الشخصية...

فالرابعة لبوبيا ماتت... و مازلت القضية...

و الخامسة راي tesuivi... بيناتهم راي مبنية...

و ال passé راو archivé... la voix تاع الحرية...

فيراجنا الهدرة privé... يعرفوه كي يتقيا...

مدرسة و لازم cv... bureau محو الأمية..."[1].

عبر هذا النص نجد خطاب محدد موجه لفئة ما يحمل رسالة قوية، أين نرى كيف للشباب المشجع لفريق كرة قدم ما أن يستغل فرصة وجوده في مدرجات الملاعب ليبعث برسائله التي تعبر عن واقعه الذي يعيشه وفق ما يتصوره و ذلك بطريقة أقل ما يقال عنها "فنيّة"، ليرسم أجمل التحف التعبيرية.

[1] انظر إلى القرص الموجود في الملاحق أين يوجد فيديو لجمهور المناصرين و هو يؤدي هذا النشيد.

يشير L. ARNAUD إلى نقطة هامة وجب التطرق إليها في دراستنا و ذلك في مقاله الموسوم بعنوان La politique de la ville au secours du ministère de la jeunesses et des sports (1983-1993)، أنه خلال تأزم الأوضاع الاجتماعية، تستعمل الرياضة كنافذة إعلامية لصالح السلطات العمومية. صورة حياديتها لصالح الغير يجعل منها وسيلة تدخّل بالتراضي تُتجنب من خلالها التساؤلات الحقيقية المرتبطة بالبطالة المستدامة أو بتأزم الفاتورة الاجتماعية. توفير الرياضة للجميع، هو في نفس الوقت التبرؤ أو الهروب من تهمة عدم المحاولة بأي طريقة، و تطوير إستراتيجية خيرية (philanthropique)، مع إثبات شرعية الخلل الخاصة بالمجتمع الليبرالي الجديد[1]. لتظهر من جديد ازدواجية الأثر التي تتركه كرة القدم، من جهة وسيلة تعبير ذات مجال واسع في يد الجماهير و من جهة أخرى وسيلة سيطرة لصاح السلطات المسيرة للشؤون السياسية العامة، يبقى ثقل كل منهما بحسب مدى قوة السيطرة لكل قطب.

من وجهة تاريخية للرياضة، فإن علاقة السياسة بالأنشطة البدنية تم تناولها غالبا بقدر ما كان تاريخ تطور الرياضة مصبوغا بالعلاقات ذات المنفعة المتبادلة بين العالمين. في مؤلف الكاتب P. DIETSCHY بعنوان (L'histoire du football) ، نجد P. DIETSCHY يتحدث في مقامات عديدة عن تلك العلاقة بين الرياضة و السياسة، و التي تزداد بالخصوص منذ سنوات 1930 حين طمحت أنظمت الحكم الشمولية (أو الديكتاتورية) إلى صنع "رجل جديد" و تعبئة الحشود عن طريق الرياضة و نخص بالذكر كرة القدم. يرى المؤلف كذلك أن السياسة حاضرة بطريقة غير مباشرة حين لاحظ ذلك "التعلق الذي يربط المشجعين بمجموعة خيالية مسجلة في فضاء"[2]، خاصة حين يتعلق الأمر بالدفاع عن الإقليم. إن الكاتب يشك في وجود "علاقات قرابة تربط الفرق الكروية الرياضية بالسلطات المحلية".

[1] C. VIVIER, J-F. LOUDCHER, Le sport dans la ville, Ed L'Harmattan, Paris, 1998, p132.

[2] P. Dietschy, L'histoire du football, Ed Perrin, Paris, 2000, p518.

بالعودة إلى ميدان البحث الخاص بنا (بلد الجزائر)، تجدر الإشارة إلى أن فئة الشبيبة المسلمة لعبت دورا هاما في حياة الجزائر السياسية طوال فترة الاستعمار، لقد كانت هذه الفئة محور اهتمام العديد من القوى الاجتماعية و السياسية، بالخصوص الوطنيين من الأحزاب كحزب الشعب الجزائري، العلماء، النخبة الجزائرية و حتى جبهة التحرير الوطني في حرب الجزائر. ابتداءا من 1910 بدأنا نشاهد في التقسيمات الرئيسية الثلاثة الخاصة بالجزائر آنذاك، قسنطينة، الجزائر و وهران بداية تأسيس الفرق الأولى المختلطة فرنسية و عربية. طوال هذه الفترة تم انتداب بعض المسلمين المهتمين بالثقافة البدنية و المعجبين بالممارسة الرياضية في فرق أروبية، و منهم من حقق نتائج جيدة.

النوادي الإسلامية التي تأسست هي أماكن لتقوية و تدعيم الهوية المتعلقة بضمير "نحن" ضد "هم" أي المستعمرون. عبر فكرة تملك الرياضة، يتوجب أولا التموقع في جهة الذي يمر إلى النشاط أو يستعمله، أي المستعمَر (le colonisé). هذه الفكرة تحتم علينا إعادة وضع مفهوم العبور نحو الممارسة إلى سياقه و معناه الاجتماعي: ارتباط بالسلطة السياسية و الاقتصادية للمستعمر (le colonisateur). هذا العبور من منظور سوسيو-سياسي كان بمثابة إستراتيجية تبناها المستعمَر اتجاه من يستعمره لتأكيد اتحاد و تلاحم أفراد الشعب[1]. إذن، في قلب الأندية الوطنية التحررية لم تكن الرياضة في حقيقة الأمر إلا واجهة عرض (vitrine)، يتشكل خلفها عمل سياسي و توعوي شاسع. فما وراء النشاطات المنظمة موسميا، الهدف المرجو كان عبارة عن تكوين الشباب فكريا و سياسيا، أي تكوين الكفاح الوطني.

من جهة أخرى بالعمل على تجربة التضامن في الحياة الإتحادية، سنشهد ميلاد تصرفات اجتماعية جديدة، تحول في التنشئة الاجتماعية (une mutation de sociabilité)، نحو بزوغ تنشئة اجتماعية جديدة. الجمعية الرياضية أصبحت تنتج مخططات ثقافية جديدة. العلاقات الإنسانية التي كانت تتمحور حولها أحيانا الهوية الوطنية المحلية

[1] Cf. S/D N. Bancel ; D. Denis ; Y. Fates, De l'Indochine à l'Algérie, La jeunesse en mouvements des deux côtés du miroir colonial, 1940-1962 (Youssef Fates, Le club sportif, structure d'encadrement et de formation nationaliste de la jeunesse musulmane pendant la période coloniale) , Éd La Découverte, Paris, 2003, p150-162.

الجهوية و أحيانا القطاعية، أصبحت تبنى على أساس شعور الانتماء إلى ناد رياضي. يمكن الحديث عن صناعة جديدة للهوية الخاصة بالقبلية الوطنية، ليس إلا ذلك بل حتى الهوية الخاصة بالحي، بالمدينة، و التي تولد تفكك الرابط الاجتماعي القديم و قطيعة حقيقية للتواصل. بالنسبة ل G. VIGARELLO فإن "الرياضة هي شاهد من بين آخرين عن القطيعة الكبرى التي اتخذها المجتمع المعاصر اتجاه المجتمع التقليدي، قطيعة تتضمن انحلال و تحرر الأفراد بترقية المجال المشاعري و الاهتمام بالذات"[1].

عكس الرياضة الأروبية، فإن استقلالية الجزائريين بالنسبة للمستعمر لم ترقّي المجال المشاعري و الاهتمام بالذات، بل ولدت شكل جديد من الاتحاد القطيعي (association grégaire)، جماعي مادي ذو شكل جديد و الذي ينشئ من خلال التجمع، من خلال الولوج، و من خلال امتزاج الأرواح الفردية (مثلما يصرح دوركايم في دراساته)، ما يعني أن المجموعة المشكلة من قبل اللاعبين، المسيرين و الأنصار تفكر، تشعر و تتصرف بصورة مختلفة عن أعضاء الأفراد الذين يشكلونه. النادي يعبئ بمتانة الفرد ضمن المجموعة. يبني مشاعر الانتماء، الوجود، الاعتقادات، التصورات و الممارسات التي تجمع مجمل اللاعبين، المسيرين و الأنصار، من خلال فرض واقع حصري يتطلب وعي جماعي و خارق. أصبح النادي يضمن وسام روح الأخوة، عصبية جديدة. في هذه الحالة فإن التنظيم الاجتماعي أصبح يُثمّن قيمة التضامن على الإقصاء بعيدا عن كل تصرف آخر.

بصفة متناقضة، نجد أن النادي الرياضي الإسلامي ساهم ليس فقط في ميلاد روابط اجتماعية جديدة بل كذلك في تمتين الروابط العقائدية. هذا النموذج التجريبي الجديد من التنشئة الاجتماعية يندرج ضمن سياق التغير الاجتماعي و الحداثة لأنه يسمح بالبدء في وضع أساس ميلاد فريق ما، تجريب عملية الحركة الديمقراطية في قلب النادي، تعلمنا كيف ننتخب في بطاقة سرية، كيف ننتخب مجلس خزينة، أعضائه و باقي أطره...

[1] Ibib, p150-162.

بالنسبة للجزائريين المستَعمرين، أصبحت الجمعية الرياضية المسلمة تمثل قوة رسمية، يمليها الحق الجمعوي الخاص بها من خلال قانون 1901، و يحدد هدفها الاجتماعي. بالمقابل، و ما وراء وظائفها البارزة، كان لها أدوار اجتماعية متمثلة في التكوين و التربية السياسية الحقيقية باقتراح مخيال جديد، شعور الانتماء إلى اعتقاد جديد له سعة خاصة به في ربح المستعمر. إنها تعتبر جمعية "ما بين اثنين"، بين منظمة ذات أهداف و أنشطة تتلخص في التعبير أو التلبية لحاجات رسمية خاصة بأعضائها، و بين منظمة نصف سياسية تطرح عبرها القضية الوطنية[1].

يوسف فاطس من خلال مؤلفه الذي يعتبر مرجعا رئيسيا لكل باحث يريد دراسة البعد السياسي لرياضة كرة القدم في بلد الجزائر و الموسوم "بالرياضة و السياسة في الجزائر"، و في نص الجزء الأول بعنوان "الجزائر المستقلة و القضية الرياضية"، أين صرح الكاتب أنه يُقدّم دراسة وفق منظور يأخذ بعين الاعتبار رؤية صناع القرار و ليس رؤية الـمُستعملين (الممارسين، المؤطرين، المناصرين)، يرجع بنا إلى نقطة البداية و الجوهر الذي أسس للصورة التي بلغتها الرياضة المعاصرة، بحيث "إن الروح و التقنيات الرأسمالية هي التي جعلت من الرياضة ما عليه اليوم"[2]، فيعتبر "فاطس" أنه لا يجب تعميم الوظائف المتعددة للرياضات بدون دراسة التكوينات الاقتصادية و الاجتماعية للمحيط المعني بها، فلا يجب تجاهل ما كان يشكل بيئة المجتمعات الـمُسيطر عليها استعماريا أين تعتبر الرياضة بمثابة مُتنفّس اجتماعي (oxymore)[3].

لأجل فهم البعد السياسي للظاهرة الرياضية بشكلها المعاصر مثلما يتجلى حاليا نُذكّر أن الرياضة في عمومها ظهرت في وقت مُعين، فهي تفرض شيئا مغايرا عن الممارسة أو الرغبة البسيطة في اللعب، لا يمكن أن تكون رياضة دون أن يدرك الرياضيون، بدرجات متفاوتة، ذلك التحفيز أو تلك القيم الخاصة، هنا تكمن تلك القطيعة التاريخية. J. DAUVEN في كتابه بعنوان Le sport الصادر بسنة 1942، يرفض فكرة الانتساب بين الرياضة المعاصرة

[1] Cf. Ibib, p150-162.

[2] Critique de la thèse de Jean-Marie BROHM par Jean MEYNAUD, In Sport et politique, Paris, 1966, p267.

[3] Y. FATES, Sport et politique en Algérie, Op. cit, p24.

و الرياضة التاريخية، فمن السهل أن يتم الربط بينهما... كما يرفض الربط بين الممارسات الجسمية الخاصة بالثقافات الأخرى، الألعاب المحلية و الرياضات الجهوية و بين الرياضات المعاصرة. نفس الفكرة طورها كذلك كل من الباحثين G. VIGARELLO و R. CHARTIER عبر إدماج عناصر أخرى تؤكد القطيعة بين شكلي الرياضة اللذين ذكرناهما كحيادية المنافسات، إنشاء فضاءات خاصة، الزمنية الخاصة، القواعد العالمية[1]...

بالعودة لبلاد الجزائر، يمكن أن نفترض أن البرنامج الخاص بالبناء الوطني غداة الاستقلال كان يحتوي على تشنج أنثروبولوجي (une véritable effervescence anthropologique) مثلما يعبر عن ذلك J. BERQUE[2]. بالنسبة للمسئولين فإن الاستقلال هو رجوع إلى الأصل (nativisme)، و الذي يتجلى بالعودة و إعادة تملك الذات. بما أن الاستعمار عمل على تجريد الجزائريين من طبيعتهم و ثقافتهم فإن القضاء على الاستعمار يكون بالعودة إلى الطبيعة و الثقافة الأصلية، في هذا الشأن يبين F. FANON كيف لم تُستثنى النوادي الرياضية من هذه القاعدة: "التحرير الوطني، النهضة الوطنية، إعادة الوطن للشعب... مهما كانت الوسائل المستعملة أو الطرق الجديدة، الفضاء على الاستعمار دوما ما يعتبر ظاهرة عنيفة... لقاءات بين الأفراد، تسميات نوادي جديدة... القضاء على الاستعمار هو تغيير نوع إنساني بنوع إنساني آخر، دون انتقال، قضاء تام، كلي و نهائي"[3].

نُذكر أنه خلال فترة حكم الرئيس السابق للجزائر "أحمد بن بلة" (1962-1965)، اعتبرت الرياضة قطاعا وحيدا للثقافة أين لا يوجد هتافات سياسية كبرى، فلم تكن الرياضة (بما فيها كرة القدم) مادة للصراع السياسي. لم يتم تهيئة النظام الرياضي (الرياضة المدنية و حقل التربية البدنية الرياضية) منذ بداياته، فقد تم عرضه و تصوره كجزء من كفاح المؤسسات المحايدة نسبيا لأنه لم يندمج بمرونة في مؤسسة السيطرة الاستعمارية، بل العكس، كان عبارة عن ميدان مقاومة وطنية و لعب دورا دبلوماسيا في حرب التحرير الوطنية بفضل الفريق المبارك لجبهة

[1] Ibid, p36.

[2] J. BERQUE, La dépossession du monde, Ed du Seuil, Paris, 1964, p68.

[3] F. FANON, Les damnés de la terre, Ed Maspero, Paris, 1968, p5.

التحرير الوطني. في الجزائر المستقلة، الرياضة كنشاط جسمي، تقني، متعدد الأبعاد، لم يتمكن أبدا من الابتعاد في تطوره عن التأطير و اليد الباسطة للسياسة، و لا من الاستعمال السياسي الذي يقوم به مُسيّروا الدول. الطرح القائل بتحرير الرياضة النسبي لم يُتداول إلا حديثا من خلال محاولة الدولة عدم تجنيده، أي منذ سنة 1989، و هذا منذ تبني الدولة التعددية الحزبية و بداية التعبير للمجتمع المدني. كما أنه لأجل فهم الظاهرة الرياضية في الجزائر و تاريخ حركيتها بطريقة موضوعية يجب ربطها بالسيرورة العامة المتبعة من قبل المجتمع عبر مخططات متنوعة و بالخصوص السياسية منها[1].

إذن يمكن القول أن الرياضة عبارة عن عنصر مُكون من مجموع، و كل دراسة يتعين عليها أن تضعها في سياق الصراع و التحولات الاجتماعية المحيطة بها، فلا يمكن للرياضة أبدا اتّباع طريق لوحدها (حرة). في الجزائر المستقلة، دوما ما تُلحق الرياضة بالعنصر السياسي للبلد و طريق التنمية الاقتصادية. في عمليات الإصلاحات مثلا يتم تقييم "القدرات السياسية" للرياضة من قبل المسئولين، نفس الشيء شهدته مرحلة إدماج الجمعيات الرياضية في حقل المؤسسات الوطنية سنوات 1970، تم صياغة الجمعية الرياضية كوحدة إنتاج... إنتاج الأداء.

مثلما يصرح A. SHOPENHAUER فإن "الإنسان عبارة عن إرادة وحرة مطلقة"، يستعمل الإنسان الرياضة لأغراض معينة، فهي واقع مُستخدم (le sport est une réalité instrumentalisée). باختفاء العدو الرئيسي (المستعمر الفرنسي) و انتهاء حرب التحرير، اختفى ذلك التجابه القبلي، إذن أصبح بإمكاننا أن نفترض أن الرياضة – التي استُعملت كأداة مقاومة تحريرية وطنية – لن تُسلح سياسيا مُجددا. من جهة أخرى كنا سنشهد عودة استعمالها لأغراض ترفيهية و تربوية، إلا أنّ الإستعمال السياسي للرياضة تواصل بطرق جديدة، إذن تغير الشكل إلا أنّ المضمون بقي نفسه؛ أثناء المقاومة ضد المستعمر خدمت الرياضة السياسة و ظلت تخدمها بعد ذلك[2]. في هذا

[1] Y. FATES, Op. cit, p113.

[2] Ibid, p149.

الشأن يمكننا القول باستمرارية تاريخية للاستعمال السياسي للرياضة بينما هناك انقطاع سياسي ظاهري (و ليس توقف) متمثل في القطيعة التي جلبها الاستقلال و بزوغ الدولة.

كيف يمكن أن نفسر حجم الأهمية التي توليها الدولة للرياضة ذات المردود العالي خاصة كرة القدم؟ إنّ رياضة كُرة القدم هي النشاط المفضل و موضوع الاهتمام الخاص، المؤطر، المراقب و الممول من قبل وزارة الشبيبة و الرياضة و العديد من الكفاءات النظامية. وزير الشبيبة و الرياضة يتابع شخصيا تطورات الفريق الوطني لكرة القدم، الفيدرالية الجزائرية لكرة القدم تستقدم لاعبين محترفين ينشطون في دوريات أجنبية ذات مستويات لتدعيم الفريق الوطني. يمكن أحيانا أن تُتّخذ قرارات خاصة بالفريق الوطني بأمر من رئاسة الجمهورية مباشرة. أثناء مجلس الوزراء غالبا ما يُعبّر رئيس الجمهورية عن غضبه بعد خسارة الفريق الوطني الجزائري[1]. لذلك سنجد العشرات من الجمعيات الرياضية ذات المردودية، منتجة للرياضة الاستعراضية، تُجمّع بعض المئات من اللاعبين، تستفيد من حصص ذات مليارات السنتيمات لتجلب أفضل الرياضيين و تقدم لهم الصلاحيات... أي نوع من السياسة يُعمل بها يا تُرى؟ بينما النصوص الأساسية تحاول أن تجعل من الرياضة الوسيلة المفضلة للدولة لأجل حل مشاكل الشباب اللذين يمثلون الأغلبية الكبرى من سكان الجزائر (70 بالمائة من السكان أعمارهم أقل من 30 سنة)[2].

الرياضة الجماهيرية (كرة القدم) تُنمّى و تستثمر لأنه من الصعب و المُكلف للثمن أن تمارس الدولة سياسة تنموية اتجاه عدد كبير من الأفراد. في هذا السياق لاحظنا خلال مُتابعتنا لمختلف الأحداث المرتبطة بكلا الفريقين المعنيين بدراستنا أنّ العديد من الشباب يبني تصورا خاصا عن فريقه لدرجة تجعل سعادته تقترن بمدى نجاح الفريق الذي يشجعه في مشواره، كأن بالشباب يتناسى كل المشاكل التي يتخبط فيها ليبقى الفريق موجودا وحده في ذاكرته... فيما يلي نموذجين من مقابلتين لفردين مناصرين بخلاف لأحد الفريقين مولودية وهران و جمعية وهران، بطّالين و من وضعيتين اجتماعيتين متقاربتين، يوضّحان مدى صحة فكرة الرهان الذي تريده السياسة من رياضة كرة

[1] Ibid, p149.

[2] Ibid, p149.

القدم مثلما أشرنا في النص الذي نحن بصدد سرده، بحيث كان السؤال لكلا الفردين عن سبب انجذابهما نحو فريقيهما و متابعتهما لهما باستمرار:

- *"المولودية هي ورث... خلاوها جدودنا، ملي كنت صغير بويا يعشق المولودية و رباني على ذيك السيرة... وأنا نربي ولدي عليها... حنا ما نجيوش للملعب باش نتفرجوا البولا وبس، حنا نجيو للملعب خاطرش واجب علينا نوقفوا مع الفريق نتاعنا... مهما كانت الظروف... كيما قالوا الشيوخا: المولودية نخلة و لي يخرب فيها يخلا..."* (**مقابلة رقم 27**).
- كما يصرح مبحوث آخر: *"جمعية وهران هو الفريق الوحيد اللي المناصرين تاعه يبغوه من القلب... حنا جامي تبدلنا ولا نتبدلوا... أوفياء بالرغم من عدم استقرار الفريق: خطرة البطولة الأولى، خطرة البطولة الثانية... المهم مهما تبدلت الظروف حنا جامي نتبدلوا..."* (**مقابلة رقم 13**).

من هنا نلاحظ أنه بالرغم من تنوع شكلي المناصرة إلا أن المصير الذي تشدوا إليه مشاعر الانتماء لأحد الفريقين يبقى نفسه، بالرغم من تشابه الظروف الصعبة لكلا الفردين إلا أن كلاهما يرغب في أن يكون وفيا، محبا لأقصى حد و بعيدا عن كل العوائق، لفريقه الذي يرى فيه هوية الانتماء.

تحت عنوان (la dépolitisation des citoyens: mythe ou réalité ?)، يبحث "يوسف فاطس" عن إمكانية الحديث عن وجود دور آخر للرياضة الجزائرية، متمثلا في "نزع السياسة عن الحشود" مثلما ترى النظرية الفرويدية–الماركسية من السوسيولوجيا النقدية التي قدمها J-M BROHM، و الذي يرى في الرياضة هيئة مؤهلة لتكون أداة اديولوجية لدى الدولة، خاصية الشكل الجديد لتعبير الشعب، "المستغرب و المنزوع السياسية"، عن رأيه[1]. بصيغة أخرى، هل حقيقة تساهم الرياضة في "غباء المواطنين" و تمهيل الوعي السياسي؟ و ما هو حد صلاحية هذه النظرية بمجابهتها مع الواقع الجزائري؟ هذه النظرية للظاهرة السوسيولوجية ترتكز على تفسير غائي (téléologique)

[1] Ibid, p 214.

مبني على النهايات التي يتبعها النظام السياسي، خصوصا تلك المتعلقة بنزع السياسة عن الحشود. من جهة أخرى فإن التبريرات مبنية حول ما هو مؤكد و ليس ما هو مفسّر و مُبيّن، لتبيان كيف تتم عملية سحب أي وعي سياسي. حسب الفرودو–ماركسية فإن "الحوارات السياسية لا تفتح أبدا المجال للنقاش السياسي الواضح، تحصر نفسها في دوامة دون نهاية حول ربح المباراة، إلحاق الهزيمة، حول الاستمتاع أو تعليق خدمات الأقسام العليا"[1].

[1] F. BAILLETTE, Révoltes sociales et orthopédie sportive (Sport et mondialisation de la déviance), In Quel corps n° 28-29, Paris, Décembre 1985, p9.

المبحث الثالث: مدينة وهران من خلال فريقين عريقين، الجمعية و المولودية

شكّلت المدينة محور حياة الإنسان و الدولة معا، حتى أنّ البناء و اختلاط المنازل هو من منازع الحضارة[1]، و لأنها مجال مفتوح لدراسة المجتمع و خصائصه و تطوراته فلقد حظيت بأهمية كبيرة في مختلف الدراسات. من جهتنا فقد وجدنا في المجال الحضري العام لمدينة وهران غنى اجتماعي محفز للدراسات الاجتماعية بمختلف تشعّباتها، أما عن الدراسة التي تخصنا فنفس الشيء، كلما تخصصنا في موضوع ما إلا و وجدنا تحته العديد من المواضيع الأخرى ذات الصلة، إنه تشعب البحث السوسيولوجي الواسع المجال و غير المحصور نظرا لخصوصية الظاهرة الاجتماعية.

من بين كل المدن الرئيسية في الجزائر المعاصرة تُعتبر وهران المدينة الأكثر أروبية، ففي سنة 1954 كان يمثل الجنس الأوروبي الساكن بها ما يقارب 64.5%، فيما كان يمثل السكان الجزائريون المسلمون حينها ما يقارب ثلث مجموع سكان المدينة.[2] هذا ما يفسر كون هذه المدينة مهد حط رحال رياضة كرة القدم في الجزائر و في شمال إفريقيا مثلما صرّحنا سابقا، فبحكم الوجود القوي للعنصر الأوروبي تواجدت هذه الرياضة مبكرا في مدينة وهران، بفرق كروية من لاعبين أوروبيين ثم لاحقا تأسست الفرق مسلمة. لقد لمسنا عبر دراستنا هذا التراكم الثقافي التاريخي بين مختلف الشرائح المناصرة لفرقي مولودية وهران وجمعية وهران، يمكن أن نذكر في هذا الشأن ما صرّح به أحد المستجوبين المناصر لفريق جمعية وهران: *"جدّي كان يتابع كل صغيرة وكبيرة عن الجمعيّة... في المقهى تاع (ع) في المدينة الجديدة يتلاقا مع صحابه... الوالد تاعي ثاني كان يتبع الجمعية في تفاصيلها... أنا بالنسبة ليهم راني عادي ڤاع ما نبانش، بصح حب الجمعية في الدم، حاجا وراثية..."*. (**مقابلة رقم 27**)، أي أن الاهتمام الرياضي للمناصر الذي قابلناه يتعدى تاريخه هذا الفرد إلى أبيه و جدّه، كلّهم ناصروا و لا زالوا يناصرون فريقهم.

[1] ابن خلدون. ع، المقدمة، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2005، ص276.

[2] H. CHAILA, Oran: histoire d'une ville, Ed. Ibn Khaldoun, Oran, 2002, p14.

منذ سنة 1910 شهد قطاع وهران مثل قطاع الجزائر و قسنطينة بداية تأسيس النوادي الكروية الأولى المختلطة بالفرنسيين و العرب[1]، كما تم انتداب بعض الجزائريين المهتمين بالثقافة البدنية و المعجبين بالممارسة الرياضية إلى فرق أروبية نظرا لأدائهم الحسن. في ظل هذا الجو من الاكتساب المعرفي لنمط الممارسة الرياضية عبر وسائل قانونية كتأسيس الجمعيات الرياضية، تأسست سنة 1917 الجمعية الثقافية المولودية MCO لتعرف بعدها باسم المولودية الحامدية MCO Hamidia. يجب الإشارة إلى أننا بصدد الحديث عن شكل جمعوي آخر، ليس له علاقة بكرة القدم، اسم المولودية سبق تأسيس الفريق الرياضي و هي عبارة عن جمعية ثقافية موسيقية. لتشهد مدينة وهران تأسيس فريق اتحاد وهران في 1926، أين عرف العديد من النجاحات و احتوائه لأفضل اللاعبين و المسيرين. ثم بعد ذلك فريق ASMO و فريق(Espérance Musulmane Oranaise) EMO.

تأسيس هذه النوادي الرياضية يتوافق مع وقت بزوغ الفكر السياسي و الوعي بإمكانية استعمال بعض أسلحة الاستعمار مثل النظام الدراسي و الشكل الجمعوي كوسيلة مبادرة نحو التحرر. إذن تم تأسيس نوادي رياضية مسلمة و تم استثمارها سياسيا، و بالخصوص داخل الحركات الوطنية التحررية، لتبدأ الانشغالات السياسية تسود. بالنسبة للجزائريين المستَعمَرين آنذاك، أصبحت الجمعية الرياضية المسلمة تمثل قوة رسمية، يمليها الحق الجمعوي الخاص بها من خلال قانون 1901، و يحدد هدفها الاجتماعي. بالمقابل، نجدها تحمل خلف وظائفها البارزة أدوار اجتماعية أخرى متمثلة في التكوين و التربية السياسية الحقيقية باقتراح مخيال جديد، شعور الانتماء إلى اعتقاد جديد له تصور خاص في ربح المستعمر. لقد وُفّقت الجمعية في أن تُلم بين اثنين، بين منظمة ذات أهدافو أنشطة تتلخص في التعبير أو التلبية لحاجات رسمية خاصة بأعضائها، و بين منظمة نصف سياسية تُطرح عبرها القضية الوطنية[2].

[1] جل المعلومات التاريخية المتعلقة بفريقي مولودية وهران و جمعية وهران المذكورة في هذا الفصل استسقيناها من خلال مجموعة من اللقاءات و المقابلات مع شخصيين بارزين مختصّين في التأريخ لهذين الفريقين هما: بلعروي محمد (كاتب، مؤرخ و صحفي) و عجال الهواري (صحفي).

[2] Cf. S/D N. BANCEL ; D. DENIS ; Y. FATES, Op. cit.

"جمعية وهران" من بين الفرق الوهرانية البارزة، في الأصل كان يدعى النادي "بالجمعية الإسلامية لحي الكمين"(AS Musulmane Eckmul (ASME، و الذي أسس بتاريخ 1933 من قبل مجموعة رياضيين معروفين في ساحة وهران، من بينهم"سويح الهواري" (أوّل والي على مدينة وهران بعد الاستقلال في 1962)، كذلك "بوعلام بوعقل" الملقب ب "دلالي"، "هدفي حاج"، "الإخوة طهراوي"، "مرسلي"، "بن حدادة"، "بن فريحة"، أوّل نائب رئيس للفريق "حاج شعيبي عبد الرحمان" الذي عايش أحداث الحرب العالمية الأولى 1918/1914 و العديد من الأسماء الأخرى. نلاحظ جليا كيف كان للتسمية الإسلامية مكان في جل الجمعيات (الفرق) التي كانت تؤسس آنذاك، و التي كانت تسمّى ذات طابع مسلم، فحتى لو تعلق الأمر بالرياضة أو الفن فإن العنوان يظل يرمز لما هو إسلامي.

بسبب نقص الإمكانيات المادية فإن النادي لم يعش إلا ثلاث مواسم ليدخل بعدها في غيبوبة. في هذا الوقت من الحرب العالمية الثانية، فإن أغلبية اللاعبين دخلوا في وضعية بطالة رياضية نتيجة للظروف الصعبة –حتى أولائك الذين كانوا ينشطون بفرنسا– بالرغم من استمرار نشاط الدوري الفدرالي بطريقة عادية (الخاص بوضعية الحرب) (Le championnat fédéral dit de guerre). من هنا جاءت فكرة لم شمل اللاعبين الكبار و ذلك على يد "أبوكبير بغداذ" (حارس مرمى اتحاد وهران USMO) تحت وسام JSMOran و يدفع بهم إلى مسار الرياضة و العمل أين فرضوا سيطرتهم، لينجح "بغداذ" بعدها لإدراج المجموعة إلى البطولة المعروفة آنذاك باسم LOFA، و يسترجع بصعوبة مكانة نادي"جمعية مديوني وهران"و يعتمد مقر النادي بحي"الكمين". إنه الميلاد الحقيقي لنادي الجمعية الذي أصبح "نادي جمعية وهران" ASMO . في هذا الصدد صرح "بغداد" ذات يوم: "اتحاد وهران هو أمي و الجمعية هي ابنتي".

فيما يلي أهم الأحداث التي ميزت الفريق:

- سنة 1963/1962 الجمعية تنال المرتبة الثالثة في الدورة الوطنية التي جرت في قسنطينة.
- بطل الجهة الوهرانية 1964/1963.
- خسارة نهائي كأس الجزائر سنة 1981 أمام اتحاد الجزائر و سنة 1983 أمام مولودية الجزائر.

أما عن فريق "مولودية وهران" فقد تأسس في 14 ماي 1946، بزعامة شخصين، الأول "بصول محمد" صاحب 22 سنة، و المالك لقاعة حلاقة متواجدة بحي "الحمري الشعبي"، و الثاني هو "بنتوتي علي". بين الرجلين أخذت فكرة تأسيس هذا الفريق منحى في نفس الحي، ليقررا المضي في العمل الميداني بمعية "عبونة عمر" (رئيس الفريق مستقبلا) و "بوطالب". أما عن الأهداف التي كان يصبو إليها هذا الفريق سنجد فكرة تجميع و توعية الأفراد الموهوبين بالحي، فبالمقابل كانت هناك هيمنة من قبل الفريق الآخر (club Lamurien) المتكون من أغلبية كولونيالية. في مذكرات "سماعين غربي" يؤكد أن التأسيس الفعلي للفريق كان بمدرسة التربية و التعليم بحضور مجموعة من علماء الدين أبرزهم "سعيد زموشي" الذي كان يعتبر عدوا للقوات الاستعمارية، حينها صرح بدعائه الشهير: *"هذا الترك يكون نخلة و لي يخرب فيه يخلى"* أي بمعنى أن يكون هذا الفريق كشجرة نخيل مثمرة، و من يقربه بسوء يهلك.

في هذا الصدد يشرح ي. فاطس أن النوادي الإسلامية التي تأسست آنذاك كانت أماكن لتقوية و تدعيم الهوية المتعلقة بضمير "نحن" ضد "هم" أي المستعمرون. عبر فكرة تملك الرياضة، يتوجب أولا التموقع في جهة الذي يمر إلى النشاط أو يستعمله، أي المستعمَر (le colonisé). هذه الفكرة تحتم علينا إعادة وضع مفهوم العبور إلى الممارسة إلى سياقه و معناه الاجتماعي: ارتباط بالسلطة السياسية و الاقتصادية للمستعمر (le colonisateur).

هذا العبور من منظور سوسيو- سياسي كان بمثابة إستراتيجية تبناها المستعمَر اتجاه من يستعمره لتأكيد اتحاد و تلاحم أفراد الشعب[1].

فيما يخص تسمية فريق المولودية فهناك من يعتبر أنها كانت بمناسبة المولد النبوي الشريف، و هناك من يعتبر أن تسمية المولودية كانت محبّبة في الوسط الرياضي الجزائري ككل في تلك الأيام من الزمن و تم اقتباسها للفريق الوهراني. أمّا عن اللون المختار آنذاك فكان اللون الأخضر الذي يرمز لراية حرب النبي محمّد (صلى الله عليه وسلم). مع العلم أن التسمية (مولودية وهران) عرفت جدالا بين كل من "بن توتي"و مشاطره الرأي "عبونة" اللذان فضلا تسمية "الحمري" و بين "بصّول" الذي رفض و فرض رأيه الذي كان عقلانيا لكي يكون الفريق ممثلا للمدينة ككل أي"مولودية وهران"، ولا ينحصر في حيّ.

ككل فريق جديد كان على فريق مولودية وهران اللعب في أدنى السلم، ما يعرف حينها بالمقاطعة، أين كان يجابه فرق أحياء أخرى من مدينة وهران و قُراها. اللاعبون أمثال "بصول" (أمين عام في نفس الوقت)، "غالم"، "توحة"، "فواتيح"، "محمود خليفة"و آخرون لم يكن لهم مدرب في أول الأمر، كما كانوا يتدربون في المجال الشاسع المعروف ب: "عسروج" (حاليا مكان ملعب الشهيد زبانة و ما جاوره)، و ذلك دائما بعد يوم شاق من العمل. الأحد كان يوم استقبال منافسي المولودية على ملعب Turin (حاليا مكان تواجد ثانوية لطفي)، و بعدها في ملعب Rail قرب المقبرة الأروبية بحي الحمري. لينالوا أول لقب لهم على ملعب Turin أين فازوا بخمسة أهداف لصفر أمام منافسهم Faubourg St Pierre، لتنهال بعدها العروض على لاعبي الفريق و أبرزهم"بوجلال"، "سوالمية"، "سلامبة"و "فريحة بن يوسف" (الذي استشهد لاحقا و حاليا يحمل اسمه ملعب St Eugêne). في 1950 تحقيق جديد للمولودية من خلال إقصاء أحد أبرز الفرق المنافسة في كأس شمال إفريقيا AGS Mascara و الذي يعتبر فريق قوي مشكل بأغلبية أقدام سوداء. ليقفز الفريق إلى الدرجة النخبوية سنة 1954/1953.

[1] Ibid .

أهم إنجازات الفريق:

- بعد الاستقلال و بالضبط سنة 1964، التحق الفريق بالنخبة السائدة آنذاك في الدوري الجزائري، أين استقر هناك إلى غاية 2008 – أي 44 سنة – ليسقط لأول مرة إلى الدوري الثاني.
- الموسم 1970/1969 يعتبر حساسا، فقط لجنة المحافظة من استطاعت انقاد الفريق من خلال جلب انتدابات جديدة للفريق مع الحفاظ على لمسة الحمري و أبرز هذه الأسماء: "كبير"ASMO، "يحياوي"CRT، "بودلة"Bechar، "شعيب"FCO، لينال الفريق أول لقب للدوري سنة 1971 بمعية "لعربي"، "بديار"، "حمادي"، "كريم حميدة"، "فريحة"، "كريمو"، "مهدي" و آخرون.
- في 1975 نال الفريق أول كأس جمهورية أمام MO Constantine.

"المدينة هي مكان للإحباطات و للرغبات الممنوعة"[1]، هي حاليا مرادفة للعيش الصعب، التهميش، الإقصاء، النزاع، للدلالة على فضاء حضري في غمار أزمة و قابل للانفجار غير المراقب. هذا ما نجده في مجمل خطابات الشباب التي طالما جعلت من المدرجات فضاءا استثنائيا يتيح الكلمة للجميع، نستحضر في هذا الشأن ما كان يردده شباب مشجعي مولودية وهران خلال سنوات التسعينات:

"واش من سبة قاع يكرهونا... السبة باينا هي الحكومة..."

أي أن سبب كون فريق المولودية مكروها من قبل الجميع في نظر المناصرين هو "الحكومة"، بالرغم من تحديد السبب إلا أنّه يظل مجهولا (من هي الحكومة؟). أمام هذه الخطابات التي تُردّد في مدرجات الملاعب و حتى خارجها، يظهر أن جمهور المناصرين المنتمين للفضاء الحضري الوهراني يتفق على تفرّده بين باقي الجماهير، هذا ما أثبته ميدان البحث، فكما يصرح "مولاي الحاج. م" فإن الميدان هو الوحيد الذي يستطيع أن يمدنا بمعطيات قد لا نجد لها تفسيرا

[1] D. HADJIDJ, Ville et société en Algérie: où est donc passé le sociologue ? Sociologie et société en Algérie, Actes du colloque national de sociologie, Ed. Casbah, Alger, 2004, p87.

بالرجوع دائما إلى النظرية السوسيولوجية[1]. في الشأن نفسه يصرح المؤلفان H. MENDRAS و M. OBERTI أنّ "الميدان هو مصدر لكل خيال سوسيولوجي، فعن طريق الاحتكاك بالواقع يكتشف الباحث السوسيولوجي نماذج جديدة تُثري فيما بعد النظرية السوسيولوجية"[2].

إذن عبر الاحتكاك بالميدان و خاصة مدرّجات ملاعب كرة القدم في مدينة وهران، تأكّدنا من مقولة "فاطس.ي" أنه "في مختلف أقطار العالم، الملعب له مكان ممتاز داخل المدينة"، مكانته لا تنحصر في فضاء ملموس بل في فضاء تعبيري كذلك، فالكلمات التي تُستعمل في هذا الفضاء جدّ قوية من حيث المعنى و المضمون.حسب "فاطس" فإن ما يقصد به بالكلمات داخل الملعب هو تلك التعابير، التلفظات و الجمل التي يستعملها الشباب المناصر بمناسبة لقاءات كرة القدم و التي تتبعها غالبا عبارات جسدية، تصرفاتية و رمزية. نجدها ضروريا في خطاب مؤسس على رموز صوتية و في النظام مبني على رموز لا كلامية: شبه كلامية، الرسومات الحائطية في حوائط الأحياء السكنية و الشعبية (الحومة)[3].

إن كلا من فريق مولودية وهران و جمعية وهران، عبر مدرجات ملاعبهما أعطيا المجال للجمهور بمختلف صوره حتى يستغل فرصة وجوده في قضاء عام ليُعبّر عن ما لم يستطع الجهر به في فضاء آخر، فمثلما صرّحت J. BUTLER: "الخطاب (langage) يعتبر بالدرجة الأولى كقوة فاعلة، كفعل و آثاره، نشاط ممدد، تنفيذ فعل له آثاره. الخطاب هو في الأخير قوة فعالة، أي أنه معروض على أنه أو يعتبر كما هو، بينما تشير إلى أن الفعل الخطابي

[1] مولاي الحاج. م، المجتمع الجزائري و البحث السوسيولوجي: تجربة خاصة في البحث، علم الاجتماع و المجتمع في الجزائر، أعمال الملتقى الوطني حول علم الاجتماع، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ص135.

[2] H. MENDRAS, M. OBERTI, Le sociologue et son terrain: trente recherches exemplaires, Ed. Armand Colin, Paris, 2000, p15.

[3] Y. FATES, Les mots du stade: modalité inédite d'expression politique de la jeunesse algérienne? Espaces publics au Maghreb, Ed. CRASC, Oran, 2013, 199-200.

يمكن أن لا يكون له أثر. من جهة أخرى و بالرغم من احتمال إمكانية عدم ترك مجموعة نتائج و لا أي أثر، سيبقى ذا قوة و قوة أثر أي خطاب تجد مرجعيتها من الموضوع"[1].

يبقى أن نشير إلى أن المناصرين يعيشون حاضر فريقهم من أحداث دون أن ينسون ماضيهم باختلاف درجة بعد هذا التاريخ، فمثلا بالنسبة للاحتفال بتاريخ تأسيس فريق مولودية وهران نجد الكثير من المناصرين يُفضلون استعمال تاريخ 1917 الذي يعتبر ،مثلما أوضحنا سابقا، تاريخ تأسيس جمعية "المولودية الحامدية" التي لم تعد توجد في الوقت الراهن، و ذلك حتى يَدُلّوا على أقدمية فريقهم بالنسبة لباقي الفرق الموجودة في الجزائر و بالتالي قوة الوجود التاريخي.

[1] Ibid, p200.

خاتمة الجزء:

لقد لاحظنا جليا في هذا الجزء من الأطروحة كيف يمكن لرياضة كرة القدم أن تلبس ثوبا اجتماعيا مميزا لنمط المجتمع الذي تنتمي إليه، لقد فسّر العديد من المختصين الاجتماعيين الظاهرة الرياضية عموما و كرة القدم خصوصا لكونها الرياضة الأكثر انتشارا و تفاعلا في أرجاء الأرض، هذه الشعبية توطّد الخصوصية الاجتماعية بالدرجة الأولى لظاهرة مُماثلة. بقدر ما ارتبطت كرة القدم بالمجتمع بقدر ما تُرك المجال شاسعا لهذا المجتمع بحيث يمثل الحضور الجماهيري ثقلا بشريا مقارنة مع من يمارسون هذه اللعبة في أرضية ميدان اللعب، ليثبت مرّة أخرى أهمية المناصرين و اعتمادهم في العديد من الخطابات على أساس اللاعب رقم 12 و الورقة الرابحة لكل فريق كرة قدم.

لقد تمّ التزاوج بين ظاهرة كرة القدم و المجتمع الجزائري منذ أن حطّت هذه اللعبة رحالها في الجزائر بطريقة سلسة، فبالرغم من الظروف الصعبة التي كان يعيشها الجزائريون من استعمار مُدمّر حين اكتشافهم لهذه اللعبة إلا أنهم تعلقوا بها، خاصة حينما تبيّن أن كرة القدم تتيح الكلمة للمجتمعات حتى تُثبت وجودها. ليتمّ تبني هذه الرياضة بسرعة من قبل الهيئات السياسية و استعمالها لأغراض سياسية أهمها التعريف بالقضية الوطنية.

مدينة وهران مثّلت حالة خاصة منذ بداية وجود هذه اللعبة في الجزائر، فلقد تم تكوين أول النوادي الكروية من عناصر أوروبيين آنذاك في مدينة وهران، بالرغم من تهميش العنصر البشري الجزائري حينها إلا أنه تمكن من التأقلم بسرعة مع فكرة تأسيس جمعيات رياضية لتصبح النواة الأولى للعديد من الفرق الكروية، أبرزها تلك التي كانت موضوع دراستنا، أي فريق مولودية وهران و جمعية وهران. لقد شكّلت مدينة وهران منذ القدم مهدا رئيسيا لمختلف الظواهر ذات الصلة بالثقافة الحضرية نظرا للتنوع البشري و الثقافي الذي عرفته هذه المدينة جعلها دوما تشكل فسيفساء اجتماعية، ما جعلها أرضا خصبة للدراسات الاجتماعية بصفة عامة.

الجُزءُ الثّانـي:

ملاعب كرة القدم... امتدادٌ للفضاء الحضري

مقدمة الجزء:

لابد من التذكير لزوما أن حقل بحثنا قبل أن يتحدد داخل حيز النشاط الرياضي و بالضبط التفاعل الجماهيري مع هذا النشاط فإن أصل البحث ينتمي قبل ذلك إلى حيز أوسع يندرج ضمن الدراسات التي تتعلق بالفضاء الاجتماعي الحضري. إن الدراسات الحضرية شاسعة و متشعبة لا حدود لها نظرا لتشعب و تعقد العلاقات الناتجة ضمن الفضاء الحضري، من أجل ذلك يتعين علينا رصد تلك النقاط التي تلتقي فيها عناصر بحثنا التي تشكل الفضاءات العامة لظاهرة المناصرة الكروية.

لقد تساءل "هنري لوفيفر" من قبل عن طريقة العيش في المدينة، أين يتقاسم المواطنون حقهم في المدينة و فضائها و نخص في دراستنا ذلك الفضاء العمومي، فكل أنشطة الإنسان و ممارساته اليومية كالعمل و الأسرة و الدولة محددة بانفصال المجال العمومي السياسي عن المجال الخصوصي أي دائرة الأسرة، كما لا وجود للحرية خارج غياب للفضاء العمومي بل إنها أساس هذا الفضاء، معنى ذلك أن الفضاء العمومي هو شرط إمكان الحرية الحقيقية و هو ما تعكسه صورة "الأغورا" مثلا عند اليونان.

إن المدينة التي نحيا فيها جل حياتنا اليومية هي ذلك الفضاء الذي نعيشه ضمن علاقة مع الممارسة الاجتماعية، بصيغة أخرى يمكننا أن نعتبر أن غياب المدينة التي بها فضاء الحياة الخاصة أو المدينة في مجالها غير القابل للسكن (كالبنايات العامة، الآثار، الطرقات و الساحات...) يجعل من المستحيل للمجموعات البشرية أن تبقى على قيد الحياة. من هنا تتجلى تلك الإلتقاءات بين مختلف عناصر موضوعنا، فمجتمع عينتنا ينتمي إلى الفضاء الحضري لمدينة وهران، و الفرق الرياضية الكروية التي تناصرها الجماهير هي امتداد للفضاء الحضري الذي يعبر عن المدينة، كما أن المناصر ينتمي خارج أصوار الملاعب إلى فضاء اجتماعي حضري. كل هذا جعلنا نعتبر ملاعب كرة القدم كامتداد للفضاء الحضري.

كرة القدم هي مسرح للأحداث التي نعيشها في الحياة. قوانين كرة القدم تُسجل في شبكة الانتماءات التقليدية و تلك التي صيغت طوال القرن التاسع عشر كالانتماء الطبقي أو نظام الدول و الأمم... يمكننا في هذا الشأن أن نذكر أن المناصر الذي يجلس في مدرجات الملعب و يتعلق بفريق كرة قدم هو قبل ذلك إنسان ينتمي إلى فئة ما، طبقة ما، أسرة ما، مجموعة ما... له فكر، له انتماءات عامة و أخرى خاصة... بخلاصة هو اجتماعي بطبعه.

لقد برزت منذ نهاية سنوات 1960 و بداية سنوات 1970 صور عديدة للمناصرين عبر مختلف أرباع العالم، أبرزها نموذج "الألتراس" (ULTRAS) أو التعصب الرياضي و هي قصة لحركة شبابية يعتبرها المختصون من أطول مسارات الحركات الشبابية ديمومة. هذه الحركة في مجموعاتها المناصرة لفرق كرة القدم ترى أنها عنصر فعال في المدرجات بل أن نشاطها يتعدى أسوار المدرجات لتناصر فريقها المفضل بكل الطرق و أقصاها، أين تسعى للسيطرة على الملاعب و التعبير بوسائل عديدة عن رسائل تستهدف جهة ما.

إن مدرجات الملاعب أصبحت من أقوى المنابر التي تمكن مختلف الفئات الاجتماعية و خاصة فئة الشباب من التعبير بكل حرية، بصوتها و صورتها عن ما ترغب في التعبير عنه. لقد وجدنا العديد من الرسائل ذات الدلالات القوية طوال مشوار بحثنا، أين لم نجد فضاء مباشرا حضوريا مماثلا لما توفره الملاعب، شاهدنا كذلك العديد من التناقضات التعبيرية و المشاعرية. من هنا نؤكد أن المدرجات فضاء اجتماعي ممثل و مخبر غني لمن يرغب من الباحثين لتحليل شفراته و معانيه.

الفصل الأول: التطرف الرياضي في الوسط الحضري

المبحث الأول: الوسط الرياضي الجماهيري (المدرجات) و الوسط الحضري

لا يمكننا في حالتنا البحثية فصل الوسط الذي يعني دراستنا أي مدرجات ملاعب كرة القدم و الوسط الحضري بشكله العام، إن الأول جزء من الثاني و بينهما علاقات تفاعلية مميزة، يمكن بحسب العديد من الباحثين أن نفهم إشكالية الرياضة في المدينة من منظور زاويتين رئيسيتين ذاتـــــا صلة بالمواطنة و بالتنشئة الاجتماعية (sociabilité et citoyenneté)[1].

- الزاوية الأولى تتعلق بالمعنى المشترك الذي يتجلى للأعين مباشرة، إنها صورة الضواحي، الأحياء العريقة و الأحياء السكنية الحديثة المنشأ، الظروف الصعبة التي يعاني منها سكان هذه الأحياء و العلاقات التي ينسجونها فيما بينهم... إن الضاحية، الحي، هي مرادف للبطالة، السقوط الاجتماعي، فقدان المعالم الاجتماعية... و حين لا يصبح بإمكان الهوية أن تتشكل انطلاقا من مكانة سوسيو- اقتصادية، فإن الأفراد يتّحدون حول الهوية الفضائية، و ذلك كوسيلة وحيدة للبقاء على قيد الحياة اجتماعيا.

هناك من يظن أن أفراد حي ما أو مدينة ما متساوون اجتماعيا، ثقافيا و سياسيا، بينما في الحقيقة هم مختلفون و يولّدون علاقات مركبة و معقدة مع المدينة. إذن يجب الحديث عن ثقافة رياضية خاصة بالفقير، عن ثقافة فرعية (تحت ثقافة) أو عن عكس ثقافة تجاه الثقافة الرياضية، تلك المتعلقة بالنادي و بنموذج المنافسة.

[1] P. CHANTELAT, M. FODIMBI et J. CAMY, Sport de la cité: Anthropologie de la jeunesse sportive, Ed L'Harmattan, Paris, 1996, p10-11.

نظرا لهذه المعطيات قمنا –بطريقة طبيعية في دراستنا– بتبني منهج و مسعى خاص بالأنثروبولوجيا الحضرية و شيئا من السوسيولوجيا السياسية، هذه الأخيرة تبعث بنا إلى معاني أخرى متعلقة بالرياضة الحضرية: تلك المرتبطة بالحضري و بالمواطن (le citadin et le citoyen).

- الزاوية الثانية المتعلقة بالفضاء العام وفق المعنى السياسي للكلمة، سنجد في هذا الفضاء حوارات، تفاوضات، صراعات بين السكان و السلطات المحلية، الاشتباك من أجل فضاء رياضي مشترك هو مرادف للممارسة الديمقراطية المحلية... إذن "المواطنة الرياضية".

من هنا تساءلنا عن كيفية إمكانية الرياضة أن تساهم في بزوغ أشكال جديدة من أساليب المواطنة؟ تساؤل يظهر متناقض، فطالما تصورنا المواطنة انطلاقا من معيار قانوني و من المشاركة في العالم الجمعوي.

قمنا في إطار التأكد من هاتين الزاويتين اللتين تطرقنا لهما بمقابلة مجموعة من المناصرين ضمن طرحنا العام المتمثل في تفسير شكليْ المناصرة بين فريقي مولودية وهران و جمعية وهران، إذن بذلك تساؤلاتنا بُنيت حول نقطتين رئيسيتين (التنشئة الاجتماعية و المواطنة) مما تطلب منا الرجوع إلى حقول تربوية مختلفة (الأنثروبولوجيا الحضرية و علم الاجتماع السياسي). الاستعانة بهذين العلمين الإنسانيين هو ضروري من أجل فهم سبب و معاني إنتاج أو بزوغ أشكال التنشئة الاجتماعية و المواطنة في الممارسات الرياضية. نحن نحاول تفسير أشكال الممارسات الرياضية و بالخصوص التنشئات الاجتماعية المرتبطة بالرياضة. هذا التفسير يسجل في خانة الأنثروبولوجيا الحضرية بما أننا نبحث عن فهم المعنى الخاص بالممارسات الرياضية: هل نحن نتحدث عن رياضة داخل المدينة أو عن رياضة خاصة بالمدينة؟ كما يسجل في خانة علم الاجتماع السياسي بما أننا نفسر أشكال المواطنة المرتبطة هي كذلك بالرياضة، نمط بزوغ هذه الأشكال من خلال العلاقات (الظاهرة و الرمزية) و التي ينسجها السكان مع السلطة السياسية.

اتجهنا نحو منهج الأنثروبولوجيا الحضرية الذي لا ينحصر في دراسة الأحياء أو دراسة القرى داخل المدينة، أين نتذكر المجتمعات التقليدية أو المجتمعات القديمة، بل العكس ذلك المنهج الذي يركز على الظاهرة الحضرية كما هي، على الخصوصية أو الخصوصيات المتعلقة بنظام الحياة الحضرية. الأنثروبولوجيا الحضرية بالمعنى الذي يستعمله U. HANNERZ، أي ذلك المعنى الذي ينطلق من الفاعلين، أدوارهم، شبكاتهم، استعمالاتهم لميادين المدينة (علاقات التوقع، الحركة، الترفيه، الأبوة، الجوار...)، حتى نفهم كيف لهذا المعنى أن يعبر البنيات و ليس لفهم كيف لفاعل أن يتقيد بدور أو بنية. اخترنا كذلك الأنثروبولوجيا الحضرية لأنها بكل بساطة تفضل أن تتحرى (تستقصي) الاستثناء عوض الاكتفاء بالعادي، أي أنها تهتم بالجزئيات و التفاصيل الدقيقة و لا تكتفي إلا بالعموميات "L'anthropologie urbaine choisit de scruter l'exception plutôt que la norme"[1].

أما في التحري وفق منطق السوسيولوجيا السياسية فبسبب كوننا نتساءل عن علاقة الممارسات الرياضية مع مصطلح المواطنة، فلا يمكن أن يكون هناك مواطنة دون إسناد إلى السياسة و دون رهن العلاقة بين المواطنين و السلطات العامة على المستوى الوطني أو المحلي. كما أن موضوع سوسيولوجيا السياسة يهتم بدراسة العلاقات بين السلطات العامة الإقليمية (التي تتحكم في مركز العنف المسموح به) و بين المواطنين. إذن نحن أمام وضع -بوضوح- مختلف الأشكال "الرياضية" لهذا الإسناد (لهذه العلاقة) و التساؤل عن طبيعة التسجيلات الخاصة بهذه الأشكال في حقل المواطنة. في هذا الشأن يصرح أحد الشباب: *"أنا نحب مدينتي وهران، مالقري قاع شارانا عايشين بصح و الله غير كون نبعّد أسبوع على المدينة نحس روحي ماشي مليح... يليق المسائيل يشوفو فينا شويا، مين يجي الفوط قاع نوقفو معاهم و نأمنوهم... رانا نقولو و نعاودو معدناش من غير وهران، بصح يليق تاني السياسيين يحسوا بينا..."* . (**مقابلة رقم 21**)، أي أن حب الوطن بصيغته المشاعرية الفضائية موجود في تفكير الشباب إلا أن التكفل السياسي بالشباب غير موجود مقابل ذلك بالرغم من دعم الشباب للمترشحين خلال مختلف الحملات الانتخابات.

[1] Ibid, p20.

وجب التذكير أنه بالرغم من تدويننا للعلاقة الواضحة بين الرياضة و السياسة إلا أنه يظل الفاعلون الرياضيون يذكرون في جل الخطابات بأنه لا علاقة بينهما، في منطق يعرف باسم "الحيادية السياسية" (apolitisme) المدعو إليها من قبل المسيرين الرياضيين خاصة، و التي أوضح صيرورتها التاريخية البـــاحث J. DEFRANCE[1]. إذن فالحلبة الرياضية هي كذلك حلبة سياسية (من وجهة نظر رهانية)، إن مختلف أوجه الاستعمال السياسية للرياضة (بالخصوص المهرجان الرياضي) تجد في كرة القدم العديد من فرص الإشهار، خاصة من خلال المكانة الرئيسية التي تحتلها هذه الرياضة في النظام الرياضي، نقصد بذلك شعبيتها. كرة القدم ليست إلا الرياضة الأكثر ممارسة في العالم بل كذلك الأكثر صنعا للمهرجان و الأكثر مشاهدة[2].

إن معظم المناصرين اللذين قابلناهم ينتمون لفئة اجتماعية بارزة و غالبة هي فئة الشباب، كما أن كلهم يرتبط خارج الملعب بفضائه الحضري، ذلك الفضاء المرتبط بميدان الأسرة، العمل، المواطنة... إلا أن ما لحظناه هو قوة العلاقة بين الفريق المُناصر و الـمُناصر بالرغم من الظروف الصعبة التي يعيشها هؤلاء الشباب، من هنا يبرز فوق بحر سطح تحليلنا تساؤلات ذات صلة باستعمال كرة القدم ذات الجماهير الكبيرة لأغراض سياسية. في هذا الشأن يصرح J-M. BROHM أنه "منذ منتصف سنوات الستينات نلاحظ تلك الوظيفة غير الواضحة و المؤثرات الاغترابية أو الدعائية للرياضة". و يستعمل في ذلك عبارة L. ALTHUSSER بأنها "أداة الإديولوجيا الخاصة بالدولة" (appareil idéologique de l'Etat)[3]. حيث يوضح ALTHUSSER كما أسلفنا الذكر كيف يمكن للأدوات الإيديولوجية الخاصة بالدولة، بمعنى "المؤسسات المتخصصة المختلفة"، أن تتمحور حول جهاز الدولة و تُستعمل لصالح إديولوجيا ما[4].

[1] Cf. J. DEFRANCE, La politique de l'apolitisme, sur l'autonomisation du champ sportif, Revue Politix, Volume 13 Numéro 50, Paris, 2000, p13-27.

[2] S/d. A. GOUNOT, D. JALLAT et M. KOEBEL, Op. cit, p12.

[3] C. VIVIER, J-F. LOUDCHER, , Op. cit, p124.

[4] L. ALTHUSSER, Idéologie et appareil idéologique d'Etat, in Positions, Paris, Editions Sociales, 1976, p94.

خلال تأزم الأوضاع الاجتماعية، غالبا ما تُستعمل الرياضة كنافذة إعلامية لصالح السلطات العمومية[1]. حياديتها لصالح الغير يجعل منها وسيلة تدخل بالتراضي يتم التجنّب من خلالها للتساؤلات الحقيقية المرتبطة بالبطالة المستدامة أو بتأزم الأوضاع الاجتماعية. توفير الرياضة للجميع، هو في نفس الوقت التبرؤ أو الهروب من تهمة عدم المحاولة بأي طريقة، و تطوير إستراتيجية خيرية (philanthropique)، مع إثبات شرعية الخلل الخاصة بالمجتمع. لقد لمسنا في المقابلات الميدانية هذا التأثير الإيديولوجي، إنه و بالرغم من الظروف الصعبة التي يعيشها مناصر ما إلا أنه يظل يفتخر بانتمائه لمدينته وهران، بل إن هتافات الجماهير تعبر بصوت واحد بهذا الفخر:

"... و احنا لي زوراني جمعية و مديوني...

و نتايا حمراوي غير لاكوست و لاريني...

و نتايا ڤليطي وين ما نروح تقايسني...

بركونا ملافيولونس هاذي عقلية بكري..."

أي أن الجماهير الكروية الوهرانية و بتنوعها في انتماءاتها الحضرية تعتبر رمزا للرقي الحضري و لا تحبذ العنف الذي هو ليس حضريا. في هذا الشأن يصرح مناصر لفريق مولودية وهران: *"يا أخي، وهران مدينة كبيرة و تاريخها كبير، جميع اللي يجي لوهران يلقا روحه... الحمد لله أنا ولد وهران أبا عن جد، دار جدي في الحمري، مالغري رحلوهم بصح مازالني نغدا للحومة، و الله ما ننجم نعيش بلا ما نزور الحمري... من جهة الظروف الاجتماعية نتاعي ياخويا قتلك هاذي وهران ملفوف، البراني ياكل و مول الدار يشوف، دعا عليها سيد الهواري... رانا صابرين بيلاما يفتح ربي..."* (**مقابلة رقم 15**)، أي أن هذا المناصر يعترف بعظمة المدينة و يفتخر بانتمائه لحي عريق (الحمري) أين عاش والده و جده و لا زال يرتاد هو كذلك بالرغم من تنقل بيت الجد بعد ترحيلهم، أما عن ظروفه الاجتماعية الصعبة مثلما

[1] C. VIVIER, J-F. LOUDCHER, , Op. cit, p132.

يصرح فيضرب قولا على أن مدينة وهران كقطعة كبد مشوي أين تقدم للضيف بينما صاحب البيت لا يأكل و يؤكد أنها دعوة الولي الصالح "سيدي الهواري".

كيف يمكن لممارسة رياضية أن تساهم في بزوغ أشكال التنـــشئة الاجتماعية (الذوبان الاجتماعي) و المواطنة؟ يرى J-F. GARNIER أن المجتمع مستبطن (intériorisé) تدريجيا من قبل الأفراد خاصة على شكل عادات جسدية، تصورات فكرية و تأملية، تمثلات، معايير، قوانين سلوكية و قيم. هذه السيرورة تتم بمقدار كبير دون معرفة الأفراد (دون إدراكهم لها). هنا يفرض الرابط الاجتماعي وجوده ليفسر كذلك ما هو فوق الأفراد. مصطلحات "البث" و "الإدماج" تؤكد أهمية العلاقات العمودية في ما يخص التنشئة الاجتماعية: أثر جيل على جيل آخر[1]. كما يرى J-F. GARNIER في التفسير الثاني أن الرابط الاجتماعي يفترض عملا نشيطا للأفراد، عمل تصحيح دائم و متبادل، و عمليات غير متوقفة من التأويلات للوضعية الفاعلية. الرابط الاجتماعي ليس مسبق الوجود في هذه الحالات؛ بل هو مبني داخلها و عبرها. كما سنجد في نفس الحين أخذ بعين الاعتبار لتلك التداخلات بين الأفراد (الشباب) في ما بينهم، كفاءات الأفراد، مهما كان سنهم، من أجل التأقلم مع الوضعيات المختلفة بحسب السيرورات و الميكانزمات الخاصة بهم[2].

لأجل ذلك و من أجل فهم الكفاءات الخاصة بالفاعلين الاجتماعيين يجب الأخذ بعين الاعتبار التفسير الذي يعطوه لسلوكهم، أي التحليل الذاتي للفعل الذي يقومون به. من هنا سنجد أنفسنا نعاكس النظريات ذات البعد البنيوي أين يعتبر الفاعل مجرد نتاج للبنيات، كما نعاكس النظريات ذات البعد الوظيفي أين يعتبر الفرد متأقلما مع التغيرات البنيوية الخاصة بالمحيط. الممارسات الرياضية داخل المدينة ليست بالظواهر الحديثة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما يصرح به مؤرخوا الرياضة. منذ نهاية القرن 19 نرى ظهور ممارسات رياضية في الشارع، لكن هذه الممارسات سرعان ما اعتبرت عنصرا للإخلال بالنظام العام و تم منعها من قبل السلطات. حاليا (منذ 1980)

[1] P. CHANTELAT, M. FODIMBI et J. CAMY, Op. cit, p21.

[2] Ibid, p22.

لا تعتبر الممارسات المتعلقة برياضة كرة القدم داخل الوسط الحضري كمجرد عناصر فوضى حضرية، بل العكس، هناك دراسات تدعم الأخذ بعين الاعتبار الموضوع من زوايا أخرى و تلخص هذه السلوكات ضمن فئتين:

- من جهة نجد ممارسات رياضية تطلق عليها صيغة "الهمجية" و التي تستعمل مؤقتا الفضاء الحضري كفضاء رياضي و تقوم بعملية إعادة تأهيل لهذا الفضاء. سنجد الساحات تتحول لأرضيات تجرى عليها لقاءات كرة قدم و أشكال أخرى من الرياضات (التزلج على الألواح، العدو...).
- و من جهة أخرى نجد مجموعة من الممارسات الرياضية تحول في فضاءات مخصصة، ملاعب جهزت لاستقبال فئة الممارسين و خاصة من ينتمون لطبقات اجتماعية وسطى و هشة.

إن المدينة عبر سلطتها السياسية تسعى لخلق فضاء جماهيري يمكن من التحكم في ذلك الهيجان الجماهيري الذي يستقي عناصر نشاطه من الفضاء الاجتماعي الحضري ككل، فالطبيعة البشرية تستدعي وجود قنوات تلتقي فيها أهداف جماعية للتعبير عن أفكار ما. في هذا الشأن يرى J. HOBERMANN أن البعد الإديولوجي عند DE COUBERTIN يكمن في جهده لأجل ترويض غرائز انفعالية و جعلها خصائص تميز مجتمع ذو كتلة بازغة و التي يصفها بكونها غير مرغوب بها و ليس لا رجعة فيها[1]. من أجل الفرار من إديولوجيا النقد الإديولوجي، يبدو أن النقد السيميولوجي (الشكلي) للإديولوجيا يمكن أن يكون أكثر فعالية. من هذا المنطلق يمكن أن نلاحظ أن الفعل الاجتماعي، في هذه الحالة: اللامساواة بين الطبقات الاجتماعية، و الذي لا يعتبر بالإجماع من طرف كل المعنيين كشيء إيجابي، هو ممثل من طرف معاني أخرى كالسلام، ليصبح يحمل معنى إيجابي. إجراء كهذا هو حسب Umberto ECO رمز للإديولوجيا[2]. لقد رأي DE COUBERTIN في ما يخص فكرة "الرياضة في المدينة" و التي تطرق لها في مؤلفه حول تربية المراهقين في القرن العشرين فرصة لا تعوض لأجل القضاء على تلك الفوارق الاجتماعية من خلال احترامها مستعملا عبارة الرياضة القـــــديمة المجددة "gymnase antique rénové"، حيث يصرح بما

[1] C. VIVIER, J-F. LOUDCHER, , Op. cit, p24.

[2] Ibid, p24.

يلي: "سيأتي يوم ربما أين تنشأ هيئات خاصة بالثقافة البدنية تحتوي على خدمات للأكل، للعرض، السباحة...؛ و بهذا سنتمكن من إعادة بعث صورة للرياضة القديمة لكن بخصائص و تقاليد تتماشى و حاجات الحاضر و تستهدف بالدرجة الأولى فئة الشباب"[1].إذن فحسب DE COUBERTIN فإن الرياضة تُعلم احترام الاختلافات المؤثرة (fatales)[2]، و أن "ممارسة التمارين الرياضية لا تساوي أو تكافئ في القدرات لكن تساوي (تكافئ) العلاقات، بينما من المحتمل هنا أن يكون الشكل أهم من الباطن"[3]. نفس المنطق يتجلى لدى فئة المناصرين داخل مدرجات الملاعب، إلا أن هامش الحرية يبقى أوسع لدى المناصرين لأن فضاءهم تعبيري أكثر منه ممارس للرياضة، مما ينتج عنه صدى أكبر.

[1] Ibid, p17.

[2] P. DE COUBERTIN, Le sport et la société moderne, Ed Excelsior, 23 Aout 1915, p2.

[3] P. DE COUBERTIN, Le sport et la question sociale, In Revue Olympique, N°8, Aout, 1913, p120.

المبحث الثاني: شباب الفضاء الحضري، كرة القدم و العنف

إن الظاهرة الرياضية في سياق دراستنا لها صلة تاريخية وطيدة مع ظاهرة العنف لدى فئة الشباب، فبمجرد أن نتحدث عن كرة القدم و الخطوات الأولى التي عرفتها هذه الرياضة، سنجد بالموازاة مع ذلك بروز أشكال من التعصب و العنف داخل هذا المجال. فمثلا ظاهرة اكتساح أرضية الملاعب و التهجم على الحكام و اللاعبين ظهرت خلال سنوات 1880 في الملاعب الإنجليزية. بالرغم من ضئالة انتشار هذه الظاهرة قديما إلا أنها تتناقض مع فكرة كونها ظاهرة تمس كرة القدم حديثة. و بالتالي تؤكد فرضية اقتران رياضة كرة القدم بالعنف[1].

إننا إن أردنا الحديث عن العنف بصورته العامة و علاقته بالحالة الجزائرية، فإننا نجد أن الجزائر قد عرفت ثلاثة أشكال من العنف[2]:

- العنف الاجتماعي: و الذي ينتشر و يتبع بحتمية ناتجة عن التغيرات الاجتماعية السريعة و العميقة التي مسّت كل الميادين، فلم يعد بإمكان الثقافة أن تنتج تصورات جديدة، و أصبحت الأجيال تواجه صعوبات لإيجاد نماذج لحياتهم الجديدة... المدرسة، الشبيبة، العدالة، الوضع الأنثوي، المواطنة، المعرفة، المدينة، العمل، البيئة، العيش معا... كل شيء أعيد ابتكاره في نفس الوقت من جديد.
- العنف السياسي: والذي يتجلى من خلال الصراعات الداخلية حول السلطة المركزية و الحكم المحلي، أين أخذ في الجزائر صور خاصة، هذه الصور كانت تبدوا أقل خصوصية حين نقارنها مع ما حدث في مجمل البلدان المستعمرة سابقا أو المستقلة.

بداية كما أشار F. FANON في الفصل الأول من كتابه "المعذبون في الأرض"[3]، و المعنون باسم: "من العنف" (De la violence)، فإن الوضعية الاستعمارية كانت عنيفة، كما أن الحصول على

[1] ماحي محمد عباس (مرجع سبق ذكره)، ص50.

[2] ك. شولي، العنف: مساهمات في النقاش، مجلة إنسانيات، العدد 10، كراسك، وهران، جانفي/أفريل 2000، ص7.

[3] F. Fanon, Les damnées de la terre, Ed Maspero, Paris, 1978, p5/52.

الحرية –تلك الخاصة بالبلاد و الأفراد– تم بطريقة أعنف و دام لمدّة طويلة. هذا الماضي الموروث أثر بصورة كبيرة على البلاد، كما أن وضعيتها الجغرافية–السياسية و ثرواتها الطاقوية وضعتها منذ اللحظات الأولى من استقلالها تحت ضغوطات دولية. لقد تم الاستعانة بصورة بنائية و فوق–وطنية بالدين، أين كان يسود جو في الساحة الدولية لبعض البلدان العربية و الإسلامية، سمح لسياسات مختلفة من أن تجد جوا مناسبا لها في الحالة التي كانت تميز المجتمع الجزائري. هذه الاستعانة المطبقة بشكل من العنف الرمزي لم تكن تعبر عن رأيها بطريقة مسلحة منذ البداية، لكنها عرضت أشكالا من المظاهرات في الطرقات، بعدها عرفت ضغوطات انتخابية، لتصل إلى المرحلة المسلحة. هذا الانتقال الذي كان يبحث عن استعادة قيم الثورة، كان يقتبس أفكاره مباشرة من حرب أفغانستان. لتجد البلاد نفسها في الأخير أمام شبح الإرهاب.

- الجزائر خضعت كذلك للشكل الثالث من العنف، العنف "المجرّد". البلاد لا تعرف انقسامات عرقية أو اختلافات دينية أو تقسيمات طبقية... تتسبب في هذا الشكل من العنف، لذلك فإن الهدف (الضحية) كان مجهول، فلم ينجو أحد، أطفال، نساء، شيوخ، شباب... كلّهم استهدفوا، مجازر راح ضحيتها قرى و عائلات، بكل الطرق، ليلا و نهارا، عبر الطرقات و الحواجز المزيفة، كل هذا حصل أمام مرأى الضحايا المستقبليّون.

لقد أثّرت هذه الأشكال المختلفة للعنف على المجتمع الجزائري بكل شرائحه و بدرجات متفاوتة، حتى أولئك الأطفال اللذين لم يُدركوا مباشرة هذه الأحداث تأثروا بطريقة غير مباشرة، لقد أصبح الفكر العنيف ينتقل بوسائل عديدة كالتنشئة الاجتماعية مثلا. المدينة كباقي ربوع الوطن عرفت هي الأخرى صورا لمظاهر العنف، أين شكلت بطبيعتها مركزا للتجمعات المختلفة التي استعملت كل الطرق للتعبير عن مطلبها و لو كان ذلك باستعمال القوة.

تم استعمال عبارة العنف الحضري بصورة واسعة في سنة 1989، و ذلك للإشارة إلى اضطرابات النظام العام. بعد 1990 أصبحت تعني هذه العبارة العنف المرتكب في الفضاء العام داخل بعض الأحياء المهمشة اجتماعيا و المكونة خصوصا من مهاجرين. المصطلح يحمل في معناه تلك الأفعال الجماعية المهدّمة و التي تهدف إلى شغل فضاء و رفض النظام، و هذا من قبل مجموعات صغيرة تتسم بالفوضوية و غالبا ما هي مكونة من مجموعة شباب في حالة هشة[1]. نعود في هذا المقام لأحداث سقوط فريق مولودية وهران إلى القسم الثاني من البطولة الوطنية لكرة القدم سنة 2008، لقد عاشت مدينة وهران شللا عاما ناتجا عن أحداث عنف تسببت فيها الجماهير المناصرة عقب سقوط فريقهم إلى البطولة الثانية بحيث كانت تلك الحادثة النقطة التي أسالت الكأس الممتلأ سابقا بدوافع اجتماعية أخرى شحنت نفسية الجماهير.

من منظور سوسيولوجي أي بمعنى دراسة الظواهر الاجتماعية، هذه الأفعال تدفعنا للحديث مباشرة عن عبارة "اللاحضارة"، من خلال غيابها، أو لأجل أن يسمع صوت الشباب و يتم احترامه. الشخص يسعى لاستعمال ضمير أنتم، و الفضاء العام لا يمكن أن يكون أبدا ملك فرد و على الحضارة أن تطبق بعض الحيادية في هذا الفضاء، إذن لا يجب أن نفرض على الآخر خاصيته. من جهة أخرى فإن العنف الحضري يدفعنا لإعادة النظر في وظيفة الحياة الجماعية المبنية على الاحترام المتبادل، الحوار و التبادل، ما يُولّد بعدها شعور القلق الذي يمكن أن يُترجم بالتأزم (تكسير الزجاج و حاملات الأظرف، الكتابات الجدرانية...)[2].

[1] R. BOUDON S/d, Dictionnaire de la pensée sociologique, Ed puf, Paris, 2005, p740.

[2] ماحي محمد عباس (مرجع سبق ذكره)، ص 63.

نحن أمام نوع من الفردانية بالرغم من أن الصورة تبين أن العنف جماعي، هذه الفردانية تنتج كذلك من جراء انخفاض درجة الحماية أي تفاقم اللاأمن الاجتماعي، بما أن الفرد لم يعد دائم التسجيل في نظام ضبط جماعي، فهو يربح الحرية و الاستقلالية أكثر فأكثر لكن بالمقابل يجد نفسه في سياق منافسة شديدة و فريسة للبطالة، الأقوياء ينجحون في وضع محاسنهم في الأمام أما الضعفاء فيجدون أنفسهم يتلاشون أكثر فأكثر، خاصة أنهم لا يستطيعون العودة إلى التنظيمات الجماعية التي كانت بالنسبة لهم مصدر حماية جماعي، هؤلاء إذن من سيعيشون في اللاأمن الاجتماعي[1].

حتى تكتمل الصورة بالنسبة لحالتنا الدراسية أين يكون الملعب فضاء ممتد للفضاء الحضري، يجب الإشارة إلى بعض المفاهيم التي تقترب من حيث المعنى و التي تساهم في فهم ظاهرة العنف، من بينها: الصراع و العدوان. بغض النظر عن نوع الصراع فإنه في الأخير يثير مشاعر سلبية قابلة للتراكم، و على الأرجح يؤدي تكاثفها إلى كره متبادل بين أطراف هذا الصراع. و بالعكس قد تخلق حالة الانفعال السلبية المغلفة بالكراهية صراعا مديدا أو العديد من الصراعات. و عن أسباب الصراع فتشير K. LEWIN إلى أنه يحدث نتيجة تطابق أو احتكاك جزئي بين مجالي قوتين[2]، و هو يتسم بطابع مشابه للإحباط بحيث سينجر عن هذا استجابة انفعالية سلبية و ذلك عندما تتم إعاقة تحقيق رغبة أو هدف أو فعل ما على نحو متعمد.

عن جماهير عينتنا من مناصرين لاحظنا العديد من حالات الكراهية المتبادلة بين فريق مولودية وهران أو فريق جمعية وهران و فرق أخرى بمستويات مختلفة، نتج عن هذا الكره عدوان دائم لسنوات، فمثلا مند حادثة سقوط فريق مولودية وهران التي أشرنا إليها أصبح مناصروا كل من فريق جمعية شلف و مولودية وهران يجدون صعوبات في التجمع على مدرجات نفس الملعب، حتى التنقلات من و إلى المدينتين أصبحت تشهد هشاشة و تجاوزات من حين لآخر.

[1] Cf. R. CASTEL, Op.cit.

[2] ص. بريك (مرجع سبق ذكره)، ص106.

حالة أخرى مشابهة لهذا العدوان الذي يتعدى أصوار الملاعب هي تلك المتعلقة بكل من فريقي جمعية وهران و وداد تلمسان، لقد تم تدوين العديد من الاحتكاكات سواء في المدرجات أو خارجها خلال لقاء الفريقين موسم 2018/2017، العديد من السيارات ذات ترقيم ولاية وهران تم الاعتداء عليها في مدينة تلمسان من طرف شباب متعصبون بعد اللقاء الرياضي.

بينما عن القاء الجهوي (ما يعرف بداربي الغرب) الذي يجمع بين الفريقين المعنيين بدراستنا و المنتميين لنفس المدينة (أي نفس المجال الحضري)، لقد تم تدوين العديد من الملاحظات في اللقاءات التي جمعت بين الفريقين طوال فترة بحثنا، يمكن تلخيصها فيما يلي:

- بداية اللقاءات مبرمجة بين الساعة الثالثة و الخامسة مساءا، فكان علي دوما الدخول إلى الملعب ساعة قبل اللقاء على الأقل حتى أتمكن من التموقع وسط الحشود. شراء التذاكر يكون من السوق الموازية بثمن أغلى بسبب الازدحام حول الكشك الوحيد الذي كان يبيع التذاكر. في هذا الشأن تساءلنا: لماذا لا توفر إدارة الملعب التذاكر عبر نقاط بيع عديدة تفاديا للزحام و حالة الفوضى و سرقة الجيوب؟
- غالبا ما تجد مجموعة كبيرة من الشباب الذين لم يُسمح لهم بالدخول بسبب عدم بلوغهم السن القانوني الذي يسمح لهم بالدخول وحدهم إلى الملاعب و ذلك بطريقة تقريبية حين ينظر إليهم عون أمن الشرطة. ما يسبب بعض المشادات غير البارزة و ما يجعل قوات الأمن تستعمل العنف لتفرقتهم من أمام مدخل الملعب، فتجمُعهم يشكل عائقا لدخول باقي الجماهير.
- هناك أربعة مداخل إلى الملعب مفتوحة للجماهير في ملعب المولودية بينما هناك مدخل واحد في ملعب الجمعية، ما ينتج عنه ضغط كبير بسبب أهمية المقاعد التي كانت تؤدي إليها تلك المداخل (إما بغرض الجلوس في المدرجات المغطاة أو بغرض الالتحاق بأفراد مشجعي الأولتراس الذين يضمنون الفرجة و الحماس في اللقاء).

- الظاهر من عدد الجماهير الموجودة حين دخولي إلى الملعب أنهم يحظرون قبل اللقاء بوقت طويل، هذا ما أكده لي أحد الشباب حيث صرح أن الجماهير تبدأ الدخول إلى المدرجات قبل أكثر من 5 ساعات عن بداية المباراة (شيء صعب في ظل عدم توفر الوسائل الضرورية كالمراحيض...).
- حقيقة إن هذه الحالة تؤدي إلى الشعور بالتعب و التوتر قبل بداية اللقاء بسبب الظروف المناخية التي يتعرض لها المشجع (شمس، ريح، مطر...) و بسبب حجم الحشود التي ترتسم على وجوهها و طريقة كلامها ملامح تجعلك تشعر أحيانا باللاأمن.
- كان هناك العديد من الشباب اللذين يدخنون حشيش في المدرجات بالرغم من وجود عناصر الشرطة.
- الجماهير و خاصة فرق الأولتراس كانت ترسم لوحات فنية جميلة خاصة عند دخول الفريقين إلى الميدان من خلال ما يسمى "بالتيفو" و "الكراكاج" « craquage » «tifou».
- كمتتبع لحركية الجماهير و المباراة التي تدور في الميدان لاحظنا أن الجماهير تلعب مباراة خاصة بها ضد الجمهور الضيف، فمن جهة هناك مناصرة للفريق الذي ينتمي إليه الجمهور عن طريق التشجيع أو التعبير عن اللارضا اتجاه اللاعبين فوق الأرضية، و من جهة أخرى تلاحظ تصرفات و أهازيج تحمل رسالة موجهة للجمهور الآخر و أغلب هذه الأهازيج تحمل عبارات عنف، سب و شتم، تبين للآخر مدى قوة و صرامة الجمهور المقابل.

N. ELIAS يعتبر أن وظيفة الرياضة هي توفير الحرية لتلك النبضات العدوانية الكامنة في المجتمعات المعاصرة و مراقبتها، إن العنف ليس مجرد ضرورة بل هو كذلك مصدر متعة و إثارة و درجة هذه الإثارة ترتبط بدرجة العنف المتجلي عبر الحياة الاجتماعية ككل. سنجد مثلا درجة العنف مرتفعة في العصور الوسطى بسبب حالة الحروب التي كانت تعيشها المجتمعات. أما في المجتمعات المعاصرة، تلك الرغبة في إلحاق الأذى بالآخر (Anéantissement) لا تزال موجودة إلا أنها خاضعة لرقابة اجتماعية صارمة، أصبح لازما إلباسها صورة حضارية.

بهذا ابتكر الرجال صورا للمجابهة الجسدية وفق رموز دقيقة مثلما هو الحال في الرياضات التي تقصي العنف الواقعي لكنها تحتفظ بشطر من المتعة في النزال (اللقاء)، تلك المتعة سيتذوقها الممارسون كما سيتذوقها الجمهور المشاهد و تنتقل إلى المدرجات بين المناصرين. من هنا نستنتج أن هناك حاجة تكمن في السيطرة على الآخر و التي تحمل نوعا من معاني العنف، كما هناك حاجة تكمن في شعور الانتماء الجماعي[1].

إن العنف، أيا كان شكله فرديا أم جماعيا، هو لحظة مواجهة بين قوى ما، بما في ذلك في حالة العنف المعنوي. فالمسألة هي معرفة من الذي سوف يفوز في هذه المواجهة. و الدخول في العنف، حتى و إن كان لفترات طويلة، فهو يُعبّر عن تجربة مواجهة الحقيقة. هذه التجربة تنتهي بهزيمة أحد الطرفين، أو تنتهي أيضا بحل وسط، أو يمكن أن تنتهي باختفاء أحد الطرفين- أي بموته[2]. يمكن اعتبار F. HEGEL من أفضل الفلاسفة استيعابا لجدل العنف بصفة عامة، و هذا من خلال تناوله الشهير لجدل السيد و العبد[3].

فعندما تتواجه شخصيتان، فإنهما في الواقع تغامران بحياتهما في رهان المواجهة. بهذا سينتج صراع و نزاع تتحدد درجته و أهميته بحسب أهمية الموضوع المتنازع حوله، ففي نفس الميدان الرياضي نلاحظ أن الاحتكاك الموجود بين نفس فريقين يختلف حسب الرهان الموجود لدى أذهان المناصرين. مما لا شك فيه هو أن التقسيم على أساس جماعة "النحن" و "الهم" يقع في أساس التنافس التاريخي على مصادر الحياة. و يبدو أن قبولنا بالآخرين كضمير "هم" يتصل بالمعايير التي اصطلحنا على أنها خصائصنا كضمير "نحن"، بمعنى أنه غالبا ما يتم التفريق بين "النحن" و "الهُم" على قاعدة معايير اجتماعية محددة وفق معايير مشتركة.

[1] J-C. TROTEL, Op. cit, p32-35.

[2] إ. ميشو، ما المجتمع (مرجع سبق ذكره)، ص 110.

[3] (انظر) نفس المرجع السابق.

من أجل ترتيب و وضع حد لمختلف أشكال الفوضى التي تنتج عن كرة القدم، وجدت القوانين لتعطي السلطات وسيلة خاصة لأجل النضال ضد أشكال العنف اللفظي، الاستفزازات، التحريض للكراهية (، وسائل الألعاب النارية، الدخول إلى الملاعب دون تذكرة صالحة... الجناة يمكن متابعتهم و معاقبتهم إداريا (غرامات أو منع عن الملاعب). قوانين كرة القدم من خلال التغييرات التي طرأت عليها أصبحت تشدد على ضرورة تحميل المسؤولية لأصحاب القرار داخل الفرق و المسيرين، بصفتهم منظمون للقاءات كرة القدم (Diaz 2003).

إن مصطلح "الهمجية" (Hooliganisme) لم يتم التدقيق في تفسيره قانونيا بصفة واضحة تجعل ممكنا السيرة و القضاء عليه كليا (Tsoukala 2008). لذلك فإن الحدود ليست بارزة بين الأفعال الجانحة بوضوح كالاعتداءات الجسدية و الجروح أو عمليات التخريب، و بين تلك التي تعتبر منحرفة و خاضعة لسلطة تقديرية من قبل الشرطة كألفاظ السب. لقد أصبح الملعب يتجلى كفضاء تصير فيه الألفاظ غير مقيدة و مسموح بها، كمنبر ذا امتياز للمناداة بكل صراحة "لقيم" ممنوع التصريح بها اجتماعيا (Bromberger 1996). ألا يمكن القول أن سياسات السلطات الحالية تطلب من المناصرين أن يتصرفوا في الملاعب أفضل منه خارج الملاعب (الفضاء الحضري العام)؟![1].

أثناء القيام بدراستنا ضمن مجالها الحضري لاحظنا بروز مصطلح هام يدل على حالة اجتماعية هشة يتشارك فيها العديد من الشباب المناصرين، نقصد بذلك مصطلح "المعاناة" أو بالضبط ما يعرف بالفرنسية (Galère)، أي تلك المكانة أو الحالة المعيشية جد صعبة (وضعية صعبة و هشة). فمنذ سنوات 1930 و موضوع جنوح الأحداث الشبابي في الوسط الحضري يمثل واحدا من المواضيع الكلاسيكية في حقل البحث السوسيولوجي، كلاسيكي بالنسبة لعدد الدراسات، كذلك لأن الأبعاد و التصورات النظرية السوسيولوجية الكبرى كانت دائما في مواجهة مع المجتمع. من جهة سيجد الباحث في قبضته كمّا معتبرا من الأبحاث السابقة كما سيصطدم من جهة أخرى بثقل هذا التقليد و تنوع الاقترابات.

[1] S/d. A. GOUNOT, D. JALLAT et M. KOEBEL, Op. cit, p108-110.

مدرسة شيكاغو كان لها الامتياز في تقديم التحاليل في ما يخص الأزمة و اللاتنظيم، فالوظيفيون الجدد بزعامة PARSONS و MERTON أخذوا مصطلح الجنوح و الشبيبة في سنوات 1950 و 1960 و استلهموا من الأعمال المشهورة مثل تلك المتعلقة ب CLOWARD، OHLIN و COHEN. منذ تلك السنوات، نظريات التقاطع (interaction) و إلصاق البطاقات أو التهم (étiquetage)، بالخصوص MATZA و BECKER، قاموا بتجديد الاقتراب المعتاد. أضف إلى هذه الأعمال الأبحاث الخاصة بعلماء الجريمة و علماء النفس.

من هنا نستنتج أن المُعاناة (la galère) الخاصة بفئة الشباب، تنتظم انطلاقا من ثلاث مبادئ، ثلاث تفسيرات مختلفة للحالة الاجتماعية. كل واحد منها له منطقه بالرغم من انتقال الفاعلين من واحدة إلى الأخرى على شكل مُتشابك (enchevêtrement) و مُستمر: اللاتنظيم، الإقصاء و الغضب[1].

- اللاتنظيم (la désorganisation): فالشباب يُعبّر دائما عن الحالة التي يعيش فيها بكونها فوضوية، وسخة... و هذه الصفة يعتبرها خارجية عنه، ليس هو مصدرا لها، إذن لها صورتان: العالم الوسخ و المشاكل الشخصية.
- الإقصاء (l'exclusion): غير متعلق أو ناتج عن اللاتنظيم، هو ناتج عن طبيعة العلاقة بين مجموعة و بيئتها، فنجد أحيانا انتظام بين أفراد مجموعة مقصيّة، يمكن لهذا الإقصاء أن يجر بنا للحديث عن جنوح الأحداث. الإقصاء يعتبر كحالة أو إحساس يمكن أن تتسبب في نوعين من ردود الأفعال: الأول عبارة عن عزلة و ضعف يقبل بها المقصي و يعتبره كقدر. الثاني يسعى نحو "الابتكار" كما يسميه « MERTON »، لنشاط غالبا ما يكون جانح. الشباب مقصيين عن طريق البطالة، الفقر، اللادراسة، التهميش الإقامي...
- الغضب (la rage): و هو وسيلة تعبر عن شعور بالسيطرة، و ليس فقط الإقصاء. تلك السيطرة التي ليس لها وجه أو مبدأ، و التي لا يمكن أن تؤدي إلى أي حراك اجتماعي، تولد شعور غضب.

[1] F. DUBET, La galère: jeunes en survie (enquête), Ed Fayard, Paris, 1987, p99-116.

هذا ما يجعل المجتمع يعرّف في آن واحد على أنه نسق (mode) إدماج و في نفس الوقت نسق صراع و سيطرة، ككل موحّد و ممزّق في نفس الوقت أين نجد أن الفعل الاجتماعي ليس له وحدة بل يجب تفسيره على عدّة مستويات.

المبحث الثالث: نموذج التعصب الرياضي "الألتراس"

كظاهرة إضافية (un épiphénomène) إلى ظاهرة المناصرة في وسط رياضة كرة القدم نجد صورة بارزة تأخذ حيزا مستقلا نوعا ما عن الظاهرة في عمومها و نقصد بحديثنا ظاهرة التشجيع المتعصب "الألتراس"، إن الرياضة تعتبر جزءا من المجتمع و بصفتها فعل اجتماعي ستخضع لنفس التحولات و التطورات، أما التشجيع من خلال "الأولتراس" فيعتبر إجابة بطريقة خاصة للتساؤلات التي تطرحها بعض المجموعات حول المكانة التي يحتلوها داخل المجتمع، حول طريقة التأثير التي يمكن أن يمارسوها حوله و حول الرابط الاجتماعي، بخلاصة، حول المعنى الذي يمكن أن يعطوه لتجربتهم. في هذا الشأن يعتبر P. MIGNON ظاهرة التشجيع من خلال صورة "الأولتراس" كظاهرة مماثلة لظاهرة موسيقى "الروك" (rock) أو "الراب" (rap) و الكتابة على الجدران (tags)، الانتماء لثقافات فرعية، واحدة من الصور الكثيرة التي يستعملها المراهقون و الشباب لتبيان علاقتهم بالمجتمع و محاولة بناء تجربة جماعية منفردة[1]. إذن نحن بصدد الحديث عن شكل تعبيري منظم يتخذ من مدرجات الملاعب و فضاء المدينة مجالا ينشط فيه، هي ليست فوضى بل شكل ثقافي منظم، "الثقافة هي نتاج ما يصنعه الأفراد بأنفسهم، عكسها الفوضى... هي ذلك الكل من المؤسسات و الممارسات التي تتجلى من خلالها وفرة و غزارة الحياة"[2].

المشجع صاحب صفة "الأولتراس" له صورة سيئة إعلاميا، مولع (un fan) هذا المصطلح يستعمل بكثرة في بريطانيا الكبرى و ألمانيا و يقصد به ذلك الشخص الذي تحركه مشاعر التعصب الأعمى. المشجع في هذه الحالة هو ليس فقط مستهلك مفرط، مجهول و مجنون... بل هو يعشق فريقه بكل جوارحه ما يطلق عليه في إيطاليا مصطلح (tifosi).

[1] P. MIGNON, Op. cit, p13.

[2] M. BOUET, Question de sportologie, Ed L'Harmattan, Op. cit, p29.

يصرح P. DIETSCHY أنه بالنسبة لبعض المختصين في علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا، فإن الألتراس هي عبارة عن صورة محدثة للقبائل الخاصة بالمجتمعات الصناعية، هي الأخرى متفردة كالشعوب الأولى للأمازون. كما يرى البعض الآخر أن الألتراس هي سعي لخلق هوية شبابية لما بعد الحداثة[1]. في صدد تبيان الظروف العامة التي سادت أثناء بزوغ هذا النوع من المناصرة نذكر في هذا الشأن أن الفئة العاملة في سنوات العشرينات من القرن العشرين تحسنت أحوالها منذ تبني نظام عمل الثمان ساعات، و من ثم الاستفادة من عطلة أسبوعية و سنوية... كل هذا سيسمح من بروز تقاليد جديدة مقارنة بوجود وقت حر. بهذا فإن عطلة الأسبوع سمحت للعمال بمشاهدة مباريات كرة القدم.

المناصرة بولع لألوان فريق كرة قدم ما في إيطاليا أصبح يعرف باسم "التيفو" (tifo)، و هي كلمة استعملت بكثرة من قبل الصحافة الإيطالية في نهاية عشرية 1920 للتعبير عن حماس المناصرين لفريقهم.عن هذا المصطلح نبع مفهومين: (tifoso) للدلالة على المشجع، (tifoseria) للدلالة على مجمل المناصرين لفريق ما. أما أوّل تجمع للمُنـــــاصرين بصورة التيفوسي (tifosi) تأسس بإيطاليا سنة 1928 تحت تسمية (ordine delgalletto) لمساندة فريق "باري"، ثم في 1930 (ordine del Marzocco) تأسس تجمع آخر مماثل لمؤازرة "فيورنيتنا". بينما نجد شكلا آخرا من التنظيم في العاصمة الإيطالية منذ بداية سنوات 1930، نعني بالذكر "البارانزي" (paranze)، وهي عبارة عن حملات مشجعين من "روما" أو "لازيو"، و التي تتشكل حول شخصية (capo-popolo)، أي قائد الشعب، هذا الأخير يعطي أوامر يتبعها أعضاء مجموعته، كما يلتقون في مقهى يستعملونه كمقر. تجدر الإشارة إلى أن اللافتات لم تكن تستعمل بكثرة في تلك العشرية، و كانت تستعمل بكثرة في الصحافة.

[1] S. LOUIS, Ultras, les autres protagonistes du football, Editions Mare et Martin, Paris, 2017, p11.

في 18 فبراير 1934 قام أنصار "ليفورنو" في "فلورانسيا" بعرض لافتة قوية الصدى "forzalevorno"، ليعيدوا الكرّة في الموسم الموالي بعرض لافتة ساخرة ذات هدف ابتزازي: "هيا ليفرنو... انزعوا ملابس العذراء" (forzalevorno, spaglia la vergine). إن العديد من التجمعات الخاصة بالمناصرين تشكلت في العاصمة الإيطالية روما، بحيث في 1952 تكتلت تحت اسم (centro dei circoli) برئاسة (Romano Pontisso) أين صرح حول عهدته: "هدفنا الرئيسي هو تسيير التيفو أيام المباراة، و تعديل اللافتات التي تلوّن الملعب بألوان الفريق، كذلك هدفنا توفير أماكن لقاء معروفة لدى كل المناصرين الذين يتوزعون على مختلف المناطق الشاسعة للمدينة"[1]. إننا عبر عرض هذا التوثيق التاريخي لنشأة ثقافة الألتراس نحاول تقديم المكونات الأساسية للهوية التي ينتمي إليها حاليا الشباب اللذين يناصرون فريقهم تحت لواء هذا التنظيم.

حتى نفهم بوضوح أصل ثقافة الألتراس التي تبناها العديد من مناصري فرق كرة القدم الجزائريين بما فيهم مناصرين عن فريق مولودية وهران (نموذج دراستنا الميدانية لحالة ألتراس)، نرجع بالذاكرة إلى أصل الحدث و بالضبط في دوري إيطاليا لسنة 1968-1969 أين شهد تغير في سلوك بعض التابعين لمجموعة مناصرين (Milan Club Fedelissimi) بحيث أصبحوا أكثر حماسا مقارنة بباقي أعضاء المجموعة الذين يتميزون بسن أكبر و هدوء في المعاملة. فقرروا تغيير اسمهم، أين اختاروا اسما أقل تكلفة حين يتم طباعته على اللافتات، و لو بحرف أقل (commandos clan)، و كان ذلك بصفة سرّية. أغلبية هؤلاء الشاب هم من أحياء شعبية و اعتادوا التوجه نحو الملعب في قوافل تشجيعية، أين يركنون منذ سنوات في الجهة الشمالية من منعرج الملعب. في الجهة الجانبية من المدرجات تتواجد مجموعة أخرى مشابهة هي الأخرى مكونة من شباب ينتمون لأحياء شعبية، يختلفون عن باقي المشجعين عبر ارتدائهم لأقمصة

[1] Ibid, p24-34.

بألوان فريقهم، و طريقة تعبيرهم التي يعيشون بها اللقاء، عرفت هذه المجموعة توافدا متزايدا لأعضائها ليتم ترسيم تسميتها باسم (Fossa Dei Leoni) "خندق الأسود"[1].

إن هذه الأشكال الجديدة للمناصرين عبر الأبعاد المميزة للافتاتهم، حجم و شكل الكتابة عليها و تموقعهم الهام خلف المرمى، يعطيهم رؤية حصرية داخل الملعب، كذلك تسميتهم المختلفة و طريقة عيشهم لمباراة كرة القدم و خاصة ميزة كونهم لا يخضعون لنظام و قوانين النوادي. لا يمكن اعتبارها مجرد أعراض شبابية زائلة، بل العكس أصبح لهذه التجمعات الجديدة خصائص تميزها عن غيرها، إنها قطيعة دلالية ميزت بداية تغيير عميق نحو التأسيس "للألتراس". أحيانا كان الصراع بين الأعضاء الشباب و المسيرين الأكبر سنا للمجموعات التشجيعية سببا في هذا التحول و التحرر نحو تأسيس مجموعات خاصة بهم.

في 1969-1970 قام مجموعة من الشباب المناصرين لفريق "سمبدوريا" (Sampdoria) بالاجتماع في المدرج الجنوبي و يطلقون تسمية أولتراس (ultras) على مجموعتهم، هذا المصطلح دون الحرف اللاتيني (S) كان يدل على المتطرفين السياسيين، أعجبوا به فقاموا بإضافة الحرف (S) للتميّز عن غيرهم، زيادة على ذلك فإن حرف (S) هو أول كلمة (Sampdoria) ما جعل اللافتة الخاصة بهم منسجمة. ثم قاموا تدريجيا بتزويد مجموعتهم بالطبول، الرايات و لافتة بطول 12 مترا. خلال عشرية 1960، و بصفة متكررة، تم استعمال كلمة (ultras) في الصحافة الإيطالية لوصف تلك الجماهير المتحمسة بشدة، تجدر الإشارة هنا إلى أن الأصل في استعمال هذه الكلمة لدى الصحافة الإيطالية كان يرجع معناه إلى (ultra) الجزائر المستعمرة من قبل فرنسا من 1958 إلى 1962، أي تلك الحركة التي وُصفت بالمتطرفة و التي قام بها الشعب الجزائري الثائر ضد المستعمر فرنسي[2].

[1] Ibid, p35.

[2] Ibid, p37.

من هنا أصبح الملعب قطب تجميعي و وسيلة للم جزء من شباب المدينة، الألتراس يمزج بين الالتزام النضالي من جهة و التعلق بالفريق من جهة أخرى، لقد تبنى أعضاء الألتراس النظريات المستوحاة من السياسة النضالية: (brigads, commandos et ultras). مصطلح الألتراس كان يرمز في الصحافة إلى غاية 1975 عموما إلى المتطرفين لقضية سياسية ما، إلى أن تبنى الشباب هذا المصطلح ليصبح يدل على طريقة التعبير في المدرجات، طريقة مناصرة فريق كرة قدم، و التي طورتها مجموعات "التيفوسي" (tifosi) لمدة عشرين سنة و تميزت بها عن المناصرين السابقين، سواء من خلال شبابهم، أو معنى الانتماء إلى هوية الأرض الذي تمثله مدرجاتهم، اللافتات ذات الدلالة الحربية، طريقة لباس أصلية مقارنة بباقي المناصرين و إرادة في متابعة اللقاء بطريقة أكثر نشاط و إثارة.

يمكن تلخيص صفات رواد الألتراس[1] فيما يلي:

- الفئة المكونة للألتراس شبابية بل حتى يمكن القول مراهقة.
- المنعرج خلف مرمى الحراس في الملاعب هو مكانها الرئيسي، بما أن الشباب المراهق لا يملك سعر تذكرة، فالمنعرج أقل سعرا و ملائم لهم.
- عدم حصر تجمعهم في الملعب فقط بل يتجاوزه إلى الحانة، المقهى، فضاء اللعب، حديقة عمومية أو بمحيط ملعبهم. للحديث حول التنظيم المناسب للقاء الموالي، نوع الرايات المستعملة، تنشيط المدرجات، اللافتات و العبارات المناسبة... المشاركة في تنقل.
- لم يكن لهم عائدات مالية و القليل المتوفر لديهم كان من مشاركتهم الخاصة، تأسس مجموعتهم يسبق وجود مقر لهم.
- لافتة رئيسية تحمل اسمهم و تدل على منطقتهم.

[1] Ibid, p40-41.

- مكان معين في الملعب ثابت و لا يتغير إلا إذا حدثت أمور داخل المجموعة لا يمكن تفسيرها مباشرة لكون المجموعة تتصرف وفق رموز معينة.
- العلاقة بالتصرفات العدوانية تطورت مع ظهور هذا الشكل الجديد من المجموعات.

مثلما أشرنا في السابق فإن الأشكال الأولى من المجموعات التشجيعية الإيطالية (tifosi) شكلت نواة رئيسية لتأسّس الألتراس، بالرغم من ذلك فإن الألتراس تميز عنها عبر التسمية التي كانت في السابق تعبر عن المناطق الجغرافية لدى تلك المجموعات أو تنسب لأسماء مسيرين أو لاعبين أو تعبيرا للشعور المتعلق بالفريق أو حتى المطعم أو الحانة التي تتجمع فيها، بينما لدى الألتراس قام الشباب المؤسسين لتلك المجموعات (بصفة غير مقصودة) برسم نموذج جديد و حصري من المناصرة متبنيين بلاغة حربية و بالتالي شكل خاص من الهوية. الأسماء الأولى المستعملة كانت ذات طابع سياسي عسكري، (ultras/brigades/commandos) كلها شكلت التسميات الأولى للمجموعات التي تكونت في عشرية 1970، ثم شيئا فشيئا أثْرت أسماء الحيوانات تلك البلاغة و أصبح لتمثُّلات الحيوانات البريّة شعبية كبيرة نظرا لخصائصها الجسمية و السلوكية القوية، في الأخير تم الاستعانة بالقاموس الإنجليزي لإضافة مصطلحات انجليزية على تسميات الألتراس. إنها معركة طقوسية تدور أحداثها في مدرجات ملاعب كرة القدم بمشاركة إرادة الألتراس، حتى أنهم يعتبرون أنفسهم أصحاب قضية و مناضلين حقيقيين.

لماذا يتعصب الأفراد لفريق رياضي ضد فريق آخر؟ أغلبية الأخصائيين الاجتماعيين و النفسيين يرون أن للتعصب جذور ترجع إلى مرحلة الطفولة و المراهقة، حيث يكون الثمن النفسي للولاء لفريق رياضي هو كراهية فريق آخر خاصة عندما يكون هناك تاريخ طويل من العداء بين الفريقين، حيث يعتبر التعصب نوعا من التعلم الانفعالي، يتم في وقت مبكر من العمر مما يجعل من الصعب للغاية التخلص من هذه الاستجابات. مشاعر التعصب تتكون

أثناء الطفولة، بينما تأتي الاعتقادات التي تدعمها في وقت لاحق. يمكننا تلخيص نظريات علماء النفس الاجتماعي حول التعصب كما يلي[1]:

- نظريات التحليل النفسي: و هي مجمل النظريات التي تنتسب أساسا إلى نظرية التحليل النفسي "لفرويد" و التي تؤكد أهمية وجود ديناميات معينة في شخصية الفرد تمارس تأثيرها في تصرفاته المختلفة. و اعتقد "فرويد" أن التعصب دليل على الميول البشري "للإسقاط" الذي هو حيلة أو عملية تلجأ إليها النفس البشرية في حلها للصراع الدائر في الشخصية حول دافع نفسي معيّن بأن تتخلص من هذا الدافع فترميه (أي تسقطه) على شخص خارجي أو أي شيء خارجي و بهذا ترى الشخصية في ذاك الشخص أو هذا الشيء الخارجي دوافعها هي و اتجاهاتها و خصائصها هي دون أن تفطن إلى أنها دوافعها الخاصة أو اتجاهاتها و ميولها و خصائصها الذاتية. من بين النظريات المرتبطة بالتحليل النفسي و ظاهرة التعصب نجد نظرية الشخصية التسلطية، هذه الشخصية عبارة عن مجموعة معقدة من السمات التي تميز الأشخاص مرتفعي التعصب.
- نظريات التعلم: تتناول نظريات التعلم المختلفة التعصب على أساس أنه اتجاه يتم تعلمه و اكتسابه بالطريقة نفسها التي تكتسب بها سائر الاتجاهات و القيم النفسية الاجتماعية. فالتعصب يعد بمثابة "معيار" في ثقافة الشخص، يتم اكتسابه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية. و في إطار وجهة النظر هذه يصبح من السهل تفسير السبب في أن العديد من الأشخاص الذين يعيشون في ثقافة واحدة يشتركون في أشكال متشابهة من التعصب.
- النظريات المعرفية: و هي النظريات التي تعطي وزنا أساسيا "للعمليات المعرفية"، و التي تحدث لدى الأفراد في نشأة التعصب و نموه. و يمكن تصور منحنيان رئيسيان يعبران عن هذه الفئة من النظريات و هما:

[1] محمد يوسف حجاج (مرجع سبق ذكره)، ص32-56.

- نظريات السلوك بين الجماعات: تؤكد هذه النظريات على الدور الذي تؤديه العمليات المعرفية في تحديد أفكار الأفراد عن الجماعات الداخلية (التي ينتمون إليها)، و الجماعات الخارجية الموجودة في المجتمع. أي التصورات و المخططات العقلية في توجيه معالجة المعلومات عن الأشخاص و الأحداث الاجتماعية.
- نظريات أنساق المعتقدات: تقوم هذه النظرية على أساس مفهوم الجمود في علاقته بمفهومي "تفتح الذهن و انغلاقه"، و هو ما يمثل لب أنساق المعتقدات. فالشخص ذو التفكير الجامد (منغلق الذهن) لا يستطيع أن يتقبل أفكار غيره أو يتفهمها، بينما الشخص "متفتح الذهن" يمكنه أن يفعل ذلك بالرغم من اختلاف مضمونها معه.

- نظريات الصراع بين الجماعات: و هي النظرية التي تركز اهتمامها على معرفة و فحص متى و كيف ينشأ التعصب في مجتمع معين، أو ثقافة معينة أو جماعة معينة نتيجة أشكال الصراع المختلفة التي تنتج من تفاعل هذه الجماعات. إنه الاقتراب الثقافي-الاجتماعي. تفترض هذه النظرية أن العوامل التي تقود الأشخاص إلى تكوين التعصب هي ارتباطهم بصورة وظيفية ضمن جماعات، فبالانتماء إلى جماعة معينة سينتمي الفرد إلى قيمها و معاييرها لتصبح هذه الأخيرة وسيلته الأساسية في تنظيم خبراته و سلوكه.

نذكّر أن القطيعة بين المشجعين المتحمسين و بين باقي أعضاء الجمهور أُسّست (instaurer) في سنوات الستينات بالنسبة لبريطانيا ثم في مجمل أوروبا ما بين 1970 و 1980: "لا نريد أن نكون مجرد متفرجين مؤيّدين لفريقنا فقط، لكن نريد المساهمة في اللقاء أو في حياة النادي"[1]. المشجعون الحقيقيّون، "الأولتراس"، بالتسمية الإيطاليّة، يتضادون مع المتفرجين، كما يتضادون مع المسيرين الذين يقصونهم من حياة النادي (سعر التذاكر المرتفع، تسريح اللاعبين المفضلين عندهم، انهزام الفريق، تغيير ألوان البدلات...). هذا التعارض أو التضاد يمكن أن يذهب

[1] P. MIGNON, Op. cit, p16-17.

إلى حدّ الإضراب و التظاهر أو اقتحام أرضية الملعب. لقد تم تشكيل و تطوير عالم خاص بالجماهير حسب كل بلد و بدرجات مختلفة (المجلات و الجرائد)، المنتجات المُسوّقة من قبل النادي، و تلك المُشكّلة من قبل مجوعات الأولتراس نفسها (بطاقات الانتماء badges، الأوشحة écharpes، الفيديوهات vidéos، تنظيم التنقلات)، هذه الجمعيات تتنافس فيما بينها لضم أعضاء جدد و تقديم منتجات جديدة.

لأجل فهم هذا الشكل الجديد من التشجيع أو المناصرة، يجب الانطلاق من ما يعرف ب (*end*)، فثقافة ال "*ends*" لها جذورها في (*Spion Kop*)[1] لمدينة ليفربول الإنجليزية في أواسط سنوات الستينات. هناك كان يتجمهر المشجعون الشباب، العراة و المتحمسون، من أدخلوا مجموعة جديدة من الأهازيج الغنائية و وضعوا تقاليد جديدة في المدرجات (*home end* et *away end*)، أي تعريف المجال الحصري و الخاص في الملعب. تم استيراد هذه الممارسات في إيطاليا أوّلا في نهاية سنوات الستينات، ثم باقي أوروبا، لتعطي الميلاد لشكلين من المناصرة أو التشجيع: الشكل البريطاني و الشكل الإيطالي. في الشكل الأول نجد الجماهير يكتسون شعارات أنديتهم خاصة الأوشحة (جمع وشاح) و القبعات. يدفعون فريقهم بالهتاف "هجوم... هجوم" أو بترديد النشيد الخاص بفريقهم. الشكل الإيطالي هو أكثر تنظيما و مهرجاني: كل فريق كرة قدم له مئات الجمعيات الخاصة بالمشجعين، من خلال شبكات وطنية و دولية تصنع مهرجان حقيقي.

مناصري الأولتراس ملزمين بحرب، و كأي حرب هناك أعداء و أصدقاء، أعداء أعدائي هم أصدقائي و أصدقاء أعدائي هم أعدائي. تعبئة المشجعين لا تتطلب بالضرورة استعمال العنف، لكن يمكن أن يصاحبها عنف، لأن هذا الأخير يستطيع أن يزيد من حدّة تضخيم صورة القيم و الأفكار، أو لأنه وسيلة فعالة لتحويل السياق الاجتماعي (في الحالة التي تهمّنا، نقصد السياق الخاص بكرة القدم و قواعدها، لكن كذلك المجتمعات التي يرتبط

[1] هي منطقة في انجلترا تقع على هضبة، اشتهرت بسبب الحرب التي وقعت عليها في الماضي، اقتبسها المشجعون نظرا لقبوعهم في المدرجات المشابهة للهضبة، استعملها مشجعوا ليفربول في 1905.

بها). و بهذا سنجد هذا العنف يتجلى عبر: غزو لأرضية الملعب لأجل إلغاء النتيجة أو المباراة، تخريب المدرجات أو وسائل النقل، رشق الملعب أو الفريق الخصم أو حتى التعدي على المدرجات الخاصة بالمنافس. المنافسة الرمزية يصطحبها استعمال للعنف الجسدي، مثلها مثل المحركات الخارجية عن حقل الرياضة، تلك الخاصة بالتموقع الإيديولوجي، هي كذلك تُستعمل.

إذن كخلاصة نقصد بالمناصرة وفق ما يعرف بثقافة الألتراس ذلك الإنتقال من واقع المناصرة العفوية و الفردية إلى واقع المناصرة الجماعية المتناسقة، المسطرة و المتألقة[1]. بحيث بصمت هذه الثقافة، على عالم المناصرة في كرة القدم، سمات جعلتها تتميز عن ما كان موجودا قبلها من أشكال المناصرة و التي أصبحت تعدّ في صنف المناصرة الكلاسيكية أو التقليدية. لقد أصبح الفريق الرياضي وسيلة هامة لتفعيل مواقف وحدة الكيان الاجتماعي بين أفراد المجموعة، ما يستوجب على الباحث في هذا الحقل دقة التمعن في خصوصيات الروابط الاجتماعية التي تميز هذه المجموعة[2]. إننا نستنتج أن ظاهرة الألتراس تمثل ذلك التبيان الثقافي و الاجتماعي الذي جاءت لتفصح عنه هذه الحركة داخل المجتمع المحتضن لها (أين تنشط)، ذلك ما يبرره احتواء الفريق الرياضي (الكروي) الواحد على أكثر من مجموعة واحدة للألتراس رغم وحدة جوهرها (نصرة نفس الفريق الرياضي)، من هنا ستعمل كل مجموعة على أن تعبر بكل الطرق المتاحة لها عن مقوماتها و خصوصياتها و تعبر عن رغبتها في إعلاء كيانها و حقيقة وجودها.

في إطار عملنا الميداني يمكننا توثيق ما عايشناه طوال سنة 2018 ضمن متابعة نشاط مجموعة ألتراس مناصرة لفريق مولودية وهران تعرف باسم "ألتراس الأسود الملوك" (Ultras Leones Rey)، من ملاحظات مباشرة و مقابلات مع الأعضاء المنتمين لهذا الألتراس، في مجموعة من النقاط الأساسية التي يمكن ترتيبها كالآتي:

---

[1] **دحمان. م، زعبار. س، الألتراس الجزائرية من منظور سوسيولوجي بين الولاء للنادي و التعلق بثقافة المجموعة، المجلة العلمية العلوم و التكنولوجية للنشاطات البدنية و الرياضية، العدد 15 – الجزء الأول، جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم، جوان 2018، ص148.**

[2] Cf. B. FINCOEUR, M. COMERON, A. LEMAITRE et G. KELLENS, Etude du supportérisme et des manifestations de violence dans et autour des stades de football en Belgique, Rapport final d'une recherche commanditée par le SPF Intérieur et réalisée par le Service de criminologie de l'Université de Liège, Novembre 2006.

- الألترس هو أسلوب حياة، أي شخص لم ينتمي إلى الألتراس لن يفهمنا، ستظهر له تصرفاتنا كإضاعة للوقت بينما نحن نعيش عاديا، ندرس، نعمل... و ننتمي إلى الألتراس.
- الألتراس بالنسبة لأفراد هذه المجموعة يعني أن أعطي أكثر، إذا كان المناصر العادي يشاهد و يغني طوال 70 دقيقة من اللقاء في المدرجات، فنحن سنفعل ذلك لمدة 90 دقيقة، إذا فعل ذلك المشاهد العادي لمدة 90 دقيقة فنحن سنسعى و نجتهد لشيء أكثر من ذلك... المهم أننا نسعى لنقدم أقوى و أكثر ما نملك من طاقتنا التشجيعية.
- "المافيا" في إيطاليا هي عائلة، هي ليست رمزا للعنف بل هي ترمز لهيكلة و تنظيم معين، بذلك فنحن ننتظم في الألتراس وفق هذا المبدأ، أما نموذج "التورسيدا" فنقتبس منها حب المدينة و الشغف بها كما نقتبس من "الهوليكانز" طريقة تنقلهم لمناصرة فريقهم طوال الموسم فمعروف عنهم أنهم يتنقلون دائما معا فريقهم (لا نقتبس منهم عنفهم الزائد).
- الطبقة الكادحة تلقى صعوبات لتبيان شغفها في الملاعب بينما كرة القدم في أصلها وجدت للفقراء، إذن من خلال طريقة المناصرة القوية في المدرجات من قبل هذه الطبقة تسببت في إحداث ضجة للمناصرين الأرقى طبقة في المدرجات مما تم منعهم من الدخول للملعب بأوامر من الطبقة البرجوزية. إذن الشرطة منعت المناصرين من الدخول عبر تمييزهم باللباس مما دفع هذه الجماهير بتغيير لباسها تماشيا مع اللباس البرجوازي و نجحوا في ذلك كما استمروا في طريقة تشجيعهم. اضطر البرجوازيون لاستعمال طرق أخرى أبرزها رفع أسعار التذاكر لحرمان المناصرين الفقراء من الدخول، هؤلاء الأواخر لم يستسلموا بل حاولوا جاهدا فلم يجدوا سوى مدرجات المنعطف أقل سعرا نظرا لعدم وجود الظل بها و نقص الرؤية الواضحة فأصبحوا يتمركزون فيها بانتظام و سموه (curva) أي "البيت الخاص بنا"، ثم هناك من أطلق عليه البيت الجنوبي و البيت الشمالي تشبها بالفكر النازي و الفاشي (العنصرية هنا ليست بالمفهوم السلبي كلون البشرة بين

الناس، إنما بمفهومها المتمثل في حب الفريق، حب المدينة، حب البلد... فمثلا لو وجدنا شخصا يفسد في الجزائر سندافع عن بلدنا و لو بعنصرية).

- لا نتعامل مع رجال الشرطة بسبب المشاكل التي واجهتها مجموعات الألتراس مع الشرطة منذ بداية نشاطها، فكلما تجنبنا التعامل مع هذه الفئة كلما لم نجد مشاكل تواجهنا، لقد تم توارث هذا المبدأ، و الذي يعرف ب: (All Cops Are Bastards :ACAB)، أي "جميع رجال الشرطة أوباش".
- شرف الألتراس يكمن في اسمنا، في رايتنا "الباش" (تلك الراية العريضة التي تحمل اسم مجموعتنا) التي يجب أن نحافظ عليها مهما يكن. نحن مجموعات الألتراس بيننا كالعائلات موجودين في كل مكان و يجب علينا أن نحافظ على شرفنا.
- فريق كرة القدم يمثل مدينتنا التي نضحي لأجلها، فأي شيء له علاقة بمدينتنا نناصره و نتعصب لأجله. نتواجد بقوة أثناء مباريات كرة القدم نظرا لشعبيتها.
- كنا متفرجين ثم أصبحنا مناصرين ثم أصبحنا مشجعين لنصل في الأخير إلى درجة الألتراس. المتفرج يشاهد متعة كرة قدم، المناصر يهتم بأمور فريقه و نتائجه و يتأثر نسبيا لخسارته، المشجع يحب فريقه و يتنقل معه في خرجاته بينما ينتقده حين يخسر و يسبه، أما الألتراس يقف مع فريقه في أي ظرف، في أي مكان مهما كانت النتائج، ما يهمنا هو تقديم إضافة للفريق.
- نظرتنا لفريق مولودية وهران هي نظرة انتماء إلى مدينتنا التي هي بلدنا، كرة القدم في وهران هي كذلك لعبة فقراء أي لعبة شعبية، تأسس هذا الفريق ليثبت وجود الشعب الجزائري الذي كانت فرنسا تسعى لتطمس هويته.
- مولودية وهران هو إرث، نفس المبدأ في الدين، فحين يولد الإنسان يولد على فطرة فأبواه يعطياه ديانة، انتماءنا لفريق مولودية وهران عرف نفس المنطق، منذ سن الثلاث سنوات و نحن ندخل الملعب مع آباءنا.

الحي الذي نشأنا فيه هو كذلك أثر علينا حي شعبي كله يتكلم إلا عن مولودية وهران سيؤثر في ميولنا أكيد.

- دخلنا إلى الملعب وراثيا ثم أصبح دخولنا حبا ثم تحول سبب دخولنا إلى عشقنا للفريق.
- أول ألتراس في وهران هو ألتراس "ليوناس راي" و هذا بشاهدة جميع المناصرين و لو كانوا من مجموعة ألتراس أخرى.
- لا نريد أن نتفرج على مباراة كرة قدم، نريد أن نعطي إضافة في المدرجات، في بيتنا الموجود في المنعرج و مع أعضاء الألتراس الآخرين. حتى حين يتم حرمان الجماهير من دخول الملعب فإن مجموعة الألتراس الخاصة بنا دائما تنتقل مع المولودية، نبقى عند مدخل الملعب لنقف قرب فريقنا.
- مهما كانت كلفة المناصرة سنفعل ما بوسعنا لنجد موارد مالية، نحن بيت واحد ننصهر و نقف مع بعضنا، دون ادّخار أي جهد.
- طرق تشجيعنا تتميز عن غيرنا، نغني دون توقف، كلمات الأغاني نستوحيها من تاريخ فريق المولودية، نستوحي من غناء الراي لنعبر عن رأينا. قبل المباراة نلتقي لنجهز أنفسنا، في الملعب يجب أن نكون أول من يدخل للمدرجات، هناك منا من لا ينام ليلة اللقاء بسبب الحماس.
- أي مناصر يشجع فريق آخر لا يهمنا تاريخه، نعرف تاريخه و ندرسه قبل اللقاء، حين مجيء الفريق الخصم إلى المدينة فهو يهدف لربحي لذلك فلن نقول له مرحبا بك، إن تعدى حدوده نحو مدينتنا فمن واجبنا حماية مدينتنا و التصدي لأي خطر نحوها بأي طريقة كانت. أما حين انتقالنا إلى مدينة أخرى في لقاء كروي فسنسعى لتحدي مناصري الفريق الخصم، التحدي يكمن في تعليق الأعلام و الرايات، ترديد الأناشيد و لو كان عددهم أكثر منا.

- العدو الأول بالنسبة لنا هي أجهزة السلطة الأمنية (الشرطة)، يقمعوننا و يمنعوننا من التعبير عن حالتناو عن ما نعيشه حقيقة. مثلا في مكان جلوسنا في منعرجنا يدخل أفراد إلى مكان جلوسنا قبل المباراة و يرشون الماء حتى لا نجلس في أماكننا. أضف إلى ذلك أنهم يطلبون منا نحن فقط دون باقي الجماهير تقديم بطاقة التعريف الوطنية بينما هذه الأخيرة غير إجبارية للدخول إلى الملعب. يغلقون باب الدخول إلى منعرجنا حتى يكون عددنا ناقصا و لا نستطيع إيصال رسائلنا التي تزعج النظام أحيانا، فنحن نصرح بما هو كائن.
- يمكن القول أن ألتراس "ميغا بويس" (Mega Boys) المناصر لفريق مولودية سعيدة يعتبر كأول ألتراس رسمي تأسس في الجزائر و ذلك سنة 2007، نحن ألتراس "ليونس ري" تأسسنا سنة 2009.
- من بين العوائق التي نواجهها هي ارتفاع سعر التذكرة، نحن فقراء فلماذا يرفعون السعر؟ لا يوجد مراحيض، لا يوجد أقل المتطلبات التي نحتاجها...
- تنظيمنا يشبه تنظيم العائلة لدينا قائد يمثل دور الأب في العائلة، و لدينا أخوة كل ينشط وفق نمط يريده، منا من يتقن كتابة الأغاني، منا من يتقن الكتابة على اللافتات...
- "الباش" هو شرفنا، هناك أفراد يتم تعيينهم لحمايته، هم غير معروفين و مهمتهم تعليق "الباش" في الملاعب و صيانته و المحافظة عليه، في ما يخصنا "الباش" الذي يعنينا يحمل رمز الأسد لما يعنيه هذا الحيوان في ثقافة مدينة وهران و لما يعنيه في السلسلة الحيوانية بصفة عامة. يوجد مجموعات أخرى حملت تسمية الأسد إلا أن أسدنا يبقى الملك فوق جميع الأسود. كما هو معروف أن الأسد لا يعيش في الغابة، فإذا كانت الجزائر غابة فنحن الأسود لا نعيش في الغابة بل نعيش في مدينة وهران.
- نلتقي في مكان يسمى "العرين" أين نجتمع و نرتب أمورنا، نحن منظمون يمكننا التجمع بأعداد كبيرة في عريننا، نتكلم بنظام، يوجد لكل شخص وظيفة و نحن عائلة واحدة.

- "ليونس ري" بها أفراد و قائد الذي هو أب المجموعة (cappo) حين يرى نفسه غير قادر على القيادة يجتمع مع ركائز المجموعة ليتنازل عن القيادة لعضو آخر تراه المجموعة لائقا للمنصب.
- لدينا معدات أخرى من بينها القميص الخاص بالمجموعة، أدوات الغناء و الموسيقى، الأعلام و الرايات و على كل شخص منا أن يحافظ على هذه المعدات. و للتذكير فإنه منذ 2009 و نحن نواجه صعوبات لإدخال معداتنا للملعب، الآلات الموسيقية يتم منعها، الرايات يتم مراقبتها قبل أي لقاء و أحيانا يتم منعها. لكننا لا نمل، نستعمل كل الطرق للتعبير عن رأينا و إن وصل بنا الأمر إلى العنف كآخر حل.
- حين يتم قلب "الباش" (الذي هو شرفنا) فهذا يعني أننا لسنا راضين على النتائج، أو معاملة الشرطة لنا، لكننا لا نتوقف عن التشجيع أبدا.
- اللونين المفضلان عندنا هما اللون الأحمر الذي يرمز للون الفريق، و اللون الأسود الذي نرتديه حين ننتقل خارج مدينة وهران، اللون الأسود هو اللون الوحيد الذي يؤثر في باقي الألوان و لا يتأثر.
- الألتراس لديه أعداء كثر، بما أننا نكون معرضين في الملعب أمام الكل و من بينهم الأعداء و الإعلام، أحيانا نستعمل أحيانا هذه الطريقة لتجنب ظهور وجهنا، إلا أننا لا نستعملها إلا قليلا لتفادي المشاكل لأعضاء مجموعتنا مع رجال الأمن.
- "التيفو" هو عمل و رسالة مرسومة، تختلف في ألوانها و موادها يمكن تصنيفها في خانة الإبداع الفني، يحضر في سرية فلا يجب أن يعرف مضمونه قبل أن يعرض في اللقاء، لأننا نعرضه في مدرجات ملعبنا، فإذا تم كشف مضمونه قبل اللقاء فهذا يعني أننا لم نتمكن من حماية شرفنا في بيتنا فمن الأفضل إلغاؤه تماما.
- ما يمكن أن يفرقنا نحن أعضاء ألتراس "ليوناس ري" عن فريقنا مولودية وهران هو الموت فقط.

في أخير القول، يمكننا أن نعبر عن الألتراس الذي عملنا معه كنموذج خاص، لا يمكن القول بنموذجيته، أي أننا أمام حالة خاصة و لو تكررت في نفس المجتمع، ألتراس "ليوناس ري" يقتبس فكره من منظومة عالمية حقيقة، هي نفسها التي يقتبس منها مجموعات الألتراس الآخرين، إلا أننا نلمس البصمة الخاصة به عبر تفاصيل أفراده اللذين يختلفون و يتنوعون في منشئهم، فمنهم الطلاب الجامعيون، الحاملون لمختلف الشهادات الجامعية، المهنيون، البطالون... كما يختلفون عن غيرهم في تصورهم و طريقة تعبيرهم، إلا أنهم يجتمعون تحت سقف واحد لممارسة هواية واحدة هي "العشق لفريق مولودية وهران و لمدينة وهران".

الفصل الثاني: الملاعب كفضاءات اجتماعية حضرية

المبحث الأول: المُناصر المُشجع المُنتج (الفعّال)

"استمتع باللحظة فأنت تلعب ضد المولودية..."، هي عبارة جدارية مُدوّنة على إحدى أحيُط حي "الحمري" العتيق بمدينة وهران. نلاحظ جليا عبر هذا المثال المُدوّن كيفيّة و حجم تعلق المناصر بفريقه و الصورة المقدسة التي يرسمها عنه في ذهنه لدرجة تجعله يرى أن فريقه في كفة و باقي الفرق كلها في الضفّة الأخرى. كرة القدم عبر مدرجاتها تسمح للمناصر أن ينسج مجموعة من الأدوار أين يمكن له أن يتنقل خلالها عبر تواجده في المدرجات، "إنها سلطة مشاعرية (عاطفية) قوية خاصة بكرة القدم"[1].

لقد سبق أن ذكرنا أن المناصرة في صُوَرها شاسعة المجال، تضم في مفـــهومها العديد من الأشكال لأفراد و مجموعات قضيتهم الرئيسية التي يُناصرونها هي فريقهم الذي ينتسبون إليه. أما عن طرحنا، فنحن نحاول تسليط الضوء على شكلين بارزين من أشكال المناصرة و اللذين يرتبطان بميدان بحثنا و بعينة من مدينة وهران. نقصد في هذا المبحث الشكل الأول من المناصرة، أي المشجع الفعال الذي يتميز بنشاط كثيف في مدرجات الملعب موازي مع الذي يجري على الأرضية. نستثني من هذا الشكل صورة الـمُناصر الفعال الذي ينشط تحت مُسمّى مجموعة "الأولتراس" و ينتسب لفرقة من "أولتراس" مشجع لفريق مولودية وهران، نظرا لخصوصية هذا النوع، أين سنتطرق له بالتفصيل لاحقا.

[1] J-C. TROTEL, Op. cit, p 15.

حتى تكون الصورة واضحة أكثر، سنحاول تقديم تفسير علمي لنموذج مشجعي فريق مولودية وهران اللذين جعلوا من أنفسهم مناضلين فعالين يتخذون من المدرجات، التي من المفترض أنها تُتـيح لهم مُشاهدة لقاء كُروي بين فريقين، مقاما و منبرا يأخذون عبره الكلمة ليُعبّروا عبر رسائل خاصة عن مضامين ذات أهـــداف و معاني مقصودة. إذن فالعينة التي استهدفناها هنا شملت مناصرين عن فريق مولودية وهران[1]، لنصل إلى تبيان الجزء الأول من المقارنة بين شكلي المناصرة اللذين صرّحنا بهما سابقا.

تجدر الإشارة إلى أن الملامح الأولى بصفة عامة لهذا التمييز بين شكلي المناصرة ظهرت في المجتمعات الأروبية قبل غيرها، فابتداءا من سنوات 1960 نشأت ثغرة (hiatus) بين المشجعين و باقي الأعضاء من الجماهير. طالما أن صورة المشجع انفصلت عن صورة المشاهد، أصبح من الممكن الحديث عن ظاهرة التشجيع لأن ردود أفعال المعجبين لم تعد فقط عفوية. هذا ما يشير إليه Patrick MIGNON: "لم نعد مجرد مشاهدين بسطاء يكتفون بمؤازرة فريقهم، بل أصبحنا نريد المشاركة في اللقاء، أو حتى الحياة اليومية للنادي و كرة القدم بصفة عامة"[2].

لابد من التذكير إلى أن الانتساب لفريق مولودية وهران من حيث عدد الأفراد يشهد ارتفاعا بارزا بين جمهور المناصرين العام في مدينة وهران، يمكننا الجزم أن هذا الفريق لديه قاعدة جماهيرية الأكبر في المدينة (لقد قمنا بملاحظة هذا الفارق الجماهيري مقارنة مع فرق أخرى من المدينة وهران عبر مدونات العمل الميداني). من جهة أخرى فإن الأفراد الذين قابلناهم، الممثلين لهذا الشكل من المناصرين، و المقدّر عددهم عشرون فردا يتوزعون في مقر سكناهم على أحياء مختلفة من مدينة وهران، فهم لا ينتمون بالضرورة للحي الأم الذي ينتسب إليه الفريق من حيث وجوده (حي الحمري)، بالرغم من هذا فكلهم يرون أنفسهم *"حمراوا"* مثلما يصرّحوا، أي أنهم ينتسبون لحي "الحمري" في تصورهم العام و لو لم يكن ذلك ماديّا.

[1] لأجل معرفة سبب هذا الاختيار يمكن العودة إلى المقدمة العامة للأطروحة في النص المحدد لمنهجية البحث.

[2] P. MIGNON, Faire corps: supporters et hooligans dans les stades de football,In Communication, N°67, 1988, p 45.

نشير في هذا الشأن أن العديد من الأناشيد التي يرددها الشباب تحمل عبارات تثبت هذا الانتماء:

"جاو جاو جاو... ولاد الحمري جاو..."،

"حمراوا و الشناوا خاوا خاوا خاوا..."،

"في برشلونا سقساو علينا... قالو حمراوا غناو علينا..."...

كلها أهازيج عبارات يرددها المناصرون المشجعون في المدرجات بأعلى صوت ليُبرزوا افتخارهم بحي فريقهم الذي أصبح بالضرورة حيّهم الذي ينتسبون إليه ذهنيا مشاعريّا في نفس السياق يصرح أحد الأفراد اللذين قابلناهم حين سألناه عن الحي الذي ينجذب إليه (يتعلق بـه ذهنيا) في مدينة وهران وسبب تعلقه به: *"الحمري، ثم الحمري... تم دار الجدود، هما راحوا بصح حنا قعدنا نبغوا الحمري... وين ما تجيني الفرصة نهود للحمري... درَوك راني في حي إيسطو، بصح عقلي مع الحمري... الحمري فيه جدورنا كيما الشجرة لي عندها جدور... الجمعة راني فالسوق تاع الحمري، نهار الماتش راني في الملعب... المدينة الجديدة كيف كيف كل سيمانا راني تما... المهم باش تفهم الحمري فيه حياتنا...* (**مقابلة رقم 13**)، أي أن هذا المناصر يؤكد على انتمائه لحي "الحمري"، أين كان يوجد منزل أجداده، فكلما أتيحت له الفرصة يتنقل نحو هذا الحي بالرغم من كونه يسكن حي "إيسطو"، لأنه كالشجرة التي لها جذور، جذوره هو بحي "الحمري"، أي مناسبة تسمح له للذهاب إليه يستغلها (التسوق، الملعب...)، و يلخص كل كلامه بأن هذا الحي به حياته.

من هنا نلاحظ أنه حين يتكلم الجمهور بصفة ضمير المُخاطب، ينتج ذوبان للاختلافات التي تحدد هويات الأفراد و تظهر ملامح الهوية الجماعية التي تُوحّد الأفراد كمناصرين. هنا نرجع للفكرة التي ذكرناها من قبل لنستحضر المثال الذي ذكرناه حين أشرنا إلى المحركات التي دفعت لتأسيس جمعيات رياضية أثناء فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر حين ظهرت أولى بوادر الفرق الرياضية، فلقد كان من المهم إيجاد فضاء يتيح للأفراد الذين كانت تجمعهم قضية

واحدة آنذاك، ليتّحدوا حول مطلبهم و لينسجوا هوية تسمح لهم ببسط نفوذهم و إمكانية مجابهة ضمير "نحن" أمام القوة المُستعمرة المتمثلة في ضمير "هم". حاليا، حقيقة تغيرت الظروف الاجتماعية العامة بعد أكثر من خمسون سنة من الاستقلال، إلا أن كرة القدم تظل موجودة و الجماهير هي الأخرى موجودة، أي وجود رابط اجتماعي بين المناصرين و فريقهم. بهذا فإن كرة القدم تسمح للمخاطبين من الجماهير بالتعبير عن قضيتهم (أصحاب قضية ما)، و بالتالي تضمن بقاء ضمير المتكلم "نحن" قائما.

في هذا الشأن نستعرض ما قدّمه D. MORRIS Desmond في مؤلف كتاب "The Soccer Tribe"[1]، و الذي يمثل أحد أوّل الدراسات الأنثروبولوجية في مجال المناصرة، فالباحث يؤكد أن مباراة كرة القدم تُنسق (Synthétise) عالم رمزي، صراعي أكثر منه ديني، أين يحاول المناصرون من خلالها توليد تنظيماتهم العقائدية. أما فيما يخص القضية الدينية فيصرح MORRIS: "من المهم التذكير مرة أخرى أنه ليس هناك أي شك في المعنى و البعد الديني لمباراة كرة قدم. بمعنى آخر فإن المباريات بالتحديد قد عوضت – لدى شـــطر كبير من الأفراد – الوظائف و التجمعات الدينية السائدة قديما"[2]. بالنسبة ل MORRIS فإن المناصرة حاولت التجلي بشكل من القبلية (Tribalisme)[3]، أين يُشكل الصراع مكانة هامة لكن دون أن يتجلى بالضرورة على شكل عنف بصورته الوحشية. في أغلب الأوقات ينتشر الصراع بطريقة رمزية، كما أن المجابهات المحتملة هي مُرمّزة (codifiés)، ليتمّ اقتباس العنف و جعله أليفا (domestiquée) عبر نمط عقائدي. بعبارات أخرى، مجموعة المشجعين تشكل قدر الإمكان من القبائل (tribus) بصورة تنافسية الواحدة ضد الأخرى، و يصبح الصراع هو المعيار الاتصالي.

[1] Cf. D. MORRIS, The Soccer Tribe, Ed Jonathan Cape, Londres, 1981.

[2] Ibid, p 23.

[3] حيث يصرح المؤلف MORRIS في نفس المرجع السابق ذكره (ص 8) أن كل مركز نشاط كروي – كل نادي كروي – هو منظم على شكل قبيلة صغيرة، متعلق بمجال قبلي، بأسلاف القبيلة، بالسحرة، بالأبطال و أيقوناتهم، إلى غاية باقي أعضاء العشيرة. من خلال الولوج إلى عالمهم (المناصرين) أحسست نفسي كمكتشف للماضي يحاول الكشف لأول مرة عن ثقافة بدائية.

أثناء ارتدادنا لملعب فريق مولودية وهران طوال فترة بحثنا، لاحظنا جليا في عديد المناسبات كيف يمكن أن تتحول علاقة المُناصرة البديهية التصور نظريا إلى علاقة معقدة و متطورة ميدانيا. المناصر المشجع يملك "رصيدا اجتماعيا" يُمثل ما يحمله هذا المشجع من أفكار، عواطف، تجارب حياة اجتماعية، مبادئ، أهداف و غايات عامة و خاصة... هذا ما لخّصناه في مصطلح "الرصيد الاجتماعي" للمُناصر. في هذا الشأن حين وجهنا تساؤلاتنا لأفراد عينة المقابلات عن سلوكهم قبل، أثناء و بعد المباريات، صرّح أحد الشباب قائلا: *"... كيما قلتلك أخي، نهار تلعب المولودية تلقانا زاهيين... قاع السيمانا لي قبل و حنا نتخيلوا في نهار الماتش كيفاش يفوت... الهدف هو الربح قبل كل شيء، بصح كاين تاني واحد الرشقة كي ندخلوا للملعب و نشوفوا صحابنا، نريحوا في قنتنا و يدخل الفريق للأرضية و تبدا المقابلة... حنا زاهيين مع الماتش، نغنوا، نعبروا، نشجعوا الفريق يكون يقارع في الدعم تاعنا، نسكتوا الجمهور الضيف... المهم نهار ماشي عادي، تحسب عندنا غزوة..."* (**مقابلة رقم 16**). أي أن فكر الفرد المشجع لفريق مولودية وهران ينصبّ نحو المباراة المحددة نهاية الأسبوع غالبا، يفكر و "يتخيل" كيف ستنتهي نتيجة المباراة و كيفية الفوز على الفريق الخصم، كما يوجد شيء آخر موازاة مع كل هذا، هوا ذلك الإحساس (الرشقة كما سماها) حين يقترب يوم اللعب، الدخول للملعب، الجلوس رفقة الأصدقاء في الركن الخاص بهم، ثم يدخل الفريق إلى أرضية اللعب لتبدأ المباراة... الزهو، الغناء، التشجيع لدعم الفريق و إسكات الجمهور الخصم... إنه بحسبه يوم غير عادي، يشبه يوم غزوة (بالمفهوم العربي الديني العاميّ).

إذن و بغض النظر عن كونها رمز للعالمية، تعتبر كذلك كرة القدم كرابط (أو وسيلة ربط) بين الهويات الوطنية، الجهوية أو المحلية مثلما يؤكد ذلك العديد من المختصين اللذين لاحظوا هذه الميزة (Dunning 1996، Lanfranchi 2002، Boniface 2006، De Waele Husting 2008). نجد مثلا في صورة المجتمع، يمكن للرياضة أن تتأثر بعديد المظاهر ذات الصلة بالحياة الاجتماعية كالعنصرية، هذه المظاهر ليست سمة خاصة إلا بالمشجعين. فتأويل مظاهر العنصرية و كره الأجانب (xénophobie) في حقل كرة القدم يدور

حول أطروحتين: الأولى "وظيفية"، تجعل من معاني التصرفات قضية نسبية و تؤكد أن كل هذا يندرج في إستراتيجية الإثارة و الاستفزاز المبني على لعبة مسرح تحمل رسالة خاصة بالمواجه الكروية (Bromberger). أما الثانية فتنسب رسائل الكره التي تنتقل بين بعض (مجموعات) الأنصار إلى بعد أكثر منه إديويلوجي و ذا معاني أبعد عن المنافسة الرياضية "العديد من المشجعين مهووسين بالبحث عن السلطة التي يمكن الحصول عليها من خلال علاقة المساواة التي توفرها الرياضة بين المتنافسين. "إن الملعب يعتبر كفضاء مميز للتنشئة الاجتماعية، خاصة لأولئك الذين لا ينتمون مسبقا لجماعات مكونة"[1]. هذا تذكير بدور كرة القدم (وسيلة ربط) في جمع الأفراد حول مطلب (أو مطالب) ما، لسنا بصدد وضع خط تحت ظاهرة العنف ذات الصلة بكرة القدم (سنتحدث عن ذلك لاحقا)، إنما لتأطير فكرتنا التي استنبطت من الواقع الميداني.

وجب التذكير كذلك في تحليلنا لجانب مهم متعلق بمسار فريق مولودية وهران منذ تواجد بطولة وطنية لكرة القدم بعد استقلال الجزائر و تواجده في هذه البطولة. إن كلّ من قابلناهم من مشجعين لهذا الفريق يدركون و يصرحون أن فريقهم يعتبر من بين الفرق القلائل على المستوى العالمي التي حافظت على بقائها في البطولة الأولى لبلدها باستمرار، لولا تعثر الفريق موسم 2007-2008[2]، أين قام المناصرون حينها بأعمال شغب بقيت راسخة في تاريخ النادي (سنتطرق لهذا الحدث في الجزء الثاني من الأطروحة). لقد ولّد ذلك الحدث شعورا بالكراهية أمام الفريق الخصم "جمعية شلف" الذي كان سببا في سقوط فريق المولودية الوهرانية (حسب رأي الجماهير المناصرة للمولودية بحيث لم يكن فريق جمعية شلف بحاجة لنتيجة التعادل).

[1] J-C. TROTEL, Football je t'aime... moi non plus, Op. cit, p 27.

[2] مثلما هو متعارف عليه في قانون بطولة كرة القدم، و في نهاية الموسم الكروي ببطولة الدرجة الوطنية الجزائرية الأولى سنة 2008، تعيّن على ثلاث فرق التي تحتل المراتب الثلاثة الأخيرة بين باقي الفرق الأخرى أن تسقط إلى بطولة الدرجة الثانية. حينها تعلق الأمر بكل من فريق "ألمبي العناصر" من العاصمة، فـــريق "وداد تلمسان" و فريق "مولودية وهران". جماهير هذا الفريق الأخير (المولودية) لم تتقبل الوضعية و قابلت ذلك الرفض بمجمـــوعة من أحداث الشغب التي شلت الحركة العامة للمدينة لما يقارب الأسبوع (يمكن أن نجد مقالات في العديد من الجرائد تتحدث عن هذا الحدث).

إذن ما نود التذكير به هو ذلك الشعور بالانتماء لفريق ثابت المستوى، لا يعرف تغيرا في مستوى البطولة التي ينشط بها، لقد تساءلنا من قبل عن كيفية رسم خط فاصل بين المشجعين و المتفرجين، فمن الصعب التمييز بين الصنفين في حال تحقيق الفريق باستمرار لنتائج جيدة، سيستعصي معرفة المشجعين الذين سيستمرون في التشجيع في حال تغيّر مستوى و نتائج الفريق و حشود الجماهير الذين يفضلون مشاهدة اللقاء لأنه ممتع، كذلك من الصعب معرفة الأفراد الذين سيبقون مشجعين إن واجه فريقهم تعثرات. في هذا الشأن تساءل P. BARTOLUCCI في أطروحته – التي تعتبر في بحثنا مرجعا ذا بعد تفكيري رئيسي – عن سبب ارتباط مشجعي كرة القدم بشيء آخر عوض البعد المتعلق بالنتائج الرياضية، انطلاقا من الملاحظة المتعلقة بالفرق غير مستقرة المستوى و التي تولد جماهيرها هيجان أكبر من تلك المرتبط بفرق ذات الشهرة. كيف نفسر موقف هذه الجماهير التي تستمر في دعم فريق لا يلعب أكثر من ما يلعب؟[1] بالنسبة لفريق مولودية وهران فبالرغم من ثبات نشاطه في البطولة المحترفة الأولى طوال فترة بحثنا، إلا أننا لا حظنا أن الجماهير دوما ما تعبر عن عدم استقرار الفريق في مستوى ثابت، أي أنها غير مقتنعة بنتائج الفريق طوال الموسم الكروي. لكن ما نؤكد ملاحظته هو ديمومة دعم المشجعين لفريقها بالرغم من عدم اقتناعهم بمستوى فريقهم في العديد من الأحيان. بهذا تتأكد متانة العلاقة بين الجماهير المناصرة و فريقها.

[1] P. BARTOLUCCI, Op. cit, p 16.

المبحث الثاني: المُناصر المُشاهد المُستهلك (المُشاهد)

"الأستاذ لا يسُبّ تلامذته... الجمعية مدرسة في القمّة..." ، هي كذلك عبارة لأحد مناصري فريق الجمعية مدوّنة في منشور على حائط صفحة تواصل اجتماعي (فيسبوك). نلاحظ من هنا مدى الترفع الذي يتصوره هذا المناصر أمام باقي الفرق الأخرى التي يواجهها، إنه يُشبّه فريق الجمعية بالمدرسة المرموقة، المناصرون فيها أساتذة لا يُجرّحون تلامذتهم. كذلك نلاحظ عبر هذا الخطاب ملامح طرحنا القائل بمقارنة شكلين من جماهير كرة القدم المُناصرة، هنا المناصر المفترض مشاهدا أكثر منه مشجعا، يُذكّر أنه ذا صفة نبيلة، بحيث طالما تميّز فريق جمعية وهران في مساره التاريخي باهتمامه بتكوين اللاعبين منذ فئة الأصاغر و نشاط العديد من لاعبيه اللذين كوّنهم في مختلف الفرق الأخرى لاحقا. إذن فحتى الجماهير المناصرة تتبنى هذه الصفة و تحاول أن تكون مدرسة هي الأخرى عبر المدرجات.

نود الإشارة إلى أنه غالبا ما تم التطرق لموضوع المناصرة من زاوية العنف الزائد الذي ينتج عند الجماهير المناصرة، أي بعبارة أخرى لم يتم الاهتمام بالجماهير ذات الصفة الهادئة (و لو نسبيا)، التي تفضل المشاهدة أكثر من "التشجيع الفعّال"، لذلك ارتأينا أن نلقي النظر على هذا الشكل طالما هو موجود في حقل دراستنا أي لدى الجماهير المناصرة المنتمية للفضاء الحضري لمدينة وهران، لنؤكد مرة أخرى تأصُّل دراستنا بين باقي الدراسات السابقة المعنية بهذا الشأن من الظاهرة الرياضية. "نظرية MARSH. P[1] تعتبر من أوائل النظريات التي اعتبرت أن مناصري كرة القدم يمتلكون عالمهم الخاص بهم، أين تتشكل الهويات و تتبادل القيم. بغض النظر عن ظاهرة العنف، أصبح من الممكن طرح إشكالية المناصرين بصفة عامة، و تفسير التعابير التصورية بواسطة مقاييس متعلقة بالعوالم الثقافية الخاصة بها"[2].

[1] Cf. P. MARSH, E. ROSSER, R. HARRE, Le regole del disordine, Ed Giuffrè, Milan, 1984.

[2] P. BARTOLUCCI, Op. cit, p 33.

نرجع بتفكيرنا مرّة أخرى إلى ما قدمه P. PREVOT في مذكرته المعنية باقترابات الهيئة الرياضية في الجزائر[1]، حين اعتبر أنه تكاد تخلو الرياضة من مجال اللعب بسبب كثرة تقنينها، تنظيمها التقني و تجهيزها. فكُرة القدم في بنائها عبارة عن مزيج بين اللعب و الرياضة، هذا البناء ينعكس بالضرورة على تصور جمهور المناصرين اللذين يهتمون لشأن هذه الرياضة/اللعبة. G. MAGNANE يطالب هو الآخر بإبراز المكانة المبنية على اللعب ضمن الرياضة المعاصرة، فيعتبر أن ما يميز الرياضة عن اللعب هو كونها تُسجل في نظام "إجباريات و ضغوطات". ليس هناك مكان لضبط قواعد على المقاس، أما اللعبة فتضمن احترام بعض المبادئ[2]. تظهر من هنا فكرة التمييز بين اللعب (الترفيه) و الممارسة الرياضية (الجد)، فمنذ بدايات "عمليات التهيئة الرياضية"، أو كما يسميها BROHM "عمليات الإنتاج الرياضي"[3] للدلالة على عملية المأسسة، التعميم و التوحيد الرياضي، تمّ التفريق بين ما هو جدّي و ما هو استعراضي ترفيهي.

نحن بهذا لا نجعل من كرة القدم موضوعا ثانويا لدى فئة جماهيرية ما، بل نؤكد تنوع المنعكسات الاجتماعية بالرغم أننا أمام نفس الموضوع و بيئة الموضوع. أي أن الرياضة و لو تكونت من جزء ترفيهي تضل تعتبر بالمقابل كمفصل، رابط اجتماعي و تمثُّل ذا معنى للمجتمع. هي "فعل اجتماعي غالبا ما يعكس ظواهر المجتمع أين يمتزج الاجتماعي، السياسي، الاقتصادي و الثقافي..."[4].

يتميز C. BROMBERGER بكونه واحد من الباحثين النادرين الذين أنجزوا دراسة ميدانية دولية شاسعة: في مرسيليا، نابلي، تورينو و حتى بلد إيران. يصرح BROMBERGER في هذا الشأن: "إذا كانت كرة القدم ملجأ افتراضيا، لمجموعة متنوعة، و بروعة من احتمالات التحديدات، تسمح لمختلف الأفراد بمعرفة ذاتهم و معرفة بعضهم، فهي توفر نافذة واسعة من الملكيات التي تلتقي في عدد من المتغيرات. بصيغة أخرى، بسبب هذا التنوع في الخصائص

[1] Cf. P. PREVOT, Op. cit.

[2] Ibid, p 24.

[3] Ibid, p 103.

[4] T. REHAIL, Op. cit, p 26.

البنيوية، و ليس للوظائف البسيطة التي نلبسها إياها، فإن كرة القدم تستعير لإنتاج المفرد انطلاقا من العالمي"[1]. أي أن موضوع رياضة كرة القدم يشكل أرضية تلتقي فيها مختلف الثقافات و العقليات بصورتها الفردية لتنتج في الأخير صورة عامة جماعية تمثل جماهير معينة بصفة معينة.

"حنا أنصار الجمعية نعرفوا مليح كرة القدم... بغض النظر على الفريق نتاعنا... نعرفوا التقنية تاع اللعبة... ما ندخلش للملعب باش نقعد ننبح... نرياجي مع اللقطة، نصفق، نزقي كي تكون كاينة سبّة، نسكت كي ما تكونش كاينة لقطة... المهم باش تفهمنا، حنا نشجعوا كلاسيك... بالرغم من وجود فئة تاع شباب يحوسوا يقلدوا في التشجيع كيما جماهير أخرى..."، تصريح مناصر عن فريق جمعية وهران (**مقابلة رقم 27**). يؤكد هنا المبحوث أن حُبّه لفريقه لا يعني أنه عليه أن يبقى يصرخ بدون سبب (ينبح حسب تصريح)، بل أن المناصرة حسبه تكمن في متابعة جمالية اللعبة و من تمّ التعبير بشكل عفوي مع مجريات اللقاء. في هذا الشأن نعرض نصا "لإدواردو غاليانو" من كتابه "كرة القدم في الشمس و الظل"، بحيث يصرح: "تاريخ كرة لقدم هو رحلة حزينة من المتعة إلى الواجب. فكلما تحولت هذه الرياضة إلى صناعة، كان يجري استبعاد الجمال الذي يتولد من متعة اللعب لمجرد اللعب. وفي عالم نهاية قرننا هذا، تستنكر كرة القدم الاحترافية ما هو غير مفيد، وما هو غير مفيد في عرفها هو كل ما لا يعود بالربح"[2].

و ما هو أكيد أنه ليست هناك أية أرباح تجنى حين يتحول الرجل، لبرهة، إلى طفل، يلعب بالكرة مثلما يلعب الطفل بالبالون ومثلما تلعب القطة بكبة خيوط صوفية: يصبح راقصا يرقص بكرة خفيفة مثل البالون الذي يطير في الهواء أو مثل كبة الصوف التي تتدحرج، لاعبا دون أن يدري أنه يلعب، ودون أن يكون هناك سبب أو توقيت أو حكم .لقد تحول اللعب إلى استعراض، فيه قلة من الأبطال وكثرة من المشاهدين، إنها كرة قدم للنظر.

[1] C. BROMBERGER, Op. cit, p111.

[2] غاليانو. إ، كرة القدم في الشمس و الظل، ترجمة صالح علماني، دار الطليعة الجديدة، بيروت، 1998، ص 6-7.

و تحول هذا الاستعراض إلى واحد من أكثر الأعمال التجارية ربحا في العالم، لا يجري تنظيمه من أجل اللعب وإنما من أجل منع اللعب. لقد راحت تكنوقراطية الرياضة الاحترافية تفرض كرة قدم تعتمد السرعة المحضة والقوة الكبيرة، وتستبعد الفرح، وتستأصل المخيلة وتمنع الجسارة. ومن حسن الحظ أنه مازال يظهر في الملاعب، حتى وإن كان ذلك في أحيان متباعدة، وقح مستهتر يخرج على النص ويقترف حماقة القفز عن كل الفريق الخصم وعن الحكم وجمهور المنصة، لمجرد متعة الجسد المنطلق إلى مغامرة الحرية المحرمة"[1].

نلاحظ أن هذا الفرق في شكل الجمهور في دراستنا ما هو إلا امتداد لاختلاف جوهري معني برياضة كرة القدم، إذن فحتى الجماهير تتموقع إما بين متابعين للعبة و التقنية الرياضية و بين جماهير مُحدثة لمهرجان موازي للذي في الملعب. فحين سألنا أفراد عينة البحث الخاصة بجماهير فريق الجمعية كانت أجوبتهم متقاربة حول متعة التواجد في الملاعب، نذكر كمثال ما يلي: *"الملعب بالنسبة لي كالمسرح، كاين الجمهور اللي يتفرج و كاين الأرضية وين تلعب المسرحية... أنا ديمن نحوس على الفرجة اللي تخليني نحس المتعة... خصوصا كي نكون مع صحابي... ديمن تلقى الفرحة و الأمبيونص في الجماعة... بالرغم من النقائص في التنظيم أو مستوى اللعب إلا أننا ديمن مرتبطين بالملعب... ولا كيما نقولوا تراث في الفكر تاعنا"* **(مقابلة رقم 31)**، فحسب هذا المبحوث فإن الملعب يشبه المسرح، فيه حلبة تلعب عليها المسرحية و فيه جمهور متفرج، غالبا ما يدخل الملعب مع أصدقائه باحثين عن الفرجة، فالجو المرح مضمون بالرغم من نقص التنظيم الهيكلي للملعب و مستوى اللعب، في الأخير يلخص كلامه باعتبار الملعب جزءا من التراث الفكري الخاص به. نعيد ذكر الوصف المعبر الذي جاء به المؤلف "غاليانو" حين عبّر عن ما يجري في الملعب "بالمسرح"، نؤكد حقيقة إمكانية الروائيين أن يساهموا في فهم المدينة و ظواهرها مثلما أكد ذلك H. LEFEBVRE في كتابه La révolution urbainE[2].

[1] نفس المرجع السابق، ص 6-7.

[2] Cf. H. LEFEBVRE, La révolution urbaine, Ed Gallimard, Paris, 1970.

قبل الحديث عن مسرحية المدرجات من حيث تمثيلها للمجتمع العام للمدينة نؤكد أن اللاعبين هم كذلك يعتبرون ممثلين بارعين في المبالغة أو التأثير على مجريات اللقاءات، يكتب "غاليانو" في شأن موضوعنا هذا ما يلي: "اللاعبون يمثلون بأرجلهم في عرض موجه إلى جمهور من آلاف أو ملايين المتحمسين الذين يحضرونه، سواء على المدرجات أو في البيوت، و أرواحهم معلقة بطرف خيط. من الذي يكتب النص؟ أهو المدير الفني؟ العمل يسخر من المؤلف. فخط تطوره يساير منحى مزاج الممثلين و مهاراتهم، و هو يعتمد في نهاية المطاف على الخط الذي يهب، مثل الهواء، حيث يشاء. و لهذا فإن حل العقدة هو سر غامض على الدوام بالنسبة إلى النظارة و الممثلين على سواء، اللهم إلا في حالات الرشوة أو الحتمية القدرية..."[1].

بهذا لاحظنا مرار في الملاعب كيف يمكن للاعبين أن يتلاعبوا بردود أفعال المناصرين أين تجد هؤلاء الأواخر يتفاعلون عبر سب و شتم و رمي اللاعبين بالحلوى التي يشترونها من الباعة المتجولين في المدرجات "كم من المسارح يوجد في مسرح كرة القدم العظيم؟ كم من المشاهد يتسع لها مستطيل العشب الأخضر؟ فليس جميع اللاعبين يقتصرون على التمثيل بأرجلهم وحدها... هناك لاعبون بارعون في غن تعذيب الآخر: يضع اللاعب منهم قناع القديس الذي لا يستطيع قتل ذبابة، ثم يبصق على الخصم و يشتمه و يدفعه و يذر التراب في عينيه، يوجه إليه ضربة مرفق صائبة على فكه، أو يغرس مرفقه في أضلاعه، أو يشده من شعره أو قميصه، و يدوس على قدمه و هو واقف أو يدوس على يده عندما يسقط أرضا، و يفعل كل ذلك من وراء ظهر الحكم، بينما حكم التماس يتأمل الغيوم التي تمر في السماء..."[2]. كل هذا يجعل من كرة القدم مولدا رئيسيا و بارزا للفرجة و المتعة و غيرها من المشاعر التي تدفع المناصر في كل أسبوع للتوجه نحو الملعب و متابعة ماذا سيحدث في اللقاء الموالي، ربما العبارة الأصح هنا هي ما يتداوله المحللون الرياضيون أن *"كرة القدم ليست بالعلوم الدقيقة"* .

[1] غاليانو. إ، نفس المرجع السابق، ص15-16.

[2] نفس المرجع السابق، ص15-16.

تجد أحيانا لاعبين يتقنون فنون ابتزاز الآخر، يبحثون بكل الطرق عن هدف واحد هو الربح،كما هناك لاعبون مثلا لا يُعلى عليهم في إضاعة الوقت الذي يعتبر أحد العناصر الأساسية في لعبة كرة القدم، "يضع اللاعب قناع الشهيد الذي صُلب للتو، و عندئذ يتدحرج مُحتضرا، ممسكا بركبته أو برأسه، و يبقى مطروحا على العشب. تمر دقائق. و يأتي المدلك بخطوات سلحفاة، إنه اليد المباركة، بدين مُتعرق، تفوح منه رائحة المراهم، يأتي واضعا منشفة حول عنقه، و حاملا زمزمية في إحدى يديه، و في اليد الأخرى شراب طبي مؤكد المفعول. و تمر الساعات و السنون إلى أن يأمر الحكم بإخراج هذه الجثة من الملعب. عندئذ يقفز اللاعب فجأة، بلوب، و تحدث معجزة الانبعاث"[1].

يبيّن J. HUIZINGA بوضوح في هذا الشأن "أهمّية الوضعيات المصطنعة للعزل في المجريات الرمزية للعب، فتشفير الفضاء في حد ذاته ليس خاص بالرياضة فقط، ما يميز الرياضة هو الطريقة التي تتبعها لإنتاج ما و التي تحاول تسجيل علاقة تملك مع "الفضاء-الطبيعة" بحسب تقسيم ما للعمل، و تنظيم سياسي معين (مركزية السلطة)"[2]. أي أنه بالرغم من تصور الفضاء الخاص بالجماهير المناصرة عبثيا أو فوضويا، إلا أنه عكس ذلك أو ربما كان جزء صغير منه على ذلك. فالرياضة هي الأخرى كانت تظهر عبثية و ثانوية في بدايتها، لكنها تنظمت تدريجيا لتصبح في صورتها الحالية.

يشير "ستيفن كونور" في مؤلفه "فلسفة الرياضة" أن الألعاب و الرّياضات هي مناورات مقيدة بقواعد، "فممارسة لعبة، أو رياضة ما ليست مجرد لعب أو تسلية أو لهو بحرية، بل هي التزام بالقواعد. و هذه القواعد ليست مجرّد وسائل راحة مصممة لجعل اللعب أكثر أمانا، أو أكثر تسلية، رغم أن هذا الأمر قد يكون أحيانا هو الدافع لإنشاء القواعد، أو تعديلها. إن مكانة القواعد في مجال الرياضة متفردة جدا. فالقاعدة، كما أشار J. BAUDRILLARD أشد مقاومة للكسر بكثير من (القانون) الذي يمكن خرقه؛ إذ إنّ بوسعك أن تفعل أي

[1] نفس المرجع السابق، ص 15-16.

[2] P. PREVOT, Op. cit, p 21.

شيء بالقانون. أما مع القاعدة، على الجانب الآخر، فإما أن تلعب وفقا لها أو لا تلعب. فإذا لعبت، فإن القاعدة لا تعرف معنى التسامح، و لا يمكنك الاحتيال عليها؛ و سيكون من الحماقة خرقها"[1]. من هنا يمكن استنباط نفس المبدأ لتوسعته لدى الجماهير المناصرة لرياضة كرة القدم، فهي الأخرى و لو لم تعبر بقوة و ضجيج عن مناصرتها، إلا أنها تظل تحمل في طريقة مناصرتها لفريقها شكلا خاصا بها، ينتمي بدون شك لظاهرة المناصرة.

من خلال هذا المبحث سنحاول كذلك المقارنة بين نموذجي العينة الرئيسيين لتبيان أوجه التداخل و الاختلاف بينهما، و لرسم المحددات المميزة لهما بوضعهما جنبا لجنب، كأننا أمام (ديربي) مقابلة كرة قدم بين فريقي الجمعية و المولودية الوهرانيين، الملعب مجزئ لنصفين: جماهير المولودية من جهة و جماهير الجمعية من الجهة المقابة، سنلاحظ حتما التباين، في محاولة تفسير كل هذا وفق رؤية سوسيولوجية. لـمّا يُحرم الجمهور من الوصول إلى فضاء اللعب، فهو يشارك في تفاعل الفضاء، من خلال الصوت إلى حد كبير. و هناك بالطبع عامل الموقع و التجانب في الغناء و الإنشاد من قبل الحشود؛ و الغاية منهما توسعة فضاء اللعب، و الارتقاء بحظوظ طرف أو آخر من طرفي المباراة.

بالمقابل للّعبة التي تُمارس في الملعب، تمارس لعبة الصوت كذلك، في محاولة لتدمير الفضاء نفسه الذي تحدث فيه اللعبة، فيهدف الحشد إلى التشبع، و يُضخم شكل الملعب نزوع الصوت إلى الانتقال في جميع الاتجاهات، الأمر الذي يحد من حدّة الصوت، و يعظّم قوى توسعه و انتشاره. و إذ يعمل الملعب في آن واحد عمل مضخم الصوت و الأذن التي تناسبه، فإنه يُعتبر أداة سمعية تلقائية. إن الملعب يطيل الصوت و يسرع من وتيرته، فيُشجع طموح جعل الصوت ضربا من البنية الهندسية أو الكتلة الملموسة بحد ذاته، و إحداث ضجيج لسحق الفريق الخصم. و النصر الذي يهدف إليه الاتجاه – طرف مقابل طرف آخر – ليس نصر طرف على آخر؛ بل هو محو للتجانب بحد ذاته، و تأكيد للوحدة الجمعية. و يشبه هذا الحياد أو "اللاتحيز لطرف" حياد افتتاحية المباراة، المهم إلا أنه وحدة لا للخواء

[1] كونور. س، مرجع سبق ذكره، ص 185.

بل للاستيعاب. و بحسب ما جاء على لسان M. SERRES "فإن سبب الخصومة و غايتها هما شغل المكان؛ و الضوضاء تشغل المكان. و الهدف كله هو حيازة المكان أو شغله، أو السيطرة عليه..."[1] ضوضاء في مقابل ضوضاء، و ضوضاء في مقابل سلاح، فالضوضاء سلاح يستغني في بعض الأحيان عن الأسلحة... و الضوضاء تشغل المكان بأسرع من أي سلاح مهما كان. و كما في الملعب، فإن تفاعل الفضاء الجمهوري يتشكل من الرغبة في وضع نهاية للعب، و فضاء النزاع الجمهوري يُحفظ، و يتجدد بفعل الجهود المضادة للمشجعين المنافسين بغية محو الفضاء بإتخامه بالصوت[2].

لقد قمنا في هذا الشأن بملاحظة ميدانية بين جمهوري الفريقين أثناء اللقاءات المباشرة بينهما في ملعبيهما طوال فترة بحثنا، لقد كانت فرصة ميدانية لا تُعوّض، فلا يلتقيا الفريقين دوما في نفس مستوى البطولة. يمكن أن نلخص ما لاحظناه من عناصر ذات صلة بموضوع مبحثنا فيما يلي:

- شكلا ملعبي الفريقين و تموقعهما داخل المدينة مختلفين[3]، فملعب فريق مولودية وهران أوسع نوعا ما، يتسع لأربعين ألف (40000) متفرج، يحمل إسم الشهيد أحمد زبانة، يمكن أن تمارس فيه ألعاب القوى لاحتوائه على مضمار للجري كما يقع في حي الحمري. أما ملعب فريق جمعية وهران، فهو أضيق و مخصص لرياضة كرة القدم أي أنه لا يحتوي على مضمار جري لألعاب القوى، يتسع لعشرين ألف (20000) متفرج، يحمل اسم الشهيد الحبيب بوعقل.
- تنظيم المباريات لا يعرف اختلافا، فالملعبين يفتحا قبل بداية المباريات ببضع ساعات لتبدأ الجماهير بالدخول إلى المدرجات بعد مرورها في طوابير و اقتنائها لتذاكر الدخول و التي سعرها بين 200دج و 300دج.

[1] نفس المرجع السابق، ص 74-75.
[2] (انظر) نفس المرجع السابق، ص 74-75.
[3] (انظر إلى الملاحق) صور توثق شكل الملعبين و موقعهما.

- أما عن شكل المناصرة، و كما أسلفنا، مدرجات ملعب فريق المولودية يفصلها عن أرضية الملعب مضمار للجري، فتنشأ مسافة بين الجمهور و اللاعبين و بالتالي أريحية نوعا ما و نقص في الضغط لدى اللاعبين. أما مدرجات فريق جمعية وهران فهي ملاصقة لأرضية اللعب و بالتالي اقتراب اللاعبين من المناصرين ما ينتج عنه ضغط جماهيري. هذا ما صرح به أحد مناصري فريق مولودية وهران: "مين كانت تلعب المولودية في الملعب تاع بوعقل، كنا نصيطروا على الملعب و اللاعبين... فيه ضغط رهيب... يشبه للملاعب تاع انجليز... كنت نفرح مين نستقبلوا فيه المنافسين تاعنا..." (مقابلة رقم 16). أي أن هذا المناصر و أثناء استقبال فريق مولودية وهران منافسيه في ملعب الحبيب بوعقل (فترة ترميم ملعب أحمد زبانة)، كان يستمتع بالموقع الذي يوفره الملعب عبر التصاق مدرجاته بأرضيته.
- جماهير الجمعية في مجملها تتشكل من فئة شبانية بارزة و فئة المناصرين الأكبر سنا أقل نسبيا، فحسب ما دوّناه أثناء ملاحظة دخول الجماهير، مقابل كل عشرة (10) جماهير، وجدنا ثلاثة (03) أفراد ينتمون لشريحة سن أكثر من خمسة و أربعين (45) سنة، أما السبعة (07) فينتمون لشريحة سن أقل من ثلاثون (30) سنة. بالمقابل لذلك نلاحظ هيمنة شبابية لشريحة سن أقل من ثلاثون (30) سنة، فمقابل خمسون (50) مناصرا نجد ثلاثة (03) فقط ينتمون لشريحة سن أكثر من خمسة و أربعين (45) سنة.
- جماهير المولودية منذ دخولها تبدأ في حركة غليان تجعلك مشتت الذهن تحاول أن تركز في تصرفات المجموعات المكونة في المدرجات تنتظر بداية اللقاء حتى أن أعوان الأمن يتدخلون لتشتيت هذه المجموعات نظرا لتصرفها الهائج، أما جماهير الجمعية فهي الأخرى تعبر عن حركة غليان نوعا ما لكن بحدة أقل وفق نمط خطابي أقل ضجة.
- بالنسبة لنشاط المناصرين من حيث الشكل المنعكس من المدرجات فإن مناصري فريق مولودية وهران عبر الزوايا الأربعة من الملعب تنشط منذ بداية إحماءات اللاعبين أي قبل بداية اللقاء الكروي، غالبا ما نجد

حركية أقوى جهة مناصري مجموعات "الأولتراس" (سنتطرق لشكلها في الجزء الثاني من البحث)، هذا النشاط في عمومه تزيد حدّته حين دخول الإحدى عشر (11) لاعبا داخل المستطيل الأخضر ثم تصبح التفاعلات عفوية بحسب مجريات اللقاء: تصفيق للقطة تقنية فنية، صافرات استهجان ضد قرار حكم أو سبّ للاعب أضاع فرصة... أما عن الغناء فنجد الجمهور معظم أوقات اللقاء يردد في انسجام أغانيه التي تشجع فريقه أو تحط من معنويات الفريق الخصم.

المبحث الثالث: الكفاءات الخطابية الشبابية

فيما يخص فئة الشباب، نجد التعريفات المعجمية و الاصطلاحية لكلمة الشباب كمرحلة من عمر الإنسان جد صريحة، غير أنه بإمكاننا أن نميز أن الشباب هو مقولة و حكم اجتماعي أكثر منه بيولوجي، فللتغيرات الجسدية التي ينطوي عليها التطور البشري مصطلحها الوصفي الخاص، و هو البلوغ. أما عن التغيرات النفسية التي تقترن بهذا السن فتسمى "بالمراهقة"، بينما نجد مصطلح "الفتى" يشمل الأفراد الذين يتراوح سنهم من 13 إلى 19 سنة. غير أن الشباب مفهومه أكثر مرونة من هذه المصطلحات، فمعناه يستجيب أكثر للتغير الاجتماعي و يتعاطى بحساسية مع النقاش السياسي. أما عن تاريخ كلمة "شباب"، فلقد تغير من اسم مفرد إلى اسم جنس جمعي، كما تحولت كلمة شباب من مصطلح سلبي للشخص الشاب إلى مقولة اجتماعية غالبا ما تستخدم كصفة، أي أن الشباب كان يعتبر ناقصا من حيث النضج، بينما أصبح يعتبر كطريقة وجود و مؤسسة اجتماعية راسخة. إنّ هذا التحول في المعنى ينطوي على إعادة بناء موازنة لإيحاءات الشباب الإيجابية و السلبية[1].

إن مفهوم الشباب يختلط بين تفسيرين بكونه مشكلة سياسية و سوقا مثالية، لقد اعتبر الشباب على أنه تَحدّ للمعايير السائدة في الحياة الجنسية، الحياة العائلية و البيروقراطية، إذن فالشباب لم يعد مجرد مرحلة انتقالية، بل إنه يمثل التناقض الأكثر وضوحا من حيث أن الشباب مشكلة في النظام و نموذج في الاستهلاك. من هنا، فردّ الفعل المهني لعالم الاجتماع هو أن يذكّر بأن التقسيمات العمرية هي اعتباطية، ذلك أن الحدود بين الشباب و الشيخوخة في جميع المجتمعات هي رهان صراع. حالة الشباب و حالة الكهولة ليست معطيات لكنها أسّست اجتماعيا من خلال الصراع بين الشباب و كبار السن[2].

[1] م. ع. ماجي (مرجع سبق ذكره)، ص82.

[2] بورديو. ب (مرجع سبق ذكره)، ص196.

لقد تم اعتبار فئة الشباب غالبا كإحدى العوامل و الوسائل الهامة للتغيير الاجتماعي (يمكن ذكر الثورة الجزائرية كنموذج لأحدى الحركات التحررية التي قادها الشبان)، إلا أن مفهوم هذه الفئة يظل غامض. فماذا يعني مفهوم الشباب من وجهة نظر سوسيولوجية؟ هناك من يتحدث عن امتداد مرحلة الشباب أو عن مرحلة التحول و الانتقال. إذن هل يمكننا اعتبار مرحلة الشباب كسن يتم التحضير فيه للدخول في الحياة الراشدة؟ أم يجب التخلي عن فكرة النموذج الخطي العادي للمرور و الانتقال من سن و مرحلة معينة إلى سن و مرحلة أخرى، و اعتماد بدله تفكيرا يعتمد و يرتكز أساسا على الاستقلالية و الفردانية للأشخاص كما يرى ذلك F. DE SINGLY[1].

إن الفكرة الموروثة عن الأجيال السابقة، هو أن مرحلة الشباب هي مرحلة تتوسط الطفولة و السن الذي يصبح فيه الفرد راشدا، لكن الملاحظ لفئة الأعمار يجد أن مرحلة الشباب هي مرحلة أطول و تمتد في الزمن و ذلك بفعل المراهقة المبكرة و التأخر في الدخول في الحياة الراشدة. كما أن التعليم (خاصة مرحلة الثانوية) له أثر كبير، فمختلف الطبقات الاجتماعية دخلت بنسب أكبر إلى التعليم الثانوي، و في الوقت نفسه اكتشف جزء كبيرا من الشباب (بالمعنى البيولوجي للكلمة) الذي لم يكن ينفد إلى فترة المراهقة، هذه الحالة المؤقتة: "نصف طفل، نصف بالغ"، أي أنه لا هو طفل و لا هو بالغ. و هذه حالة اجتماعية مهمة جدا. من هنا سيجد المراهق نفسه في وضعية مُبهمة.

إن كل هذه الصّور المتعلقة بالشباب هي تركيب معقد للواقع المتعلق بالظروف الاجتماعية التي يوجد عليها الشباب في فترة معينة، تمثلات شخصية أو جماعية يبنيها المجتمع، و التي لها دور التعريف طالما أن المجموعة (الاجتماعية) لا تتحقق إلا من خلال فئات التصورات و التمثلات التي تتحقق هي الأخرى تدريجيا. هذه التصورات غالبا ما تخضع للتأثيرات الإيديولوجية التي هي خارجية عن الشبيبة نفسها، و التي شكلت شيئا فشيئا شريحة امتيازيه أين يتم من خلالها التعبير عن خوف و أحلام المجتمع. الشباب إذن ليس بمراهقة ممتدة و ليس هو بالضبط ذا طابع و مزاج ناقص، هو مرحلة عادية و وظيفية تحضر الولوج إلى مرحلة المسؤولية التي يمكن لها هي الأخرى أن تكون

[1] حمدوش. ر، مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة امتدادية أم قطيعة، دار هومة، الجزائر، 2009، ص171.

ناقصة الطابع[1]. فلا يمكن نسب صفة النقص إلى الفئة الشبابية حتى لا نسقط في فخ التسلط الذي يعتبره Bourdieu أنه عبارة عن وسيلة يستعملها أصحاب السلطة لتحييد الشباب عن مراكز القوة، فطالما اعتبروا منذ القدم كفئة مُتهورة تم اتهامها بالتسرع و عدم القدرة على تدبير أمورها[2].

من خلال الحديث عن هذه الفئة من الشباب[3]، سنحاول كذلك الإشارة إلى نقطة جوهرية، تشكل مُكوّنا أساسيا عند هذه الفئة، نقصد بهذا "المجموعات الشبانية"[4]. و قبل الحديث مباشرة عن المجموعات الشبانية، يجب أولا فهم و استيعاب الظروف الاجتماعية و المؤسساتية التي تبزغ فيها مختلف أشكال العلاقات ما بين الشباب، قبل أن تأخذ صورة مجموعات. و ما يتم ملاحظته من خلال الإطلاع على بعض النظريات المتعلقة بالموضوع هو وجود تفرقة بين البنية الاجتماعية و مؤسسات التنشئة الخاصة، هذه التفرقة تحمل في طياتها فكرتين أساسيتين: تُفسر بطريقة مُحوّلة المكانة الخاصة بالطفل تحت شكل نوعان من تمثلات الواقع الاجتماعي، الأولى تمثل البلوغ و البنية الاجتماعية، و الثانية خاصة، تحوّلية بمثابة مؤسسات للطفولة. من جهة أخرى هذه التفرقة تجعل من عملية التنشئة الاجتماعية كسيرورة اجتماعية[5].

[1] O. GALLAND, Adolescence, post-adolescence, jeunesse: retour sur quelques interprétations, Revue française de sociologie, N° 42-4, Paris, 2001, pp 611/620.

[2] Cf. P. Bourdieu, Questions de sociologie, Op. cit.

[3] Pour plus de détails voir :

- O. GALLAND, Sociologie de la jeunesse, Ed Armant Colin, Paris, 2001.
- C. VANDEVELDE, Sociologie des ages de la vie, Ed Armant Colin, Paris, 2015.
- G. MAUGER, Ages et génération, Ed La Decouverte, Paris, 2015.
- F. DE SINGLY, Les Adonaissant, Ed Armant Colin, Paris, 2006.

[4] A. Ferrand, La formation des groupes de jeunes dans l'espace urbain, Ed L'Harmattan, Paris, 2013, p20/30.

[5] ماجي .م. ع (مرجع سبق ذكره)، ص92.

نجد مثلا Seymour Eisenstadt[1] يقترح تحليل للمجموعات الشبانية من خلال الأخذ بعين الاعتبار للوظائف الأبوية و الوظيفة الاجتماعية، فهو يعتبر فعل التنشئة الاجتماعية كنموذج للمعاملات اتجاه أدوار توظف حسب المكانات، أي بصيغة القيم. بالتالي فإن نماذج القيم هي من تُؤمّن بقاء التضامن سواء في الفضاء العائلي أو الفضاء الأكثر شمولا للمجتمع. نجد M. MEAD[2] تحدد في هذا الشأن الفارق التاريخي للأجيال كسبب رئيسي لعدم إمكانية العائلة مدّ مجمل الأشكال الضرورية لوجود فرد بالغ. فالنموذج الذي توفره العائلة لا يتماشى مع ما يعيشه الفرد من حركية داخل المجتمع ككل، بهذا سيجعله يبحث عن نماذج جماعية.

بالحديث عن الكفاءات الخطابية التي يبرزها الشباب المنتمي إلى حيز بحثنا، تجدر الإشارة إلى أن مدرجات الملاعب تعتبر المكان الوحيد المحدد فيزيائيا (أي أنه ليس افتراضيا) الذي يُسمح فيه للجماهير التي تنتمي لمناصرة فريق ما أن تتجمع بصفة قانونية أي مسموح بها، فكما هو معروف في الوسط الشعبي راهنا أن التجمعات لأي غرض ما غير مسموح بها إلا برخصة من السلطات المعنية، ليبقى الملعب يحمل الاستثناء و الأمل لكل من يرغب في أن يصرخ بصوت عالي و يقول ما يرغب فيه. لقد لاحظنا جليا أن مدرجات ملعبي الفريقين اللذين عملنا عليهما طوال فترة إعداد الأطروحة يحملان نفس الدرجة من الحرية التعبيرية الخطابية (أي أن نفس المجال التعبيري متاح في كلا الفضاءين)، إلا أن صدى الجماهير يختلف بين فريق مولودية وهران و فريق جمعية وهران، لعدة أسباب أبرزها عدد الجماهير المناصرة لكلا الفريقين، درجة التعبأة الاجتماعية لكل فرد منتمي لمناصرة أحد الفريقين، أضف إلى ذلك طبيعة شكل المناصرة المتبنى من قبل الجماهير. من هنا تبرز قيمة أخرى تضاف لمختلف الظواهر ذات الصلة بالمدرجات ألا و هي الدلالة الصوتية و المضمون الخطابي للمناصرين.

[1] A. Ferrand, Op. cit, p20-30.

[2] Ibid, p20-30.

إن كل خطاب إلا وله رسالة يحملها، سواء كان الخطاب فرديا أم جماعي، إلا أنه في هذا الجزء من الدراسة سنهتم لصورة الخطاب الجماعي، أين يقوم مجموعة من المناصرين في مدرجات الملاعب بالتعبير عن رأيهم بصورة جماعية، محاولين في ذلك استغلال فرصة الفضاء الموجودين فيه و الذي كان محدد أساسا على أنه فضاء رياضي، فهو بذلك يلبس قميصا اجتماعيا للبعث برسائل وفق مبدأ تواصلي إبداعي. إن مباراة كرة القدم محددة زمنيا بتسعين أو مئة و عشرين دقيقة ثم ينقضي أجلها، بينما الرسالة الخطابية يبقى أثرها حتى بعد انتهاء تلك الفترة المحددة، "صحيح أن للرسالة وحدها وجودا زمنيا، وجودا في الدوام و التتابع، حيث يضع الجانب التزامني للشفرة النظام خارج الزمن التتابعي، ثم يصادق الوجود الزمني للرسلة على فعليتها..."[1].

لقد دوّنا في إطار بحثنا العديد من الخطابات التي كررها المناصرون في العديد من المناسبات الكروية، نؤكد مرة أخرى أن الجماهير المناصرة لفريق مولودية وهران تقدم في هذا الشأن غزارة أقوى من الجماهير المناصرة لفريق جمعية وهران، نذكر على سبل المثال النص التالي:

"كنا خاوة خاوة خاوة... يمتلو بينا فكل مكان...

ناضت لعداوة عداوة عداوة... داروها بين فلان وفلان...

مابقات لا بنة لا حلاوة... شفاو فينا دوك العديان...

ما نحكوش على زبانة... بلون إي روح يفيبري ...

فيه حنايا شعال زهينا... مضوي فيميجان عكري...

كنا نزهو كل ماتش... الكافي يروح بدوبلي...

إنشالله يروح العار... ستاد ڤاع يغني...

[1] (انظر) ب. ريكور، (مرجع سبق ذكره).

ننسو لي صار... نتفكرو يمات بكري ...

يولو موالين الدار... ولادها لي فري..." .

في هذا النص تعبير واضح مباشر، يحاول مردّدُوه أن يجمعوا مختلف المناصرين اللذين تباعدوا و يُوصلوا خطاب يرد الشمل بين أبناء البيت الواحد من المناصرين، من خلال نسيان المشاكل الماضية و الاتحاد لأجل فريق مولودية وهران، فهم بهذا يحنّنون لأيام يروها جميلة قد مضت و يتمنون لو ترجع روح المناصرة مثلما كانت في الماضي.

لا ننسى أهمية الدلالات الرمزية التي يحتويها المضمون الخطابي، "إن العلاقة بين المعنى الحرفي و المعنى المجازي تقدم لنا دليلا مناسبا يتيح لنا تحديد السمات الدلالية للرمز على نحو صحيح... الرمز وحده يبتعث الفكر، بابتعاثه الكلام أولا. و الاستعارة هي عنصر كاشف مناسب لإضاءة الجانب المبهم من الرموز و الذي له مساس باللغة"[1]. نحن بهذا نحاول ربط تلك الخطابات بالتصرفات العامة للجماهير داخل اللقاءات الكروية، إنها سيكولوجية جماهير، فمصطلح الجمهور يتخذ معنى آخر مختلفا تماما من وجهة النظر النفسية. ففي بعض الظروف يمكن لتكتل من البشر أن يمتلك خصائص جديدة مختلفة عن خصائص كل فرد يشكله، عندئذ تنطمس الشخصية الواعية للفرد، و تصبح عواطف و أفكار الوحدات المصغرة المشكلة للجمهور موجهة في نفس الاتجاه، و حينها تتشكل روح جماعية (عابرة و مؤقتة بدون شك)، و لكنها تتمتع بخصائص محددة و متبلورة تماما. تصبح هذه الجماعة بعدها تحمل صفة الجمهور المنظم و تخضع لقانون الوحدة العقلية للجماهير[2].

بالإضافة إلى الميزة العددية التي تميز صورة الجماهير المناصرة في المدرجات (يمكن أن تصل في حالات دراستنا إلى 30000 مناصر)، نجد تلك الميزة العقلية المميزة للجمهور. فمن الخطأ أن نختصر الجمهور في حاصل متوسط للعناصر التي يتألف منها، إن جمهور المناصرين هو عبارة عن تركيب جديد و خلق لخاصيات أو ماهيات جديدة. فقانون الوحدة العقلية للجمهور يشتغل وفق نمط كيميائي، لا نمط فزيائي، تماما كما يحصل في التفاعلات

[1] (نفس المرجع السابق).

[2] غوستاف. ل. ب، سيكولوجية الجماهير، دار الساقي، بيروت، 1991، ص53.

الكيميائية، فإن العناصر المتفاعلة فيما بينها "تتداخل في بعضها بعضا و تتركب من أجل توليد مادة مزودة بخصائص مختلفة عن تلك التي كانت تتحلى بها العناصر المفردة قبل تركيبها"[1]. من هنا يسهل علينا ملاحظة مدى اندماج الجمهور نفسيا باختلاف مقارنة عن الفرد المعزول. إن المناصرين في المدرجات تندمج هي الأخرى لتتكلم بصوت واحد و تتفاعل بردة فعل واحدة ليصبح الأثر بالغا بحجم المناصرين.

أما حين احتفال الجماهير في سنة 2017 بمأوية تأسيس فريق مولودية وهران (بحيث العديد يعتبر تاريخ تأسيس المولودية في 1917/01/01)، فلقد أبدعت الجماهير المناصرة خاصة من أنصر "الألتراس" في التعبير مرة أخرى عبر خطاب يحكي عن عظمة الفريق ممزوج بتذكير المعاناة التي يعيشها الشباب اجتماعيا وفق منظوره، فيما يلي نص الخطاب:

"ألو ألو عيطو لبومبيا... فروندمار راه بيان فلو...

علا جالها نشعلو الدنيا... علا جالها عيشين سولو...

حمرا نبغوها غير هيا... خلي يقولوا لي يقولوا...

الصحافة تزومي فالكاميرا... في وهران ماشي ميلانو...

ولاد الباهية حاجة خطيرا... روزونير إن إيطايو...

العديان خليناهم في حيرة... مالخلعة طاحو أجونو...

جيبو الدولة جيبو السونطرال... من كل حومة رانا جينا...

لي زوراني مالاد مونطال... و اليوم نديروا لي بغينا...

ACAB كلشي نورمال... يا سيفيل غير خطينا...

دخل علينا 2017... و العيشة ما راهي كاينة...

[1] فرويد. س، علم نفس الجماهير و تحليل الأنا، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 2006، ص11.

بغاونا نكونوا هوليكانز... في لحباس يعدوا يامنا...

ما بان والو سابي تزاڤات... ديستيناسيو راهي باينا...

نريسكي عليك حتى لقبري... ياك نتي ممو لعيون...

معاك نروح نديبلاصي... و ماشي بعيد لبرشلون...

ننسا لهموم و نديفولي... فهاد البلاد راني مغبون...".

في ما يخص المعنى الذي يقصده المناصرون من هذه البيات فهم من جهة يحاولون تبيان مدى تعلقهم بفريقهم و ما يمكن أن يقدموه من تضحيات لأجل هذا الفريق، متباهين بشعاراته و ألوانه، و من جهة أخرى يخاطبون أجهزة الأمن بتركهم و حالهم مستعملين خطاب "الألتراس" المتمثل في عدم التعامل مع أجهزة الأمن (A.C.A.B)، و أن يُتركوا هم فريقهم المفضل على أمل أن يأتي يوم يتجهون فيه إلى عالم أفضل (برشلونة) أي إلى أوروبا.

تظهر بوضوح عبر هذه الخطابات تلك القدرة على رسم المخيال الجماعي بواسطة كلمات تعبيرية و هادفة إلى إيصال رسالة ما، فالمخيال مثلما يعرفه G. DURAND هو ذلك "الظهور التمثيلي (أي تقليد للمظهر représentation) الذي لا مناص منه، و القدرة على الترميز التي تنبثق منها باستمرار جميع الهواجس و الآمال و ثمارها الثقافية منذ المليون ز نصف المليون سنة لظهور الإنسان المنتصب على وجه الأرض"[1]. إذن لأجل استيعاب مفهوم المخيال و بنيويته و وظيفته يتعين التركيز على ثلاث مصطلحات هي العلامة، الصورة و الرمز. أما الصورة فهي ذلك التمثل الذهني المرتبط بأنموذج محدد و هي الشكل الأول الذي يحتضن النشاط التخيّلي للإنسان. بينما العلامة فتعني تلك الوحدة الأساسية لنسق المعاني و الدلالات (ذلك التوليف بين المفهوم و الصورة الصوتية). في الأخير نجد الرمز الذي يمكن أن يكون إما صورة و إما كلمة، و الذي يتضمن سيرورة معقدة تتطلب إلماما شاملا بعلوم الإنسان حتى يتم إدراكها[2].

[1] G. DURAND, L'imaginaire, science et philosophie de l'image, Ed Hatier, Paris, 1994, p77.

[2] غراسي. ف، مدخل إلى علم اجتماع المخيال: نحو فهم الحياة اليومية، المركز العربي للأبحاث و دراسات السياسة، قطر، 2018، ص17-18.

أما عن الخطابات التي استعارها الجمهور الرياضي المناصر في مدينة وهران بصفة عامة نذكر تلك الكلمات التي طالما رددها الشباب في المدرجات و التي تعود في أصلها لجماهير فريق مولودية الجزائرية، نص مضمونها كالتالي:

"في صوق الليل، كاين حنا ولي كيما حنا يدورو...

و اللي ڤليل، ضامن الكمية الماصة و المالبورو...

يدرب البنين، ولتما رايح يتفكر الظروف...

ويقول يحليل، لوكان يصحى هاد الراس راح ندمرو...

قولي و علاش، نقولك شوف لتحتا، كاين لي فطر و ماتعشاش...

قولي كيفاش، نقولك جايا هكا، ولي حاكمينها ڤاع ما خلاوش...

ڤاع ماعشناش، حلو باب القنطة، مدام غلقونا باب التقلاش...

لافيريتي، في سواڤي ديما نتخدع ملقريب...

بلا ما نسيتي، لي يعرف الغابة راو يعرف الذيب...

بالكونتيتي، رايح نجمع لي يستاهل العيب...

فلاصوسيتي، هدرة فالوجه ما يقولهالك غير طبيب...

أواه أواه، جامي ننسى الباصي، و علينا كاش تبدل الحال...

مكاش كيفاش، كلش يبقى فراسي، كلش راح يبقى gravé فالبال...

لي هواه الداه، ديرو dossier classé، و فالفرشة تترمى لابوبال...

الشاه الشاه، فيك يا قلبي باصي، عاود ال mise à jour على لي حال...

يفرغ السوق، نلقى روحي غير بالهمّية...

ندرب و ندوخ، و نتفكر أنا لي فات عليا...

عشنا فالفقر، ورانا ڤاع نعرفو الميزيرية...

غير ربي الفوق، هو لي داري و عالم بلي بيا...

حنايا هكا، جامي لا تبدلنا، apart العقلية décalat...

سوق الخردة، يروح يبعدنا، رانا راميينو فالنيفايات...

هدا بهدا، ولي للعيب يبدا، قولولو نعرفو الروايات...

مول العادة، يكملك فالهدة، ونتا فايق و تقول باراكات... إلخ"

فيما يخص المقصود من هذه الأبيات فنجد صورة ملمة و مُعبرة بقوة عن معاناة الطبقة السفلى في السلم الاجتماعي من وجهة نظر مالية، أولئك الذين إذا تغذّوا فلن يتعشّوا، فكأن المناصر الذي هو واحد منهم مضطر ليسهر الليل و يُدخن الحشيش حتى يعبر عن ما بذهنه و قلبه، في جو من المعاناة دوما ما يعبر المناصرون بأقوالهم عن ما يعيشونه من تصورات و حقائق اجتماعية. نحن أمام ما يسميه G. DURANT بالترسيمة (schème)[1] أي تلك الخطة الوظيفية للتخيّل، و التي تعمل على الربط بين عمليات التفكير الواعي التي يدرسها مبحث الارتكاسات و التمثلات التخيلية، أين تدخل الترسيمات في اتصال بالمحيطين الطبيعي و الاجتماعي لتنتج نماذج أصلية.

نشير في هذا الشأن ما للدلالات التي تحملها هذه الخطابات من أهمية، لقد تبين في العديد من المرات ما تملكه المدرجات من مؤشرات يمكن قياسها يمكن لها أن تبين ما يريده المجتمع خاصة فئة الشباب التي تسعى للتغيير الروتيني باستمرار، لما تعرفه هذه الفئة من نشاط، فكأنما الأجيال تولد باستمرار في المدرجات و لا تتكرر، هذا ما تطرق إليه من قبل "فرانز فانون" في كتابه سوسيولوجيا ثورة حين صرّح: "...مجتمعا جديدا قد ولد على الأرض الجزائرية... إن رجال و نساء أيامنا هذه، في الجزائر لا يشبهون، أولئك الذين كانوا عام 1930 و لا الذين كانوا عام 1954 بل إنهم صاروا لا يشبهون الذين كانوا عام 1957... إن الجزائر القديمة قد ماتت..."[2].

[1] G. DURAND, Les structures anthropologiques de l'imaginaire, Ed Dunod, Paris, 1992, p61.

[2] فانون. ف، سوسيولوجية ثورة، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 1970، ص16.

خاتمة الجزء:

عبر هذا الجزء الثاني من الأطروحة تطرقنا إلى عنصر هام ذا صلة بالظاهرة الرياضية في الوسط الحضري من مدينة وهران ألا و هو التطرف الرياضي، مثلما بيّنا طبيعة العلاقة بين الوسط الرياضي الجماهير و الوسط الحضري بشكله العام. لقد ظهرت جليا في عديد الأحيان تلك العلاقة التي تربط بين الشباب المنتمي لفضاء المدينة، كرة القدم و العنف بحيث كان هذا الموضوع قبل ذلك محل اهتمام إشكالنا في مذكرتنا الخاصة بالماجستير، أين برزت جليا تلك التصرفات العدوانية التي تنتمي لشباب الوسط الحضري و خاصة حين يتعلق الأمر بكرة القدم.

شيء هام في أطروحتنا ألا و هو نموذج التعصب الرياضي في شكل "الألتراس" و كيف تمكّن شباب مناصرون لفريق مولودية وهران تكوين مجموعة "ألتراس" وفق الأعراف التي تسود هذا الشكل من التنظيم مع ترك مجال إبداعي خاص بالثقافة الشبابية المحلية، أي باتصال دائم مع مكونات الثقافة الخاصة بمناصري مدينة وهران، فلقد أكد الشباب المنتمي لهذه المجموعة في عديد من الفرص أولوية انتمائه للفضاء الحضري العام لمدينة وهران التي تمثّل له قبل كل شيء وطنه.

في الأخير سلطنا الضوء على صورة الملاعب عبر مُدرّجاتها كفضاءات ممتدة للفضاء الاجتماعي الحضري عموما، من هنا فرّقنا بين صورتي المناصرة الرئيسيتين المعنيتين أساسا بأطروحتنا، أي ذلك المناصر المشجع الفعال و المناصر المتفرج المستهلك و عرض أبرز نقاط الاختلاف بينهما. ثم عرضنا مبحثا هاما يتعلق بالكفاءات الخطابية التي ينتجها مجمل الجمهور المناصر من فئة الشباب.

خاتمةٌ عامّة

خاتمة عامة:

حين إتمام النص و جعله في شكل عرض و تفكير جدلي، فإن الباحث لا يتذكر كلّيا عمله بصيغته التي طُرح بها أوّل مرّة، فالفجوة و الاختلاف جدّ كبيرين: بين تجربة ميدان، تعدد اللقاءات، التردد و عدم اليقين، آخر اللمسات، التأثرات، الرفض، الألف صعوبة مادية و بين القصة و النص المُنَظّمين في الأخير بإحكام. طوال سنوات بحثنا الذي عرف أساس بدايته منذ إعداد مذكرة الماجستير إلى غاية إنجاز الدكتوراه تبيّن لنا جليّا أنّ الظاهرة الرياضية تحمل في مضمونها العديد من الأبعاد الاجتماعية، فكُلّما تعمّقنا أكثر في جزء من بحثنا وجدنا تفسيرات و أبعاد أكثر بحيث لا يُمكن حصر زاوية التقاء الرياضة بما هو اجتماعي في حيّز مُغلق. هذا ما يجعل من هذا الحقل الاجتماعي مجالا خصبا لإنجاز العديد من الدراسات الأخرى و التي لا تقل أهمية عن باقي الحقول الاجتماعية الأخرى، فلم تعد الرياضة موضوعا ثانويا عرضيا أو ترفيهيا إضافيّا للحياة الاجتماعية ككل، بل أصبحت تحمل صفة الضرورة بحيث صادفنا في إطار بحثنا مثلا شبابا بطّالا لا يملك ما يشتري به حذاء جديدا هو بحاجة له بينما يسعى جاهدا لتوفير المال حتى يدفع ثمن تذكرة دخول الملعب أو التنقل مع فريقه إلى مدينة أخرى أو شراء قميص فريقه المُفضّل.

إنّ ظاهرة المناصرة من جهتها كذلك ذاتُ تَشعُّبات عديدة و نماذج مُتنوعّة و أبعاد لا يمكن حصرها هي الأخرى، و نخص بالذكر في دراستنا تلك المُناصرة المعنية بوسط رياضة كرة القدم، فحسب (Encyclopédie thématique Weber) فإن "كرة القدم حاليا هي قبل كل شيء رياضة مناصرين"، لقد تأكدنا من ذلك في دراستنا و تبيّن لنا في عديد من الأحيان كيف كان بإمكان الجماهير الموجودة في المُدرّجات أن تؤثر في مُجريات لقاء كُروي، يمكن لهذه الجماهير فعل أي شيء إن شاءت و وقت ما شاءت. اللاعبون على أرضية الملعب لا يتجرّؤون أمام جمهور المناصرين بل منهم من صرّح أنه بالرغم من أقدميّته في الملاعب غير أنه لا يزال يتأثر بردود أفعال الجماهير كأنها أوّل مرّة يحط فيها قدميه على أرضيّة الملعب.

خاتمة عامة

من خلال دراستنا هذه حاولنا أن نُبيّن جليّا كيف يمكن أن نُفسّر وجود نمطين رئيسيين من الجماهير المناصرة في مدرجات الملاعب عبر اتخاذ فريقين من مدينة وهران كنموذجين لإثبات صحة فرضيَتَيْنا اللتين اعتبرتا من جهة أنّ تملُّك أو تبنّي الجماهير لأيّ من الفرق الكروية فكريا و مشاعريا و تصورّها جماعيّا لشكل المناصرة يتحدد عبر مجموعة من العوامل و المكونات التي تختلف من بيئة إلى أخرى، أي أنّ لكل جمهور هويّة جماعية تغرس جذورها في أرضية مُتمثلة في مجموعة من العناصر كالانتساب للفضاء الحضري، طبيعة الروابط الاجتماعية المميّزة لهذا الفضاء، التنشئة الاجتماعية الخاصة بكل مناصر... و من جهة أخرى فرضية ترى أن الظروف الاجتماعية الخارجة عن الإطار الرياضي هي الحاكم الرئيسي في رسم ردود الفعل الجماعية داخل المدرجات و الناتجة عن تفاعل أفراد الجمهور المشجع أو المشاهد مع ما يجري من أحداث فريقهم الكروي.

من هنا نستنتج أن كلا الفرضيتين صحيحتين و بنسب مُتفاوتة بين الأفراد، أي أنه درجة العناصر المتحكمة في رسم شكل المناصرين تختلف من فرد لآخر، فمثلا نجد أحيانا من كان حيّ انتمائه (من أشخاص و فضاء) سببا رئيسيا في اختياره لفريق يناصره و أحيانا نجد للتنشئة التي يتلقاها المناصر و هو طفل (خاصة الأب) أثر كبير في اختياره للفريق و يمكن أحيانا أخرى أن يكون للعنصرين الاثنين معا دور في الاختيار. إذن فالفرضيتين متكاملتين لا يمكن لواحدة أن تلغي الثانية. لقد أثبتت العديد من المقابلات هذا التكامل بحيث وجدنا في الوعاء التصوري للمناصر كما كبيرا من المكونات المكونة لشخصيته المشكّلة لنمط مناصرته، نحن بهذا أمام معنى شامل و معقّد كالذي يقدّمه مصطلح الثقافة، فالثقافة مثلما أشار إليها M. BOUET هي فعل تقوم به الحياة اتجاه ذاتها... من أجل الوصول إلى أشكال تجسيد و إنجاز أعلى، بغرض النمو. أي أن فعل المناصرة يتشكل لدى المناصر لغايات يستهدفها هو، و بهذا فلا يمكن أن نحصر هذا الفعل في غاية واحدة، مع العلم أن في فعل المناصرة هناك ثقافات فرعية ذات صلة كالنموذج الذي تطرقنا له في مجموعة الألتراس.

خاتمة عامة

لقد أثبتت هذه الدراسة كذلك أنّ بين الرياضة و جمهور المناصرين نقطة التقاء أخرى كبيرة لفضاء يسعى لتملّكهما معا، نقصد بذلك الفضاء السياسي. "حين يستقر رجال السياسة داخل المدرجات الرياضية، ففي غالب الأحيان من أجل سحب و استخلاص فوائد سياسية". هذا التداخل بين الرياضة الجماهيرية و السياسة يدفعنا لمراجعة الفكرة القائلة عموما باعتبار الملعب كفضاء يسمح بعرض مختلف أشكال الرفض و المطالب، كما هو متاح لمختلف الأحداث الاجتماعية التي تدور في المسرح الاجتماعي المحيط به. هذا ما تأكد بسرعة في الجزائر، ففي 1977/06/19 أثناء نهائي كأس الجزائر بين فريقي شبيبة القبائل و نصر حسين داي في ملعب 5 جويلية بالعاصمة، بحيث قامت الجماهير بصافرات استهجان أثناء عزف النشيد الوطني بحضور رئيس الجمهورية آنذاك، الرّاحل "هواري بومدين"، بعد هذا الحدث قام الرئيس بتغيير وزاري و حرص على وضع نظام جديد يضبط رياضة كرة القدم عبر ما سمي (le code de l'EPS) و الذي استُلهم حسب كثير من المختصّين من مبادئ النظام الاشتراكي و دام بين 1977 و 1989.

لعل السّبب الذي يُفسّر إلقاء ظلال الشك على الرياضة عموما و كرة القدم خصوصا خلال فترات عدة هو أنها –على النقيض من كونها تكفل للمرء ضربا من الترفيه و التكوين– تجذب الإنسان بعيدا عمّا يشغله و تُبعده و تُمزقه أيضا. إنّ الرياضات إشكاليّة، و مُريبة، بل هي أحيانا "شيطانية الطابع". و حيثما اعتمدت حياة الجسد الفردي أو الكيان الجمعي على تجانسه أو تماسكه المستمر، فقد قامت الرياضة بتغلغل أشكال هذا التجانس و التماسك. الحاجة الملحة للانتشار، و الامتداد... الأمر الذي يبدو مُرتبطا بالانحلال الذي هو الموت، و يُفضي إليه أحيانا في نهاية المطاف. إن الخطر الكامن في الرّياضات، هو أنها لا ترقى فقط إلى ما يتجاوز تشتيت، و بعثرة الإرادة و الغاية البشريتين المُركّزتين... الرياضة هي محاولة للتشتيت، و الاقتناص في آن واحد، فالرياضة تُفرّق، و تفصم و تلمُّ الشمل أحيانا. هي كذلك صورة أخرى من صُور التداخل الاجتماعي الرياضي.

خاتمة عامة

نستنتج كذلك من خلال دراستنا أن درجة الاهتمام، التعلّق بالربح و شكل المناصرة الأساسي اتجاه مباراة كرة قدم تُشكّل كلّها مُحرّكات تتحكم في درجة الرّهان الذي يبنيه المناصر أمام لقاء كروي ما، فحقيقة الأمر أن فريقين يلتقيان على أرضية ملعب يتطلب أن يفوز أحد الفريقين على الآخر، بمعنى آخر السيطرة على الآخر. نجد في هذا الشأن وجهة نظر "هيجل" التي تؤكّد أنّ الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها أن أحقق وعيي الذاتي المستقل تكون من خلال إدراكي من قبل وعي ذاتي آخر. و لكن ذلك سيفيد بأن استقلالي صار يعتمد في واقع الأمر على ذلك الذي يخضع لي، "بمجرد أن يحقق السيد هيمنته بشكل فعّال، يجد أن ما تحقق يختلف في واقع الأمر تماما عن الوعي المستقل، و ذلك لأن ما حققه ليس بوعي مستقل، بل هو بالأحرى وعي تابع لغيره. و من ثم، لا يضمن أن تتمثل حقيقته في وجوده الذاتي، حيث اكتشف أن تلك الحقيقة هي بالأحرى الوعي غير الجوهري، و الفعل العرضي غير الضّروري لهذا الوعي". هكذا يمكن القول في هذا الشأن أنّ الرياضة تُبرهن مرّة أخرى أن الشّروط التي تحكم سَيْر ظاهرة السيطرة التي نشأت منذ القدم بين العبد و سيّده تتجسّد مرّة أخرى على أرضية الملعب، يبقى أن نؤكد أن العلاقة بين الفريقين تحكمها ضوابط و قوانين تجعل مبدأ المساواة أساس في انطلاق المسابقة أو اللقب الذي تسعى وراءه مختلف فرق كرة القدم، لتنشأ المسافة بعد ذلك طبقا لمدى قوة كل فريق ذهنيّا و ماديّا طوال مُدّة زمنية ما.

ما يمكن استخلاصه في أطروحتنا هو أن ميدان التأريخ للظاهرة الكروية في الجزائر عموما و مدينة وهران خصوصا يضلّ بحاجة إلى إضافات و دراسات مُعمّقة أكثر، لقد اعتمدنا على مراجع محصورة و قابلنا هذا النُّقص بمقابلات مع أخصّائيين و مُتابعين رياضيّين للفرق الكروية بمدينة وهران. لقد تأكّدنا أنّ كرة القدم حطّت الرحال من أوروبا بلد منشأها إلى الجزائر و شمال إفريقيا عبر مدينة وهران، بالرغم من أنّ الرياضة بشكلها الرّسمي كانت محصورة لدى فئة الأوربيّين إلا أنّ العديد من المختصّين أكّد لنا أنّ كرة القدم منذ أن وصلت إلى مدينة وهران انتشرت بين عامة الناس، لقد "تأقلمت مع أرجل الجزائريين بسرعة و طلاقة".

خاتمة عامة

بالنسبة للتشجيع ذا الصفة الخاصة الذي تطرّقنا له في طرحنا عبر نموذج "الألتراس"، لقد تبيّن بوضوح أنّ ثقافة التشجيع هي عالمية و مدينة وهران لا تسجل استثناءا في ذلك، فهذا الشكل من المناصرة يعرف انتشارا عالميا لدرجة أنّ العديد من الأندية العالمية من حيث جماهيريتها تبنته، لقد أصبحت هذه الأندية تُوفّر منعرجات خاصة بمجموعات "الألتراس" نظير ما تقدمه هذه الأخير من ضمانات تشجيعية طيلة الموسم الكروي. عن حالتنا لمجموعة "الأتراس" المناصرة لفريق مولودية وهران فقد بيّنت هذه المجموعة العديد من المؤشرات التي تستدعي مزيدا من البحث و التدقيق فهي في تطوّر مستمر، بل أنّه أصبح للفريق في مدرّجات ملعبه ثلاثة مجموعات "ألتراس" في سنة 2017، نلخص تواجدها بعبارة "ثقافة عالمية ببصمة محلّية".

أخيرا يمكن القول أن "الفن العالي للبحث" هو حين يجلب الباحث مُشكل نظري ذو حمل ثقيل داخل موضوع "امبريقي" مبني جيدا (بالنسبة إلى الفضاء العام أين يوجد) و مُتحكّم به، عن طريق الوسائل المتاحة، أي إن صحّ القول، من طرف باحث مُنعزل، دون رصيد، مُعتمد على قوّته الوحيدة المتمثلة في البحث و العمل. يبقى أن نُشير إلى أن معنى و محتوى أطروحتنا يُعبّر عن رؤية مُتعلقة بزمان و مكان مُحدّدين، لذلك فنحن نؤمن أنه بإمكان نفس الظاهرة التي تطرقنا لها أن تتغير رؤاها عبر الزمن، لأنّ المعنى الذي يُولّده بحث ما يُمكن أن يتغيّر باستمرار (أغلب مؤلفات الفلاسفة مثل كانط، ديكارت أو ماركس، لا تتوقف عن تغيير معناها، فكل جيل من المعلقين يأتي و يُقلّب قراءة الجيل السابق). نفس الشيء مع الممارسة الرياضية و اتصالها بالظاهرة الاجتماعية كَكُلّ.

المراجع و المصادر

المـــراجع و المـصـــــادر:

الكُتب باللُّغة العربيّة:

1. ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2005.
2. إحسان محمد الحسن، علم اجتماع الفراغ، دار وائل للنشر، الطبعة الأولى، عمان، 2005.
3. بورديو بيير، أسئلة علم الاجتماع: كيف يستطيع المرء أن يكون رياضيا؟ دار العام الثالث للنشر و التوزيع، القاهرة، 1995.
4. بونت بيار، إيزار ميشال، معجم الأثنولوجياو الأنثروبولوجيا، المعهد العالي العربي للترجمة، بيروت، 2006.
5. بريك صالح، الكره أو اللاتسامح مع الآخر، خطوات للنشر و التوزيع، دمشق، 2010.
6. كونور ستيفن، فلسفة الرياضة، ترجمة طارق راشد عليان، دائرة الثقافة والسياحة، أبوظبي، 2019.
7. حمدوش رشيد، مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة امتدادية أم قطيعة، دار هومة، الجزائر، 2009.
8. هارفي ديفيد ، مُدن مُتمرّدة: من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، بيروت، 2017.
9. ريكور بول، نظرية التأويل: الخطاب و فائض المعنى، المركز الثقافي العربي (طبعة 2)، الدار البيضاء، 2006.
10. عبد الغني عماد، منهجية البحث في علم الاجتماع، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 2008.

11. غاليانو إدواردو، كرة القدم في الشمس و الظل، ترجمة صالح علماني، دار الطليعة الجديدة، بيروت، 1998.

12. غراسي فالنتينا، مدخل إلى علم اجتماع المخيال: نحو فهم الحياة اليومية، المركز العربي للأبحاث و دراسات السياسة، قطر، 2018.

13. غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، دار الساقي، بيروت، 1991.

14. فانون فرانز، سوسيولوجية ثورة، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 1970.

15. فرويد سيغموند، علم نفس الجماهير و تحليل الأنا، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 2006.

16. كاظم علاء جواد، الصورة حكاية أنثروبولوجية، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، تونس، 2013.

17. لقجع عبد القادر، علم الاجتماع و المجتمع في الجزائر، دار القصبة، الجزائر، 2004.

18. محمد يوسف حجاج، التعصب و العدوان في الرياضة، رؤية نفسية اجتماعية، مكتبة الأنجلو-مصرية، القاهرة، 2002.

19. مولاي الحاج مراد، المجتمع الجزائري و البحثالسوسيولوجي: تجربة خاصة في البحث، علم الاجتماع و المجتمع في الجزائر، أعمال الملتقى الوطني حول علم الاجتماع، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004.

20. ميشو إيف، ما المجتمع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.

المقـــالات العلميّة باللُّغة العربيّة:

1. بن جليد عابد و بوكرزازة حسني، الرياضة ظاهرة و ممارسات، إنسانيات، العدد 34، CRASC، وهران، 2006.
2. بن جليد عابد، ملعب كرة القدم: مكان للتعايش الاجتماعي، للتعبير و لإدماج شباب ضاحية مدينة وهران، مجلة إنسانيات (الرياضة ظاهرة و ممارسات)، العدد 34 (مجلد 10، 4)، كراسك، وهران، 2006.
3. سيداج نيقولا بويج، عرض لمباراة كرة القدم: اثنولوجيا الولع المتحزب في مرسيلي، نابولي، تورينو، ، مجلة متون عصرية، التمدن بين الاجتماع و التاريخ، (CEDEJ)، رقم 02، المطبعة الذهبية، القاهرة، 2001.
4. شولي كلودين، العنف: مساهمات في النقاش، مجلة إنسانيات، العدد 10، كراسك، وهران، جانفي/أفريل 2000.

الأعمـــال الجامعيّة باللُّغة العربيّة:

1. بعلي محمد سعيد، العنف بملاعب كرة القدم: مقاربة أنثروبولوجية لحالة أنصار كرة القدم في مدينة مستغانم، مذكرة ماجستير فيالأنثربولوجيا، جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم، 2009/2008.
2. بن صالح براهيم، ثقافة الاحتراف الرياضي في الجزائر، كرة القدم نموذجا، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم، جامعة وهران 2، 2019/2018.
3. سنوسي مراد، كرة القدم و المجتمع: دراسة ميدانية لظاهرة كرة القدم في مدينة غليزان، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، وهران، 1993/1992.
4. قديري مصطفى، العنف في ملاعب كرة القدم كمنتج اجتماعي، دراسة ميدانية بملاعب كرة القدم – الجزائر و البليدة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الجنائي، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2008-2009.
5. ماحي محمد عباس، الرياضة و العنف في الوسط الحضري: دراسة سوسيو-أنثوروبولوجية لدى شباب مدينة وهران، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير، جامعة وهران، 2014.

الــمــراجع باللُّغة الأجنبيّة:

1. Alain EHRENBERG, Le culte de la performance, Ed Calmann-Lévy, Paris, 1991
2. Alain BLANCHET, Anne GOTMAN, L'enquête et ses méthodes: L'entretien, Ed Nathan, Paris.
3. Alain LARAME, Bernard VALLEE, La recherche en communication : éléments de méthodologie, Ed Presses de l'université du Québec, 2001.
4. Alexis Ferrand, La formation des groupes de jeunes dans l'espace urbain, Ed L'Harmattan, Paris, 2013.
5. Bernard GILLET, Histoire du sport, Ed Puf, Paris, 1960.
6. Cécile VANDEVELDE, Sociologie des ages de la vie, Ed Armant Colin, Paris, 2015.
7. Christian BROMBERGER, Le match de football: Ethnologie d'une passion partisane à Marseille, Naples et Turin, Ed. La maison des sciences de l'homme, Paris, 1995.
8. Christian VIVIER, Jean-Françoise LOUDCHER, Le sport dans la ville, Ed L'Harmattan, Paris, 1998.
9. Desmond MORRIS, The Soccer Tribe, Ed Jonathan Cape, Londres, 1981.
10. Djounid HADJIDJ, Ville et société en Algérie: où est donc passé le sociologue ? Sociologie et société en Algérie, Actes du colloque national de sociologie, Ed. Casbah, Alger, 2004.
11. Ervinf GOFFMAN, La mise en scène de la vie quotidienne, Ed. Minuit, Paris, 1973.
12. Erving GOFFMAN, Les rites d'interaction, Ed Minuit, Paris, 1974.
13. François DUBET, La galère: jeunes en survie (enquête), Ed Fayard, Paris, 1987.
14. Françoise DE SINGLY, Les Adonaissant, Ed Armant Colin, Paris, 2006.
15. Franz Fanon, Les damnées de la terre, Ed Maspero, Paris, 1978.
16. George MAGNANE, Sociologie du sport, Ed Gallimard, Paris, 1964.
17. Georges HALDAS, La légende du football, Ed L'Age d'homme Lausanne, 1981.

18. Gérard BRUANT, Anthropologie du geste sportif, La construction sociale de la course à pied, Ed Puf, Paris, 1992.
19. Gérard MAUGER, Ages et génération, Ed La Decouverte, Paris, 2015.
20. Gilbert DURAND, L'imaginaire, science et philosophie de l'image, Ed Hatier, Paris, 1994.
21. Gilbert DURAND, Les structures anthropologiques de l'imaginaire, Ed Dunod, Paris, 1992.
22. Hedi HAMEL, La grande aventure du football algérien, Ed GAM-ENAL, Alger, 1984.
23. Henri LEFEBVRE, La révolution urbaine, Ed Gallimard, Paris, 1970.
24. Henri LEFEBVRE, Le droit à la ville, Ed Economica, 3eme édition, Paris, 2009.
25. Henri MENDRAS, Marco OBERTI, Le sociologue et son terrain: trente recherches exemplaires, Ed. Armand Colin, Paris, 2000.
26. Hocine SEDDIKI, Rachid Mekhloufi, Ed Salam production, Paris, Alger, 1982.
27. Houari CHAILA, Oran: histoire d'une ville, Ed. Ibn Khaldoun, Oran, 2002.
28. Jacques BERQUE, La dépossession du monde, Ed du Seuil, Paris, 1964.
29. Jean DUVIGNAUD, Fêtes et civilisations, Ed. Actes Sud, Paris, 1992.
30. Jean DUVIGNAUD, Sociologie du théatre, Essai sur les ombres collectives, Ed P.U.F, Paris, 1965.
31. Jean-Claude TROTEL, Football je t'aime… moi non plus, Ed L'Harmattan, Paris, 2005.
32. Jean-Marie BROHM et M. PERELMAN, Le football, une peste émotionnelle, Ed Gallimard, Paris, 2006.
33. Jean-Philippe RETHACKER, Jacques THBERT, La fabuleuse histoire du football, Ed La Martinière, Paris, 2012.
34. Joffre DUMAZEDIER, Sociologie empirique du loisir. Critique et contre-critique de la civilisation du loisir, Ed Seuil, Paris, 1974.
35. Lahcene BELAHOUCINE, La saga du football algérien, Ed Hibr, Alger, 2010.

36. Louis ALTHUSSER, Idéologie et appareil idéologique d'Etat, in Positions, Paris, Ed Sociales, 1976.
37. Michel BOUET, Question de sportologie, Ed L'Harmattan, Paris, 1998.
38. Michel JAMET, Le sport dans la société entre raison (s) et passion (s), Ed L'Harmattan, Paris, 1991.
39. Mohamed BELAROUI, Histoire du football algeriens : Miloud Hedfi le Kaiser Africain, Ed. Dar El Adib, Oran, 2014.
40. Norbert ELIAS, E. DUNNING, Sport etcivilisation: la violence maitrisée, Ed Fayard, Paris, 1986.
41. Olivier GALLAND, Sociologie de la jeunesse, Ed Armant Colin, Paris, 2001.
42. Pascal BONIFACE, Géopolitique du sport, Ed Armand Colin, Paris, 2014.
43. Pascal BONIFACE, Le monde contemporain, grandes lignes de partage, Ed Puf, Paris, 2001.
44. Pascal CHANTELAT, Michel FODIMBI et Jean CAMY, Sport de la cité: Anthropologie de la jeunesse sportive, Ed L'Harmattan, Paris.
45. Patrick MIGNON, Guy TRUCHOT, Les pratiques sportives en France, Ministère de la jeunesse des sports et de la vie associative, Institut national du sport et de l'éducation physique, Ed INSEP, Paris, 2002
46. Paul DIETSCHY, Histoire du football, Ed Perrin, Paris, 2010.
47. Paul DIETSCHY, L'histoire du football, Ed Perrin, Paris, 2000.
48. Paul DIETSCHY, Le jeu de l'Angleterre victorienne, In Histoire du football, Paris, 2010.
49. Peter MARSH, Elizabeth ROSSER, Rom HARRE, Le regole del disordine, Ed Giuffrè, Milan, 1984.
50. Pierre BOURDIEU, Choses dites, Ed Minuit, Paris,1987.
51. Pierre DE COUBERTIN, Essais de psychologie sportive, Ed Jérôme Million, Grenoble, 1992.

52. Pierre DE COUBERTIN, Pédagogie sportive, Ed Librairie J. Vrin, Paris, 1972.
53. Raymond QUIVY, Luc Van CAMPENHOUDT, Manuel de recherche en sciences sociales, Ed Dunod, Paris, 2006.
54. Robert Castel, L'insécurité sociale:qu'est-ce qu'être protégé? Ed seuil, Paris, 2003.
55. Romy SAUVAYRE, Les méthodes de l'entretien en sciences sociales, Ed Dunod, Paris, 2013.
56. S/d Martine KALUSZYNSKI et Sophie WAHNICH, L'Etat contre la politique, Ed L'Harmattan, Paris, 1998.
57. S/dNicolas BANCEL ; Daniel DENIS et Youcef FATES, De l'Indochine à l'Algérie, La jeunesse en mouvements des deux côtés du miroir colonial, 1940-1962 (Youssef Fates, Le club sportif, structure d'encadrement et de formation nationaliste de la jeunesse musulmane pendant la période coloniale) , Éd La Découverte, Paris, 2003.
58. S/d Raymond BOUDON, Dictionnaire de la pensée sociologique, Ed puf, Paris, 2005.
59. S/d. André GOUNOT, Denis JALLAT et Michel KOEBEL, Les usages politiques du sport, Ed L'Harmattan, Paris, 2011.
60. S/d Catherine LOUVEAU et Yann DROUET, Sociologie du sport: débats et critiques, Ed L'Harmattan, Paris, 2006.
61. S/d. Catherine LOUVEAU et Yann DROUET, Sociologie du sport: débats et critiques, Ed L'Harmattan, Paris, 2006.
62. S/d Françoise BOSMAN, Patrick CLASTRES, Paul DIETSCHY, Le sport : de l'archive à l'histoire, Ed Presses Universitaires de Franche-Comté, Paris, 2006.
63. Sebastien LOUIS, Ultras, les autres protagonistes du football, Editions Mare et Martin, Paris, 2017.
64. Stéphane BEAUD, Florence WEBER, Guide de l'enquête de terrain, Ed La Découverte, Paris, 1997.

65. Youcef FATES, Le club sportif, structure d'encadrement et de formation nationaliste de la jeunesse musulmane pendant la période coloniale. S/D: N. BANCEL, D. DENIS , Y. FATES, De l'Indochine à l'Algérie, La jeunesse en mouvements des deux côtés du miroir colonial, 1940-1962, Éd La Découverte, Paris, 2003
66. Youcef FATES, Les mots du stade: modalité inédite d'expression politique de la jeunesse algérienne? Espaces publics au Maghreb, Ed. CRASC, Oran, 2013.
67. Youcef FATES, Sport et politique en Algérie, Ed l'Harmattan, Paris, 2009.

الــمــجلات باللُّغة الأجنبيّة:

1. Alexander SZALAI, Joffre Dumazedier, compte-rendu sur le livre: The Use of Time. Daily activities of urban and suburban population in twelvecountries, Edité par Alexander Szalai, Ed Revue Française de sociologie, N° 1, Volume 16, Paris, 1975.
2. Bernard JEU, Michel BOUET, Signification du sport, In Revue française de sociologie, N° 12-2 Paris, 1971.
3. de la thèse de Jean-Marie BROHM par Jean MEYNAUD, In Sport et politique, Paris, 1966.
4. Djounid HADJIDJ, Le paradoxe de l'espace public dans la ville algérienne, In Revue: Afrique et Développement Vol XXXVI, N° 2, CODESERIA, Dakar, 2011.
5. Frédéric BAILLETTE, Révoltes sociales et orthopédie sportive (Sport et mondialisation de la déviance), In Quel corps n° 28-29, Paris, Décembre 1985.
6. Jacques DEFRANCE, La politique de l'apolitisme, sur l'autonomisation du champ sportif, Revue Politix, Volume 13 Numéro 50, Paris, 2000.
7. Marc PERELMAN, Corps, espace et urbanisme, In Revue: Quel corps? N° 26/27, Paris, 05/1985.
8. Michel BEAULIEU, Marc PERELMAN, Histoire d'un espace: le stade, In Quel corps N°7, 1981.
9. Olivier GALLAND, Adolescence, post-adolescence, jeunesse: retour sur quelques interprétations, Revue française de sociologie, N° 42-4, Paris, 2001
10. Patrick MIGNON, Faire corps: supporters et hooligans dans les stades de football, In Communication, N°67, 1988.
11. Patrick MIGNON, La violence dans les stades: supporters, ultras et hooligans, Les cahiers de l'INSEP, Numéro 10, 1995
12. Paul DIETSCHY, La passion du football, In Revue: l'Histoire, N° 353, Mai 2010.

13. Pierre DE COUBERTIN, Le sport et la question sociale, In Revue Olympique, N°8, Aout, 1913.
14. Pierre DE COUBERTIN, Le sport et la société moderne, In Excelsior, 23 Aout 1915.
15. Raffaele POLI, Paul DIETSCHY, Le football africain entre immobilisme et extraversion, In. Politique africain N°102, Juin 2006.

الأعمـــال الجامعيّة باللُّغة الأجنبيّة:

1. Bertrand FINCOEUR, Manuel COMERON, André LEMAITRE et Georges KELLENS, Etude du supportérisme et des manifestations de violence dans et autour des stades de football en Belgique, Rapport final d'une recherche commanditée par le SPF Intérieur et réalisée par le Service de criminologie de l'Université de Liège, Novembre 2006.
2. Faycel KADA, L'analyse des préférences des téléspectateurs extraterritoriaux dans le football, application au public de deux régions marocaines, Thèse pour l'obtention du grade de Docteur, Université de Bourgogne, Décembre, 2013.
3. Paul BARTOLUCCI, Sociologie des supporteurs de football: la persistance du militantisme sportif en France, Allemagne et Italie, Thèse de doctorat, Université de Strasbourg, septembre 2012.
4. Philippe PREVOT, Approches de l'institution sportive: cadre de référence l'Algérie, Mémoire de Maitrise de Sociologie, Université Paris V - SORBONNE, Session Juin 1979.
5. TayebREHAIL, Football institutionnel et identités juvéniles, cas de Kheroub - Constantine, Thèse de Doctorat sciences, Université d'Oran, année universitaire 2013/2014.

الملاحق

دليل المقابلة

في إطار إنجاز أطروحة دكتوراه بقسم علم الاجتماع (كلية العلوم الاجتماعية / جامعة وهران 2)، تحت عنوان "ظاهرة المناصرة في الوسط الرياضي" (نقصد بذلك الجمهور المتابع لمباريات كرة القدم من مدرجات الملاعب)، و لأغراض علمية و أكاديمية لا غير، نودّ معرفة رأيكم حول قضية المناصرة أو التشجيع أو التحزب الرياضي، عبر مجموعة من الأسئلة التي نراها مُهّمة من أجل الوصول لبناء معرفي مستوحى من الواقع و مبني على رأي المبحوث (أنت). مع العلم أن أجوبتكم ستُسجّل عبر مُسجّل صوتي ثم تدوّن كتابيا بعد ذلك، و ستحمل صفة المجهول (Anonyme):

ملاحظات:

- تُجرى المقابلات مع الأفراد الذين يُتابعون فرقهم الكروية من المدرجات و ليس مع من يكتفون فقط بوسائل الإعلام (تلفاز، جرائد...).
- تُجرى المقابلات مع مناصرين قاطنين بمدينة وهران و متابعين لأحد الأندية البارزة في مدينة وهران (جمعية وهران أو مولودية وهران).
- جميع الأفراد المستجوبين عبر المقابلات هم بالغون سن الرّشد (18 سنة فما فوق).

6/1

معلومات خاصة بالمُستجوَب:

- السّن:.....
- المستوى الدراسي:

.....

- الحالة المدنية (أعزب، متزوج، مطلق...):

.....

- الوضعية الاجتماعية (طالب، موظف، بطال، تبحث عن عمل...):

.....

- حي الإقامة الحالي:

.....

- حي الإقامة الذي سبقه إن وُجد:

.....

- حي إقامة الوالدين إن لم يكن نفس مكان الإقامة الحالي:

.....

- حي إقامة الجدين إن كان بمدينة وهران:

.....

- ما هو ناديك المفضل بين فريقي مولودية وهران و جمعية وهران؟

.....

- منذ متى و أنت تتابع هذا الفريق عن طريق الارتداد إلى الملاعب:؟

.....

- معلومات أخرى:

.....

- مكان إجراء المقابلة:

.....

- مدة المقابلة:

.....

6/2

الظروف الاجتماعية

- كيف تقيم لي علاقتك بأفراد أسرتك (الوالدين، الإخوة، الأبناء...)؟

/ كيف كانت تنشئتك الاجتماعية (الأسرة، المدرسة، الحيّ...)؟

/ هل عانيت من مشاكل أسرية في طفولتك أثرت عليك في كبرك؟ إن نعم، فما هي؟ و كيف أثرت عليك؟

- هل تعاني من مشكل بطالة؟ إن نعم، فكيف تعيش هذه الوضعية؟ و كيف تحاول تجاوزها؟
- هل تعاني من مشكل السكن؟ إن نعم، فكيف ذلك؟ منذ متى؟ و كيف يؤثر عليك؟
- هل هناك مشكل (أو مشاكل) آخر لم نتطرق إليه؟ إن نعم، فما هو؟ و ما أثره عليك؟
- ماهي طموحاتك الشخصية المستقبلية؟

قضية المواطنة

- هل تفتخر بانتمائك لمدينة وهران؟ (ولد وهران) كيف ذلك؟

/ ما الذي يجعلك تتباهى بذلك؟

/ بماذا تتميز عن غيرك لكونك ابن المدينة (ولد البلاد)؟

/ ألا تعتبر ذلك عنصرية؟

/ ما هو الحي الذي تنجذب إليه (تنتمي إليه ذهنيا) في مدينة وهران؟ و لماذا تتعلق بهذا الحي؟

- هل تنتمي إلى جمعية ما؟ إن نعم فما طبيعتها؟ و ما غايتك من ذلك؟

/ هل تنتمي إلى حزب أو تنظيم سياسي؟ لماذا؟

/ ما رأيك في المسيرين السياسيين لمدينة وهران (البلدية، الولاية...)؟

/ ما رأيك في الخدمات التي تقدمها المدينة: الصحة، النقل، الترفيه...؟

6/3

عالم كرة القدم

- ماذا تعني لك كرة القدم؟ (رياضة أم لعبة أم شيء آخر)؟

/ هل لك أن تروي لي كيف نشأت هذه الرياضة بصفة عامة؟ و ما هي قوانينها؟

/ ماذا تعرف عن بداية رياضة كرة القدم في الجزائر؟ و ماذا عن بداياتها في مدينة وهران؟

- ماذا يعني لك فريقك؟

/ متى و كيف تأسس فريقك المفضل؟

/ كيف و منذ متى وجدت نفسك مناصرا له؟

/ هل الوالد أو أحد الأقارب هو كذلك مناصر لهذا الفريق؟ و هل أثر هذا الشخص في ميولك لهذا الفريق؟ إن نعم، فكيف؟

/ هل يوجد بالحي الذي تنتمي إليه أفراد يتابعون نفس الفريق؟ هل يمثلون الأغلبية؟ إن نعم فلماذا برأيك؟ هل لأبناء حيك أثر في ميولك و انتمائك لهذا الفريق؟

/ ما الذي يجذبك في فريقك و يجعلك تتابعه دائما؟

عالم الملاعب

- كيف و منذ متى اكتشفت مدرجات الملاعب؟

/ هل هناك من أثر عليك و جعلك ترتاد مدرجات الملاعب باستمرار؟ من؟ و كيف أثر عليك؟

/ إن أتيحت لك فرصة متابعة اللقاء في شاشة التلفاز، ماذا ستفضل؟ الشاشة أم المدرجات؟ لماذا؟

/ هل تتابع جميع مباريات فريقك من المدرجات؟ إن نعم، فهل تجد ذلك مكلفا؟ و إن لا، فما يمنعك من متابعتها كلها؟

/ هل تتنقل مع النادي خارج المدينة؟ إن نعم، ألا تجد ذلك مكلفا للجهد، المال و الوقت...؟ إن لا، فما يمنعك؟

/ بحسب رأيك أين تكمن المتعة في مدرجات الملاعب؟

6/4

- من خلال متابعة فريقك من المدرجات عن ماذا تبحث يا ترى؟ كيف تناصر فريقك؟

/ ماذا تفضل أثناء وجودك بالمدرجات؟ المشاهدة و الاستمتاع باللقاء أم التشجيع المتحمس إلى حد التطرف؟

/ كيف هو سلوكك قبل، أثناء و بعد انتهاء اللقاء؟

/ يا ترى أين هو مكانك المفضل في المدرجات؟ و لماذا؟

/ ما رأيك في المشجعين الذين يصنعون الفرجة في المدرجات (الغناء، الهزيج، ترديد عبارات محبطة للمنافس، ترديد عبارات مشجعة للفرق المناصر، السب...)؟

/ هل تفضل مدرجات مملوءة عن آخرها أم مدرجات معتدلة؟

/ ماذا يعني لك الفريق الخصم؟

/ ما هي حدود المناصرة في رأيك؟

- ما رأيك في الأحداث التي تنجرّ عن الملاعب؟

/ ما الذي يمكن أن يزعجك في الملعب (أثناء، بعد و قبل اللقاء)؟

/ كيف تجد الظروف التنظيمية للملاعب (الدخول و الخروج، متطلبات الراحة كالمراحيض و المواد الاستهلاكية...)؟ و هل يمكن أن تسبب هذه الظروف أحداث عنف؟ إن نعم فكيف ذلك؟

/ ماذا ينقص الملاعب حسب رأيك؟

/ بصراحة، هل تتأثر بنشوب أحداث عنف؟ هل تجد في ذلك لذة؟

/ هل هذه الظاهرة كثيرة التكرار في الملاعب (مع فريقك)؟

/ هل حدث لك أن كنت عنصرا (أو ضحية) في أحداث ما؟ ما أسبابها حسب رأيك؟ و هل تعتبر هذه الأحداث (العنف) جزء من اللعبة؟

/ هل وجود عناصر الأمن في الملعب أمر ضروري أم يمكن تنظيم الملعب دونهم؟ ماذا تقترح كحلول حسب رأيك؟

6/5

التسيير الرياضي

- كيف تقيم لي سياسة التسيير الكروي في الجزائر؟ (الإتحادية الجزائرية لكرة القدم و الرابطة الوطنية لدوري المحترفين)؟

/ ماذا عن سياسة تسيير فريقك؟ كيف تصف لي طريقة تعيين رئيس ناديك؟ ماذا تعرف عن طريقة تسيير النادي؟ هل تعبر حقا عن نموذج احتراف؟ كيف و لماذا؟

/ كيف يتم تمويل النادي بالمال؟

/ أين مقر النادي؟

/ هل هناك همزة وصل بين الجمهور المتتبع للفريق و مسيروا النادي؟

/ هل يوجد لجنة مناصرين؟ إن وجدت فما هو دورها و أين مقرها؟

/ هل تجد أن فريقك يلقى الدعم من السلطات (المحلية أو الوطنية)؟ و هل يسبب ذلك حسب رأيك عائقا اتجاه نجاح الفريق؟ كيف؟

- هل من إضافة في الأخير؟

شكرا.

6/6

جدول معطيات المـقابلات:

رقم المقابلة	الفريق المُناصَر	سنّ المـُناصر	مُدّة المقابلة
01	مولودية وهران	23	01سا:20د
02	مولودية وهران	23	01سا
03	مولودية وهران	25	55د
04	مولودية وهران	28	01س:05د
05	مولودية وهران	19	45د
06	مولودية وهران	18	50د
07	مولودية وهران	20	01سا:10د
08	مولودية وهران	24	01سا
09	مولودية وهران	25	01سا
10	مولودية وهران	27	55د
11	مولودية وهران	26	01سا:05د
12	مولودية وهران	30	50د
13	مولودية وهران	29	55د
14	مولودية وهران	20	01سا
15	مولودية وهران	21	55د
16	جمعية وهران	30	01سا:15د
17	جمعية وهران	31	01سا
18	جمعية وهران	29	45د
19	جمعية وهران	28	55د
20	جمعية وهران	29	55د
21	جمعية وهران	35	50د
22	جمعية وهران	23	01سا
23	جمعية وهران	25	01سا:05د
24	جمعية وهران	27	55د
25	جمعية وهران	28	50د

رقم المقابلة	الفريق المُناصَر	سنّ المـُناصر	مُدّة المقابلة
26	جمعية وهران	26	01سا
27	جمعية وهران	28	50د
28	جمعية وهران	29	45د
29	جمعية وهران	25	55د
30	جمعية وهران	36	50د
31	(ألتراس) مولودية وهران	34	01سا:15د
32	(ألتراس) مولودية وهران	28	01سا:20د
33	(ألتراس) مولودية وهران	24	01سا
34	(ألتراس) مولودية وهران	23	01سا
35	(ألتراس) مولودية وهران	20	50د
36	(ألتراس) مولودية وهران	25	50د
37	(ألتراس) مولودية وهران	22	01سا:15د
38	(ألتراس) مولودية وهران	28	01سا
39	(ألتراس) مولودية وهران	19	55د
40	(ألتراس) مولودية وهران	24	50د

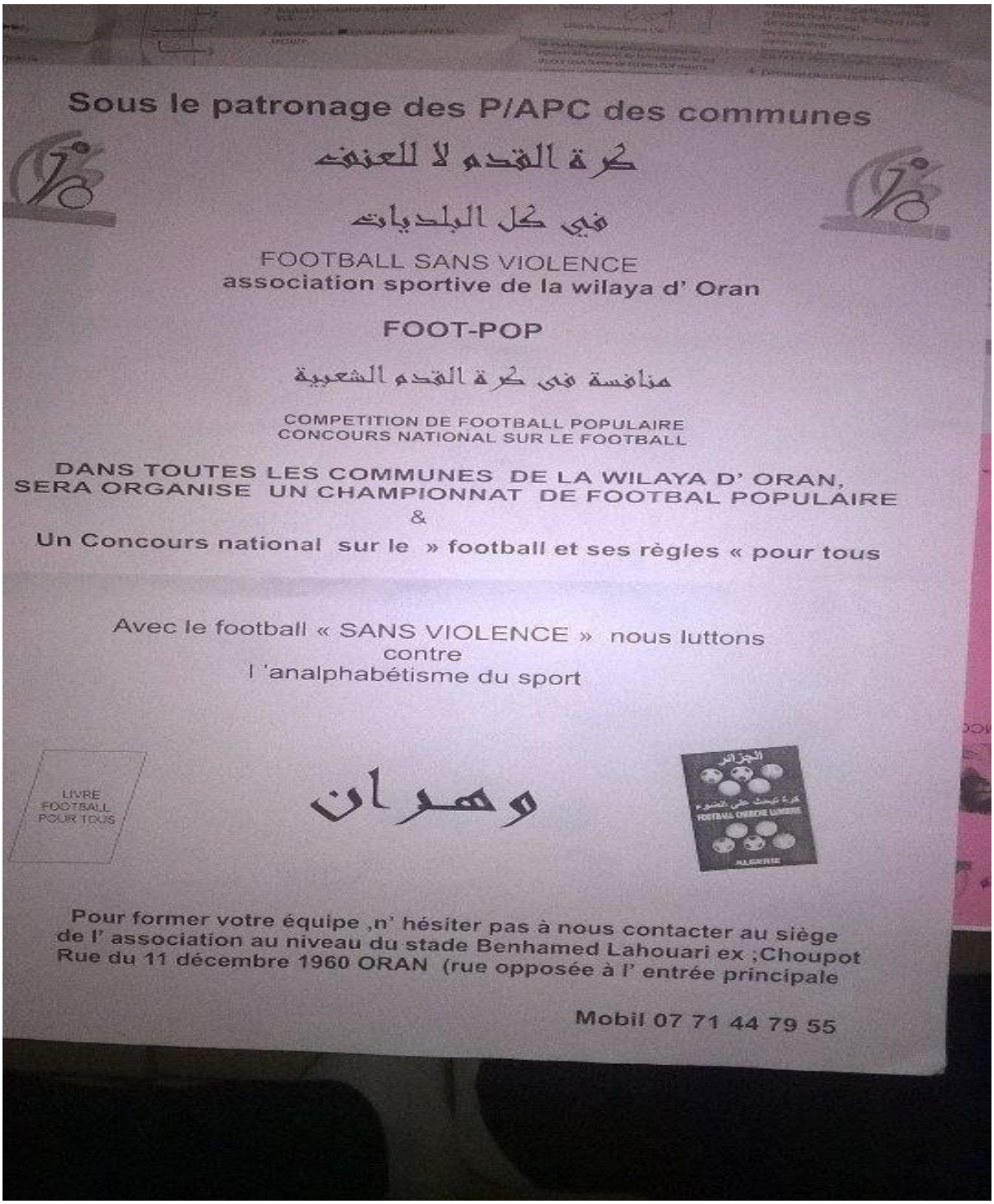

منشور دعائي سنة 2017 لجمعية من مدينة وهران تسعى لمحاربة العنف

Image de l'équipe de football Club des Joyeusetés d'Oran prise en 1934

Image de l'équipe du Football Club d'Oran, vainqueur du Championnat d'Afrique du Nord en 1946

جماهير مولودية وهران تؤدي شعيرة الصلاة أثناء اللقاء الكروي

جماهير مولودية وهران في المدرجات المغطاة رفقة الألتراس

منعطف المدرجات بملعب مولودية وهران المكان المفضل للألتراس

راية (الباش) لألتراس "ليونيس راي" أمام مدخل ملعب المولودية

راية (الباش) لألتراس "ليونيس راي" أثناء التحضير للمباريات

الجماهير تُتابع قائد مجموعة الألتراس (كابو) لتناصر بانسجام

رسم لوحة فنية ذات رسالة من مجموعة الألتراس

مناصرين من فريق مولودية وهران وجمعية وهران في صورة تآخي

صورتين لأحداث عنف ضد جماهير مولودية وهران أثناء تنقلهم لملعب مولودية بجاية